

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٢٢٦/د)

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر
هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISSN 0258 - 1094



مجلة

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَدَبِيَّةِ

مجلة علمية محكمة تنشر البحوث والدراسات في اللغة العربية

السنة الثالثة والأربعون

العدد التاسع والتسعون

صفر - جمادى الأولى ١٤٤١ هـ

تشرين الأول - كانون الأول ٢٠١٩ م

الهيئة الاستشارية للمجلة

الأستاذ إبراهيم شـبـوح	تونس
الأستاذ الدكتور مرشدي مرشد	مصر
الأستاذ الدكتور مرزقي بعلبكي	لبنان
الأستاذ الدكتور عبد العزيز المانع	السعودية
الأستاذ الدكتور سامي شلهوب	سوريا
الأستاذ الدكتور عبد السلام المسدي	تونس
الأستاذ الدكتور هاني هياجنة	الأردن
الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحجمري	المغرب
الأستاذ الدكتور عبد المجيد حنون	الجزائر
الأستاذ الدكتور محمد باقري	إيران
الأستاذ الدكتور محمود السيد	سوريا
الأستاذ الدكتور عبد الحميد مذكور	مصر
الأستاذ الدكتور مرسل بلاوي	إيران

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور

خالد الكري

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور

سعيد التل

الأستاذ الدكتور

محمد عدنان البخيت

الأستاذ الدكتور

عبد المجيد نصير

الأستاذ الدكتور

محمد حور

الأستاذ الدكتور

سمير استيتية

الأستاذ الدكتور

محمد السعودي

أمين العام للمجمع

التحرير

رانيا بني دومي

نادر رزق

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

مجلة متخصصة محكمة

شروط النشر:

١. تعنى المجلة بالبحوث التي تعالج قضايا اللغة العربية وآدابها.
٢. يكون البحث المقدم للمجلة مستوفياً شروط البحث العلمي من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
٣. يشترط في البحث أن يكون خاصاً بمجلة المجمع، وأن لا يكون قد نشر أو قدم لأي جهة أخرى لغايات النشر، ويقدم الباحث تعهداً خطياً بذلك.
٤. أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الموضوعي.
٥. يصبح البحث بعد قبوله للنشر حقاً لمجلة المجمع، ولا يجوز النقل عنه إلا بالإشارة إلى مجلة المجمع.
٦. لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشره في المجلة، وأن يحصل على موافقة خطية من رئيس التحرير.
٧. يرسل الباحث نسخة إلكترونية من بحثه باستخدام البرنامج الحاسوبي (Ms word) بحجم خط (١٤) للمتن و(١٢) للهوامش على وجه واحد من الورقة حجم (A 4).
٨. لا تزيد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة، بواقع (٢٥٠) مئتين وخمسين كلمة للصفحة الواحدة، أو من ٦٠٠٠ - ٨٠٠٠ كلمة للبحث.
٩. يجب أن يشتمل البحث على ملخص باللغة العربية، مترجماً إلى اللغة الإنجليزية بما فيه العنوان.

١٠. إذا كان البحث جزءاً من رسالة علمية غير منشورة، فيجب أن يوضح الباحث أسماء كل من المشرف وأعضاء لجنة المناقشة، وتاريخها.
١١. يتولى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب ما تراه هيئة التحرير، ويلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراء التحكيم في حال سحبه بحثه أو الرغبة في عدم متابعة إجراءات التحكيم وفق ما يقدره رئيس التحرير.
١٢. يكون قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره نهائياً، وتحفظ هيئة التحرير بحق عدم إبداء الأسباب، ويجوز في حال الاعتذار أن يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر ببحثه.
١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون إذا كان قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث مشروطاً بذلك.
١٤. البحوث غير المجازة لا ترد لأصحابها.
١٥. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن هيئة التحرير أو المجمع.
١٦. يخضع ترتيب البحوث عند النشر في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
١٧. يكون توثيق البحوث كما يأتي:

أ - المصادر:

يوثق المصدر عند ذكره لأول مرة على النحو الآتي:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي بين قوسين، إن كان متوفى، واسم المصدر كاملاً بالحرف الغامق، إذا كان عربياً، وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، واسم المحقق، ودار

النشر، ورقم الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي (ت ٤٠٠هـ، ١٠١٠م)، كتاب الأفعال،
ج ٣، تحقيق د. حسن محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،
القاهرة، ١٩٧٥م، ج ١، ص ١٨٥.

ب - المراجع:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي، إن كان متوفى،
ثم اسم المرجع كاملاً بالحرف الغامق إن كان عربياً وبحروف مائلة إن كان بلغة
أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، إن وجدت، ودار النشر، ورقم
الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن سعيد الكرمي (ت ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، الهادي إلى لغة العرب، ج ٤،
دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٩١م، بيروت، ج ١، ص ٢٣٩.

ج - محاضرات المؤتمرات:

يذكر اسم المحاضر كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي
اقتباس، هكذا " " ويذكر عنوان الكتاب كاملاً، واسم المحرر أو المحررين
ويضاف إليه/إليهما كلمة "رفاقه/رفاقهما" إن كانوا أكثر من اثنين على أن تذكر
أسماءهم جميعاً في قائمة المراجع، واسم دار النشر، ومكان النشر، وسنة النشر،
ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

شكران خربوطلي، "أوقاف دمشق وأثرها على الحركة العلمية فيها في العصر

الأموي"، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام: الأوقاف في بلاد الشام، تحرير الدكتور محمد عدنان البخيت، مطبعة الجامعة الأردنية، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ٢٠٠٩م، ص ١٣-٢٧.

د - المجلات:

يذكر اسم صاحب البحث أو المقالة كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي تنصيص هكذا " " ويذكر اسم المجلة بالحرف الغامق للمجلات العربية، وبحروف مائلة للمجلات الأجنبية، ورقم المجلد والعدد، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن حمزة، "الوضع والاشتقاق والدلالة"، مجلة المعجمية، تونس، ٢٠٠٢م، العدد ١٨، ص ٨١-٩٨.

١٨. يراعى عند الإشارة إلى الصفحة أو الصفحات المقتبس منها في الحواشي، ما يأتي:

- يوضع الرمز (ص) للدلالة على الصفحة أو الصفحات المقتبس منها إذا كان المصدر أو المرجع عربياً والحرف (p) للصفحة الواحدة، و(pp) لأكثر من صفحة إذا كان المصدر أو المرجع أجنبياً.

- يذكر اسم السورة ورقم الآية أو الآيات في متن البحث، وبرسمها القرآني.
- يذكر الحديث النبوي الشريف ومظانه ومصادر تخريجه من كتب الحديث النبوي الأصول، ويوثق كل مصدر منها توثيقاً كاملاً.

- عند ورود بيت أو أبيات من الشعر، يذكر اسم الشاعر والبحر ومصادر تخريجه.

- يذكر اسم المؤلف كاملاً عند الاستشهاد بمخطوط ، ويذكر عنوان المخطوط كاملاً، ومكان وجوده، وتاريخ النسخة، وعدد أوراقها، ورقم الورقة.
١٩. تكتب أسماء الأعلام الأجنبية في متن البحث بحروف عربية (ولاتينية بين قوسين) على أن يذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.
٢٠. تكتب أسماء أعلام التراث العربي الإسلامي في متن البحث كاملة مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي بين قوسين للأعلام، وتعرف المواقع في ضوء المراجع الحديثة.
٢١. توضع أرقام التوثيق بين قوسين ، وتكون متسلسلة من أول البحث إلى آخره.
٢٢. يقدم كل صاحب بحث قبل النشر سيرته الذاتية في حدود (٥٠) خمسين كلمة تقريباً، تتضمن أعلى مؤهل علمي، والجامعة التي تخرج فيها، ومكان عمله، ومركزه الوظيفي واهتماماته العلمية، وعنوان بريده الإلكتروني.
٢٣. يقدم إلى صاحب البحث نسخة من العدد المنشور فيه بحثه و(٢٥) خمساً وعشرين مستلة من بحثه.

ترسل البحوث والمراسلات إلى المجلة على العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ص.ب (١٣٢٦٨) عمان (١١٩٤٢) الأردن

هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٤٣٥٠٠

ناسوخ (فاكس): ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٣٨٩٧

البريد الإلكتروني: almajmajournal@ju.edu.jo

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
أولاً: البحوث	١٥
١-سؤال التعادلية، الجوهر الروحي والمظاهر المادية: دراسة في رواية شاكر الأنباري "كتاب ياسمين"، الرؤيا وجماليات التشكيل.	١٧
٢-ظاهرة التفريق في التعليل اللغوي	٩١
٣-علل التفضيل في القراءات القرآنية السبع في كتب الاحتجاج "دراسة صوتية حديثة"	١٦١
٤-مسالك الترجيح في مسائل الخلاف النحوي	٢١٣
٥-"مضامين الموشحات النبوية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة"	٢٩١
٦-تعلق الإملاء العربي بمستويات الدراسة اللغوية	٣٢٣
ثانياً: التعليقات والمناقشات	٣٦٩
٧-المكتبة العربية في نيجيريا: تطورها وأنواعها ووظائفها	٣٧١

أولاً: البحوث

سؤال التعادلية، الجوهر الروحي والمظاهر المادية:
دراسة في رواية شاعر الأنباري " كتاب ياسمين"، الرؤيا وجماليات التشكيل

أ. د. محمد علي الشوابكة *

ملخص

يناقش هذا البحث سؤال التعادلية بين الروح والمادة في رواية "كتاب ياسمين" للروائي العراقي شاعر الأنباري. وقد شغلت هذه المسألة المفكرين العرب منذ عصر النهضة حتى أيامنا هذه، وربطوها بالظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية، وكان ممن انشغل بهذه المسألة الطهطاوي والمويلحي وتوفيق الحكيم وغيرهم. وفي الرواية الحديثة جعل شاعر الأنباري سؤال التعادلية موضوعاً أثيراً ومركزياً يغطي معظم صفحات روايته "كتاب ياسمين". وتأتي هذه الدراسة لمناقشة إشكالية التعادلية بين الروح والمادة والعقل والقلب من خلال تحليل نصي ينطلق من الرواية نفسها، ويحاول تحليل البنيات الرئيسية التي أسهمت في جلاء هذه القضية وبيانها، ومن هذه البنى الزمان والمكان، بالإضافة إلى العتبات النصية ومسألة الميتاسرد.

* جامعة مؤتة.

Abstract

Equilibrium between spirit and matter has been a favorite topic in the works of thinkers since the modern Arabic Liberal Age until the present time. Arab writers relate it to the historical, political and economic conditions reflecting the range of interaction between the Arabs experience and that of the West. Among those writers were al-Tahtawi, al-Muwaylihi and al-Hakeem. Perhaps the most important novelist who tries to explore this question is the Iraqi Shaker al-Anbari in his novel "Kitab Yasmeeen". This study deals with this substantial question of equilibrium through a textual analysis of the novel, by scrutinizing the structures of time, place and point of view, in addition to discuss the issue of metafiction and parallel texts.

مقدمة:

في خضمّ التواصل مع الغرب برزت مجموعة من الأفكار المتصلة بوعي الذات ووعي الآخر؛ للتمكن من تحديد موقع للإنسان العربي في خارطة العالم الحديث. ومنذ الحملة الفرنسية، وما سبقها ونجم عنها انبهر بعض المثقفين بثقافة الآخر ومدنيّته، وسعوا إلى امتحان مفردات هذه المدنية في ضوء القيم والمعايير الإسلامية والشرقية. وقد تباينت آراء المفكرين ومواقفهم من هذه المدنية التي بدأت تفرض نفسها فرضاً على المجتمعات الشرقية، فرفض فريق منهم هذه الحضارة الوافدة لماديتها وقيامها على الوضعية ونفي الغيبيّ، وقبل آخرون بها قبولاً تاماً دونما مساءلة أو عرض على الثقافة الأصلية، وانتبه فريق ثالث إلى إيجابيات هذه الحضارة، كما انتبهوا إلى سلبيّاتها، وكانت المعضلة التي تواجههم تتمثل في تطويع الإنجازات العلمية لخدمة المجتمعات الشرقية دون تبني القيم الفكرية والفلسفية التي أنجبت هذه الحضارة التي قد تصطدم مع الثوابت الدينية ومنظومة القيم والعادات والمعايير المتسمة بالثبات؛ لذا راح هذا الفريق يتبنى مبدأ الفحص والاختيار، وبرز من هؤلاء " رائد النهضة " رفاعة الطهطاوي في مجمل أعماله (تخليص الإبريز، مناهج الألباب، المرشد الأمين...). تبني الطهطاوي موقفاً نقدياً قاده إلى التوفيقية التي ترحّب بالإيجابي القائم على العقل والمعرفة، وتستبعد السلبي المتناقض مع القيم: شجع هذا الشيخ على بناء المدارس الحديثة، وتعليم المرأة، وتشديد المستشفيات وتأسيس الكليات للطب والهندسة والصيدلة، واحتفل باللغات، وآمن بالحرية؛ فترجم الدستور الفرنسي... ولكنه كان غالباً ما يقارن قيم الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية عبر تجربتها الطويلة؛ فكان الطهطاوي من أوائل التوفيقيين بين المادة والروح، والعلم والإيمان في العصور الحديثة. وتلا هذه المحاولة محاولات أدبية ساطعة، كمحاولة محمد إبراهيم المويلحي في "حديث عيسى بن هشام"، الذي حاول فيه

الانتهاء إلى ضرورة الأخذ بأسباب الحضارة العلمية دون التخلي عن القيم الروحية التي على أساسها تبنى الحضارات.

لعلّ أبرز من جسّد ثنائية المادية والروحية بين الغرب والشرق فنيّا توفيق الحكيم في روايته " عصفور من الشرق"؛ إذ جعل الغرب نموذجاً للمادية والشرق مثالا للروحية. والمادية التي يقصدها أن الغنى والثروة والإشباع الجسدي واللهث وراء الملاذ والمتع المادية- تشكّل أعظم القيم التي يسعى إليها الإنسان الغربي دون كبير اعتبار للمتطلّبات الروحية، وقد عزا الحكيم هيمنة المادية إلى الثورة الصناعية والرأسمالية اللتين حولتا الإنسان إلى سلعة تباع وتشترى، وآلة لا تتوقف عن العمل ليل نهار، ولم تنظر إليه إنسانا من روح وجسد، أما السبب الآخر لهذه الهيمنة المادية فهو غياب " التعادلية" التي أفرد لها الحكيم مصنفاً خاصاً، وفي الكتاب كما في الرواية، يرى الحكيم أنّ التوازن بين الإيمان والفكر، والقلب والعقل أمر حيويّ يجعل الإنسان يعيش حياة متوازنة سعيدة، وإذا اختل هذا التوازن أو التعادل سيعاني المرء من جحيم الأمراض النفسية والعصبية^(١). في كتابه " التعادلية" يرى الحكيم أنّ العصر الحديث جعل الإنسان مركز الكون بلا منازع، وأنه إله الوجود بحرية مطلقة، وفي توجّهه هذا وضع الغرب نهاية للأديان، وطبع نفسه بطابع مادي بحت^(٢). إن الغرب أكّد أهمية العلم والحياة المادية على حساب الحياة الروحية والقيم التي تمثلها، في حين أن الشرق تجاوز هذه الأحادية وزاوج بينهما. وفي " عصفور من الشرق" يؤكد إيفانوفيتش (إحدى شخصيات الرواية) أن الإسلام يُعدّ حضارة متكاملة متوازنة؛ لأنه يأخذ بعين الاعتبار أهمية انصهار العمل بالإيمان والدنيا بالدين^(٣).

١. التعادلية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٦: ١١؛ وانظر: عصفور من الشرق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤: ١٥٤.

٢. التعادلية: ١٦.

٣. عصفور من الشرق: ٨٢.

وثمة محاولات روائية كثيرة مثلت هذا التمازج والتعادل كأعمال شكيب الجابري والطيب صالح وغيرهما.

وتعدُّ رواية " كتاب ياسمين" من الأعمال البارزة التي اتخذت من التعادل والتوازن بين الجسد والروح محورا رئيسا لها؛ فدار حكي الأقوال والأحداث حول هذه الثيمة، ووُظفَ الزمان والمكان والشخصيات في إبرازها وإضاءتها بشكل يتسم بالتكرار؛ ممّا يجعل تحليل البنى الفنية في هذه الرواية متصلا اتصالا وثيقا بتجلية التعادل بين الجسد والروح، ويجعله جزءا لا يتجزأ منها، انطلاقا من أن البنية منتجة للدلالة، وأن الشكل الفني إنما هو تعبير عن " الرؤيا" أو مجموعة الأفكار الشمولية التي يسعى العمل الفني إلى مساءلتها والخوض فيها، وإنما جاء الفصل بين سؤال " التعادلية" وجماليات التشكيل لتنظيم فقرات البحث، والإسهام في جلاء مفاصله التي تقع ضمن مجموعة من المحاور، يتناول الأول بإيجاز ثنائية الجوهر الروحي والمظاهر المادية، أو الجسد والروح، ثم يلي ذلك، بما يضيء هذه الثنائية ويخدمها، محور العتبات النصية، ثم البناء الزمني.

وعلى الرغم من خصوصية هذه الكتابة الروائية، وتوقيعها على إشكالية بارزة تتمثل في سؤال " التعادلية" بين المادي والروحي، وعلى الرغم من جماليات اللغة الموظفة، وبروز تقنية " الكتاب" داخل العمل الروائي... فإن هذه الرواية لم تحظَ بأي دراسة متكاملة جادة، باستثناء ما عثرت عليه من ثلاث مقالات قصيرة جدا منشورة في بعض المواقع الإلكترونية، وسأشير إليها عند توظيفها والإفادة منها. إن هذه الدراسة تنطلق من النص نفسه بوصفه بناء مستقلا؛ ولذا فإنها ليست معنيّة بأي بعد تاريخي، أو واقع اجتماعي بعينه، ولكنها ستشير بالتأكيد إلى بعض المستندات النصيّة الخارجية (الصوفية مثلا)؛ لأنها ذات وظيفة في البناء، ولأنها امتزجت بالسرد، وأصبحت جزءا منه.

الرؤيا:

١. تدور الأحداث المتعلقة بإشكالية الجسد والروح، في معظمها، في مكان واحد يمثل الحاضر السردى، وتطلق عليه ياسمين، وهي الشخصية المحورية الثانية بعد شخصية البطل المركزية/ مؤلف الكتاب- " مركز القلب المغني"، تأخذ ياسمين المتلقي بعيدا عن عالم المادة المجردة، عالم يحشد كل شيء لإشباع الرغبات الجسدية دون غيرها، فيصبح الإشباع هدفا بذاته؛ مما يفضي إلى البوهيمية، ويخرج البشر من دائرة الكائنات الاجتماعية. إنّ هذا التوجّه يُغرب الإنسان عن الأحاسيس والمشاعر والعواطف والانفعالات، ويحول بينه وبين لذة التذوق والتبصر والتفكير والاستنتاج المعتمد على الحدس؛ لذا جعلت ياسمين اسم المكان مركز القلب المغني، وليس القلب هنا إلا القلب بالمعنى المجازي، وربطت القلب بالغناء، فجعلت الغناء صفة له؛ لأنها تعتقد أن الغناء لا يخرج إلا من القلب، ولا يسعى إلا إلى صقل الروح وتهذيبها. ومما تؤكد ياسمين أن اندماج الروح بالجسد " في كل واحد... لا يوهب للشخص، عليه أن يصنعه في رحلة شاقة مع النفس"^(١)، هذه الرحلة هي عينا الرياضة الروحية، الميل الشديد إلى التأمل والتفكير في الكون، المثابرة، الجلد، الصبر... لأن هذا الاتحاد يتطلب توضيحات تجعل الإنسان، كما ترى ياسمين، " بلورة تشف عن أبسط الأنوار"^(٢). تؤكد المقولات التي تقدمها ياسمين، بوصفها ساردة مشاركة، أن الروح والمعاني التي تمثلها تفتقر إلى القيمة بمعزل عن الجسد، فلا غنى لأحدهما عن الآخر، وكل عضو في الجسد يتوفر على طاقات هائلة ذات وظائف عاطفية ونفسية وفكرية؛ لذا ينبغي أن توجّه هذه الطاقات توجيهها صحيحا.

١. شاكر الأنباري، كتاب ياسمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٠: ١٤.

٢. نفسه: ١٣-١٣.

إنَّ أولَ مرحلة من مراحل المركز، كما تخبرنا الرواية، هي مرحلة " التأريض " حيث تتحدد علاقة الإنسان بالحياة التي يعيشها، بالعمل والمشاركة، والعلاقة بالمحسوسات، إنها " علاقة الجسد بالأرض " ^(١). والتأريض يعني أيضا الوقوف داخل النفس... والإحساس بالثقة في مواجهة الحياة ^(٢)، وذلك كله لا يجعل المرء غريبا عن ذاته، وإنما يدفعه إلى التصالح مع الذات والقبول بها، عندها يستطيع أن يتابع حياته، وينجح في تحقيق ما يُحسِّن واقعه، التأريض بهذا المعنى ماديٌّ وروحيٌّ معا؛ لأنه " الأمان الذي يكمن في الرجلين " ^(٣). وهكذا تتحدث عن أعضاء الجسد وعلاقتها بطاقات البشر، تتحدث عن الساقين والقدمين والفخذين والحوض والظهر في مواقع متباعدة من النص: تتجزأ هذه الأعضاء ما لا يُتصوَّر، وما هو خارج عن المألوف من معانٍ وقيم وقُدَّرات تُقدَّم في النص على شكل " حكم "، وأقوال مجردة من الفعل أو الحدث أحيانا، ويختلط في هذه الحكم الواقعي بالفانتازي، وتوجّه إلى متلقٍّ مباشر يتمثل، في الغالب، بالبطل / المؤلف للكتاب (وليس للرواية). كيف يستطيع الإنسان أن يعلوَّ على مشاعره السلبية، لا سيما إذا كان تواقا إلى السموِّ باحثا عن المثالية؟ عليه أن يكون منقادا إلى ضمير حيٍّ لا يموت مهما عاش الإنسان في عالم الحقيقة والتلوُّث. الضمير، في نظرها، هو " الوعي المطلق، والنفس الحقيقية، والضوء سموٌّ ونظافة، وارتفاع عن المشاعر الملوثة من كره وحسد وحقد ومعارك صغيرة، ونجاحات باهتة وأنانية ويأس، هو التوق نحو الاتحاد بالمطلق والخلود " ^(٤). وفي ثنايا هذا الحديث نرى أنَّ التَّوازن يمكن أن يقود إلى بناء حضارة إنسانية بريئة من الحروب والكوارث، والأسوار المبنية بين دين ودين وشعب وشعب ^(٥). أما قابلية

١. شاكر الأنباري، كتاب ياسمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٠: ١٤.

٢. نفسه: ٢١.

٣. نفسه: ٢١.

٤. نفسه: ٦٠.

٥. نفسه: ٦١.

وضع الإنسان حدوداً لنفسه فتتركز في منطقة الفخذ والحوض: منبع القوة والرغبة الجنسية والثبات. ويستثمر الحديث عن الأعضاء لتحليل ماهية الجنس طاقةً إنسانية، فإذا ما أحسن استخدامها تخلق إرادة الشعور بالاسترخاء المتمثل في بلوغ الذروة الجنسية، وإذا لم يُحسن استخدامها فإنها تصبح مدمرة. إن الذي تُلحّ عليه ياسمين هو التعادل المُفضي إلى الذروة المقننة: "إنها موازنة بين السيطرة والاسترخاء. وفي الحدود الدقيقة بين الحرية والانضباط"^(١)، وتعد الساردة توحيد الأجساد في كل واحد بين اثنين: "روح هذا الوجود"^(٢).

وتفقد التجارب والممارسات الروحية ياسمين إلى منح "الظهر" سمات تبدو غريبة خارجة عن المألوف؛ فالظهر مركز نفسي وجسدي، ومعظم ما يقبع فيه مرتبط بالماضي الذي يحول، عادة، بين المرء وتحقيق ما يريد، ويشكل عائقاً يضعف القدرة على استثمار ما يمتلكه الإنسان ليحيا حاضره. والتناقضات التي يمتلكها الفرد في "الظهر" تتعكس، عادة، على شكل عواطف وانفعالات، وهذه تخلق عدم قدرة الإنسان على تحمل المسؤولية؛ فيلجأ إلى إسقاط عجزه وفشله وإخفاقاته على الآخرين، ويعددهم مسؤولين عن كل ذلك. ويكمن الحل لهذه المعضلة، فيما ترى، في "التقبل"^(٣)، أي قبول كل عنصر للآخر المجاور له، وأن يعده مصدراً يغنى بوجوده، ونقيض التقبل الهروب، وهو ما يؤدي إلى الفشل والإخفاق، إنه الانهزام أمام الذات، ولا ينبغي أن يهرب المرء من ماضيه أو حاضره، بل عليه أن يتجرأ فيعرّي نفسه أمامها وأمام الآخرين، وهذا ما دفع كثيراً من الشخصيات إلى البوح عما يعتلج في النفس. لقد دُفع بطل الرواية إلى التوقيع على الذات الإنسانية نتيجة القساوة التي عاناها، عاش حياة من التردد وعدم الثبات والاستقرار، أخذته إلى قلق عميق؛ فأخذ يبحث عن حلول قادته إلى

١. شاكر الأنباري، كتاب ياسمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٠: ٦١.

٢. نفسه: ٦٦.

٣. نفسه: ٩٧-٩٨.

عالم ياسمين الذي ينشغل بتحليل العالم الباطني وتلاحمه بمفردات الواقع وتجليات الحياة الإنسانية الواسعة بشكل يتجاوز ثنائية المادة والروح إلى محاولة التوحيد بينهما في كل متكامل، وإذا كان البطل يسعى إلى الخروج من هذه الثنائية، ويبحث عن استقرار نفسي وصفاء روحي، فإن عالمه البديل سيكون مدينة الحلم، المدينة الفاضلة، على وفق السياق الروائي، مدينة المعاني والأفكار المجردة التي تصهر الجسد والروح في بوتقة واحدة، وهي مدينة رمزية تشكلت عبر توجيهات ياسمين وأفكارها.

وحتى لا يبقى الحديث أفكاراً مجردة يلجأ السارد العليم المحايد إلى تدشين بعض الأحداث لنتعرف من خلالها على بعض ردود الأفعال، ومن أمثلة ذلك ما حدث للبطل عندما تقوم رفيقته بـ"تدليكه"، يحاول أن يسيطر على الأمر، ويضبط إيقاع ذهنه، ويهرب، أحياناً، من راهن اللحظة إلى ماض بعيد يُعيدُه إلى البرية الشاسعة، ذات الأرض الرمادية^(١). وكلما أمعن الفتاة الرفيقة في لمسها أوغل هو في الماضي، وغاص في التفاصيل ذات الصلة بطفولته وصباه، وقرينته وحقولها، والنهر الجاري في أرضه... والغريب أنه يستغرق في الوصف مازجا إياه بسلسلة من الوقائع الصغيرة، مقدماً بذلك صورة تعبيرية تمتزج فيها الأشياء بالزمن. كما تمتزج فيها الذكريات والقيم والمعاني بالجسد: جسده وجسد رفيقته. إن الاستدعاء هنا ليس مرده الحديث عن الماضي وحسب، وإنما الاسترخاء وذوبان الروح في الجسد بشيء من الهذيان، ويتجلى ذلك في ترده في الحديث عن ماضيه والقفز الزمني والخلط بين الشخصيات، ففي غمرة النشوة الجسدية الروحية التي يشعر بها ورفيقته، يعود إلى الماضي ليتذكر صديقه المحبب (سعيد) ووالده، والعودة إلى ياسمين، ثم يتحدث عن الهروب

١. الرواية: ٦٧.

واجتياز الحدود، ودخول المجمع^(١)، وستناقش مسألة التداخل بين الأزمان وتيار الوعي عند الحديث عن البناء الزمني.

وتحمل ياسمين أعضاء الجسد دلالات أوسع من المؤلف، وتربط بين الحالة النفسية والروحية، ومكونات الجسد بشكل مكرر يبعث، أحياناً، على الإملال: "فعضلات الساق الخلفية تدل على الاستقلالية في التعامل، الإرادة والصبر. الطبقة الداخلية من العضلات ترمز إلى قدرة الوقوف على القدمين دون مساعدة، حين يحصل خلل ما في الإرادة، الاستقلالية، الثقة بالنفس، التواصل مع المحيط، عند الشخص سرعان ما ينعكس ذلك على هذه المنطقة"^(٢)، فهي تؤكد التأثير المتبادل بين السمات النفسية والروحية والأعضاء الجسدية.

ومما يلفت الانتباه أن هذه الأفكار جاءت على شكل حكم صيغت، أحياناً، بشكل مقتضب معبر عن خلاصة تجارب طويلة عميقة تعكس معاناة الإنسان وتوقه إلى الحرية وامتلاك الإرادة؛ مما يقودنا إلى الإشارة إلى الحكمة باقتضاب؛ لأن الحكمة نوع من السرد مستخدم في الرواية العربية المعاصرة. يجعل عبد الفتاح كيليطو الحكمة جنساً من أجناس السرديات العربية ينتمي إلى نمط من الخطاب التعليمي، والمثل عنده ينبني على عنصرين، الأول: سرد الحكاية، والثاني حكمة لولاها لما رويت الحكاية^(٣). وفي "كتاب ياسمين" نجد أن السارد أو البطل المؤلف للكتاب داخل الرواية أو شخصيات أخرى تنص على كلمة "حكمة" نصاً، فالبطل، على سبيل المثال، يرى أن ياسمين عصية على التعريف، فكرة تجسدت في امرأة متميزة في بيتها وموجوداته، ذات أفكار

١. الرواية: ٦٦-٧٨.

٢. نفسه: ٦٦.

٣. سامي بالحاج علي، "السرد والأسلوب في الرواية العربية"، مجلة علامات، مجلد ١١، جزء ٤٣: ٤٨٤.

غريبة، حكيمة^(١). تُقدّم الحكم ممتزجة بالسرد، موظفة في إضاءته، ومعظم الحكم والأفكار المجردة قدمت من خلال رؤية داخلية منقولة. إن رصد الأفكار والمعاني يشير إلى أن ياسمين تقدم الحكمة والمعاني العامة بناء على تجاربها التي تُجاور بين المفهوم والمحسوس؛ فإذا كان الحب، مثلاً، هو المطلب الأسمى للمرء، فإن الوصول إليه يحتاج إلى كثير من العناء والمكابدة والاستغراق في أعماق النفس واستبطانها، ولا تنسى ياسمين أن تربط ذلك بالجسد، فها نحن نقرأ كلاماً مجرداً: "كل جسد يحتوي على مراكز تلقي الضوء على مختلف طبقات الشعور. مراكز تشع، ما سفلى منها احمرّ، وما علّا منها ابيضّ، في تاج الرأس، يشع ما خف من أفكار وأنوار ومحبة. المحبة ضوء ألق كأنه صادر من مجرّة، تلك المراكز بؤر روحية، وعلاقتنا بها تحدد علاقتنا بالعالم الخارجي. حين تتوازن المراكز ينجح المرء بحل إشكالات الجسد، الجنس، العاطفة، القلق، التوازن، التركيز، الخوف، الشجاعة، الصبر، المواجهة، الثبات، التناغم الداخلي، الإنجاز، التحقق، الحضور، حتى الوصول إلى درجة الحب، منتهى الطموح"^(٢). ومن المسائل التي انتبعت إليها المرونة والانضباط والمغامرة والصمت ..^(٣) وهي أمور قد تبدو متناقضة، ولكنها جاءت في مواقعها من السرد منسجمة مع الأطروحة المركزية في الرواية اتحاد الجسد والروح.

٢. لا يبدو الغرض من السرد على هذا النحو تقديم نتف متناثرة عن حياة الشخصيات التي قد تعكس شرائح اجتماعية (من خلال الأسماء والأعمال في حالات قليلة) في العراق أو في أي قطر آخر، وإنما يتجاوز السرد في خلقه للشخصيات، وإدراجها في العمل الأحداث التي تنتمي إلى تاريخ محدد معين، يميل السرد إلى انتقاء نماذج بشرية تجمع بينها سمات متقاربة، تتجاوز الخاص إلى العام؛ فتجرّد منه مقولات تبدو واسعة الدلالات لتتسع للمادي والمعنوي،

١. الرواية: ٤٨.

٢. نفسه: ٥٢.

٣. نفسه: ٥٣، ١٢١، ١٢٤، ١٧٠...

الجسدي والروحي، ولم يأت ذلك بالمعنى الديني المتداول أو المعنى الصوفي الذي انتهى إلينا من خلال الكتابة أو الممارسة العملية، بل على العكس، سنجد، فيما بعد، أن لهذه الثنائية دلالة مناقضة للمتواضع الاجتماعي والفكري الديني بالمعنى الواسع للدين بحيث يشمل الاعتقادات البشرية زيادة على الأديان السماوية.

منذ البداية تطل علينا الشخصية الرئيسية منهكة في ممارسة روحية فريدة يتخلص الإنسان فيها، حسب السياق، من كل أوشاب البؤس والشقاء والحياة السلبية ليستقر في " مركز القلب المغني " تتنازع، في البداية، قوتان جادبتان: قوة الحياة الروتينية العادية بما فيها من أوجاع (الجسد)، وقوة الروح التي تحاول إنقاذ الإنسان مما يحيط به، وصقل شخصيته بحيث يكون قادرا على اكتشاف جماليات الكون وتنويعها، وجماليات القوى الكامنة في الأعماق النفسية، ويتم ذلك بواسطة الاستغراق الكلي في أعماق الذات؛ ليكتشف الإنسان، بالترويض، أجمل ما فيه وفي الإنسانية من سموّ وصفاء فريدين. إنّ مقصد السرد هو تقديم رؤية كونية غير منضبطة بمؤسسات اجتماعية أو دينية أو أخلاقية مستقرة مألوفة، رؤية تحاول التأسيس لخلق منظومة إنسانية تتبجس مما هو أرضي. ولعلّ ما يُعزّز ذلك أنّ البطل في واحدة من أوائل تجاربه التي، على وفق ما ترى ياسمين، ينبغي أن تتغلب على كل تجربة سابقة دون أن تطمسها، يمحو الإنسان فيها كل شيء في الذهن، كل صورة أو وجه أو فكرة، يحدق المرء في اللاشيء، ويغلق الحواس عن العالم الخارجي. والبطل الذي يعيش هذه التجربة يحاول الانقطاع عن العالم الخارجي بإرادة حرة. ويخبرنا السارد المحايد عن هذه التجربة بقوله: " وأغلق أنفه عن الروائح الأنثوية الطاغية في الهواء. تخطر في رأسه بلمحة صور فاضحة وأعضاء جنسية سرعان ما تزول؛ لأن زمام الأفكار في يده، كلما انفلت يعيده إلى مكانه... يروم القفز إلى جنة الوهم المزركشة بالأطيار النارية والغناء الساحر والفواكه المحرمة والنساء العاريات

فيطبق على رسنه... ليستوي تحته، يوجهه نحو مبتغاه، نحو ذلك الهدف البعيد الذي وضعه أمامه. سيتعلم كيف يصبح قائد أوركسترا الروح والجسد^(١). والمتتبع لسيرة ياسمين يجد أنها لم تكن سويرة بالمعنى الأخلاقي خارج السياق الروائي، وفي ذلك يقول قارئ الرواية: "أما هذه الرواية فوضعت تاريخاً للروح، بوابته تشبه الزهد، لكن ليس بالمعنى الصوفي، وليس بمعنى الإيمان العقائدي، بل بمعنى الجمع بين التجربة والحكمة. فياسمين الشخصية المركزية كانت غير سوية في المعنى الأخلاقي، لكنها، بعد أن كادت تغرق وتُسجن في التفاصيل، قررت الدخول إلى بيت الحكمة، مدركة أن المرء لا يمكنه مواصلة رحلته الشائقة من المادة إلى الروح إلا بعد أن تكون علاقته بأصغر المخلوقات، وبأكبرها، على مسافة واحدة"^(٢). وعلى الرغم من هذه الحكمة فقد يبدو ما يرد في النص متناقضاً مع المتواضع الاجتماعي؛ مما يُضلل المتلقي لأول وهلة، ولكن الأمر لا يقرأ على هذا النحو، وإنما على قاعدة أن القارئ يواجه أفكاراً ووجهات نظر مختلفة عن المعالجتين الدينية والعقائدية، والصوفية المتوارثة أو الممارسة، وما يرد في النص خلق لمعايير خاصة به. ثمّة تعاقد ضمني بين المتلقي والرواية ينسجم مع أعراف القراءة التي لا ترى في العمل الفني نقلاً أميناً للواقع، وإنما قراءة لواقع مغلف برؤيا فكرية، ويقول عبد الله إبراهيم في ذلك، في سياق مختلف: "فالعقد السردي لا يحتمل تفسيراً مباشراً نرتّب عليه مضار أخلاقية؛ لأن الآثار الأدبية تقوم بتمثيل شفاف لمرجعيات بعيداً عن الضوابط والمعايير..."^(٣). ومهما يكن فإن التبشير بقيم التسامح والعدل،

١. الرواية: ١٣.

٢. خضر الآغا، "حكاية امرأة تقود الآخرين إلى عالمهم الداخلي ليروا كنوزه الكثيرة"، الحياة،

١٤/٢/٢٠٠١، رقم العدد: ١٣٨٥٠، ص ١٨.

(http://daharchives.alhayat.com/issue_archive).

٣. عبد الله إبراهيم، "الرواية العربية والموقف الثقافي"، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة،

مجلد ١٢، جزء ٤٧، مارس، ٢٠٠٣: ١٤.

والحرية والإرادة، والتعاون، والسعي نحو آفاق رحبة من النماء والتقدم-كل ذلك لا ينفي وجود أشكال من المفارقات التي تتجلى في مسالك الشخصيات، بما فيها شخصية ياسمين.

في الوقت الذي تدعو فيه ياسمين إلى الانسجام والتوحد بين الروح والمادة، نلمس، على المستوى العملي، سيطرة اقتراف المحرم الديني، كالزنا ومعاقرة الخمرة...، على كثير من مقاطع السرد، ولكن هذه المسالك لا تشكل خطرا على الفاعل أو المشارك، بل على العكس، تستثمر، فنيا، وسيلة لصقل الروح وتهذيب النفس على النحو الذي توقع عليه الرواية. عندما ننظر، مع البطل، في صورة فوتوغرافية لياسمين مثبتة فوق الباب قد نصاب بالدهشة، ولكن البطل يدافع عن الموقف، يقول: صورة " مثبتة فوق الباب... بدت ياسمين شبه عارية، وثمة رجل ممدد على أريكة من الخشب. الرجل نائم على بطنه وهي تتحني عليه. يداها الاثنتان تمسان كتفيه مسا خفيفا... لا يمكن أن تكون في طقس جنسي، فتعايير وجهها تسامت فوق رغباتها الأرضية بوضوح. ثمة علاقة سرية بينها وبين الرجل، وشيجة مكونة من لمس بريء ودفق روحي"^(١). وفي موضع آخر نتابع مشهدا يجمع بين البطل وصديقة له، نلمس فيه إعلاء من شأن الجنس إلى حدّ يعدّه البطل طقسا من الطقوس، يجعل عالم ذاته عالما ملونا متجددا. وترى صديقه أن الخمرة والنار مصدران للسعادة، يقول: "لقد جاءت لتدخل عالم السرور والرغبات..."^(٢)، وتتنظر صديقه (مرام) إلى النار نظرة العابد المتأمل، وتفسّر عبادة الناس لها: "النار سرها عجيب. تصعد دائما إلى فوق. هل تمتلك روحا؟ كثيرا ما تمنيت أن أتحوّل إلى لهب، أتخلص من جسدي الضعيف ورغباتي التي لا تنتهي. يقولون إن البشر عبدوا النار لأنهم وجدوها حارقة، أما أنا فأظن أن السبب الحقيقي هو أنهم وجدوها جميلة. الإنسان يعبد الجمال، ولا يوجد ما هو أصفى من النار"^(٣).

١. الرواية: ٢٣.

٢. نفسه: ٤٦.

٣. نفسه: ٤٧.

لم يلجأ الكاتب إلى تجزئة المفاهيم والقيم التي يبشر بها السرد، وعندما يتحدث عن التعادلية، فإنه لا يؤشر إلى ازدواجية أو ثنائية، وإنما تظل أفكاره تدور حول الاتحاد بين ما قد يعد من المتناقضات، وليس كذلك، فالجسد ليس نقيض الروح. والمتأمل في " تعاليم" ياسمين يجد أنها تدعو بصوت مرتفع إلى حالة من الحلول والاتحاد بين الروح والجسد، ليس على النحو الذي الذي نجده عند المتصوفة، وإنما على نحو لا يطغى فيه عنصر على آخر؛ فلا يصبح الإنسان عبدا للمادة والجسد، ولا ينقطع عن الحياة الإنسانية التي تضم في ثناياها المتناقضات، ياسمين تحاول أن تثبت ما هو إيجابي في الإنسان، تغذيه وتطوره، وتقضي ما هو سلبي فيه.

بيد أن الرواية وهي تقدم أفكارها لم تقص الإشارة إلى الأبعاد الصوفية، وإنما تقاطعت معها بشكل ينزاح بالمعاني والمفاهيم عما وضعت له؛ الدين عامة والتصوف خاصة هو علاقة بين الإنسان وخالقه. الدين يجمع بين الحياة الروحية والحياة الدنيا، فهو حب وتعلق وعبادة للخالق. والصوفية في أصلها علاقة مع الله تعزف عما هو دنيوي وتتشبث بالله وحده، لكنها في تطورها، آمنت بالاتحاد بالذات الإلهية وبشرت بـ " الحلول" وذوبان الإنسان في خالقه. أما الرواية فلم تنحصر أفكارها بالأديان، وإنما ابتعدت عن ذلك، واتخذت التأمل منهجا لها. ليس التصوف أساسا لأفكار الرواية، ولكن الرواية أفادت منه لتتقضه أو تتعالى عليه، حب الله هو الأسمى عند المتصوفة، وحب الإنسان عامة هو مطمح بطل الرواية وشخصياتها، دون الالتفات إلى دين أو عقيدة، والأمثلة على ذلك صارخة في الرواية، إذ تُقدّم شخصية " الجنرال بطرس" على نحو يوحي بالجنون؛ فهو يدعي اتصاله بستالين: " بالأمس اتصلت بالجنرال ستالين. طلبت منه طائرة خاصة لتتنقل كل الموحدين في المجمع إلى موسكو"، وفي ما يشبه التهكم يتناول الجنرال بطرس كتابا من جيب معطفه ويقرأ لابن عربي، ويحاول البطل أن يسأله عما يدور في خله من أفكار حول مسوغات الحروب ولماذا

يقتل الإنسان أخاه الإنسان، فيجده قد لاذ بالفرار لرؤيته مراقب القاعة. نقرأ مع الجنرال أفكاراً عميقة تتعلق بقصور الإنسان العادي عن معرفة الحقائق، وعجزه عن إنجاز المعجزات : " أبان لي عن سر الصعود بالتحليل. وفرق لي بين التحقيق والتخيل. وأوقفني على غلطات الأذهان والنفوس في الأعيان. وسر المشي على الماء وإبراء الأكهم، وإحياء الموتى....

حبيبي تراني عند باب جلالكم فهل لي من سبيل ومن قرب
تريد جفوني أن ترى نور وجهكم فتشهدكم عيني ويرعاكم قلبي

....." (١). وعند الحديث عن الرقص والموسيقى، نجد ياسمين تشجع مريديها على التذوق الموسيقي؛ لأنه متصل بالروح، وبعد الاستماع والدراسة ينتهي البطل إلى: "أنها موسيقى تخاطب الجانب الإلهي في الإنسان" (٢)، وحينما يشير البطل إلى الماء لا ينسى أن يربطه بأبعاد صوفية، فالماء يمثل خاصية التطهير الروحي، وعندما يتسرب الماء على جسده، ويتغلغل في قلبه وأحشائه يجعله يمر بحالة من الوجد الصوفي (٣). وفي مشهد جسدي يحاول أن ينقل أحاسيسه إلى مرام التي بدت مستمتعة بالماء "كانت مثل طفل بين يديه"، تتخلل يداها شعرها وصدرها، وسائر أجزاء الجسد، وهو في كل ذلك يؤكد أهمية الماء الروحية: "ومع الماء يدخل الضوء، ليمنح الزوايا روح العري والتقبل والقناعة. كل ذلك تحت نور الوعي المسلط من مكان ما في جسدها الصغير"، ثم ينقل مباشرة أبياتا مشهورة للشاعر الفارسي المتصوف سعدي شيرازي يمدح فيها النبي (ص)، وفي هذا الأسلوب خلق لمفارقة بينة، عري، واتحاد بين رجل وامرأة من جهة، ومدح للرسول صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى، ولم يكتف بذلك وإنما أتبع المديح بأقوال لابن عربي منقولة من فصوص الحكم تتضمن عشق الفيلسوف المتصوف لله وحبه له واتحاده به. يقول شيرازي في القصيدة الولاتية: "بلغ العلى بكماله/

١. الرواية: ٨٠-٨٢، هكذا ورد البيت الأول، ولعل الصواب: فهل لي لقاء من سبيل ومن قرب

٢. نفسه: ١٥١.

٣. نفسه: ١٥٩-١٦٠.

كشف الدجى بجماله/ حسنت جميع خصاله/ صلّوا عليه وآله"، ثم نقرأ لأبي بكر بن عربي في فصوص الحكم كلاماً طويلاً نقلته الرواية، منه: " لقد خلقتني، وفي بحار أبديته أغرقني، وفي ببداء أبديته حيرني، تارة يطلع من مطالع أبديته فينعشني، وتارة يدنيني من مواقف قربه فيؤنسني... فلما أفقت من سكرة وجدي به قيل لي: أيها العاشق، هذا جمال قد صنّاه، وحسن قد حجبناه، فلا ينظره إلا حبيب قد اصطفيناه"^(١). إن ما يلفت الانتباه في هذه الاقتباسات أنها جاءت متجاوزة، سردياً، مع مشاهد جنسية؛ مما يشكل مفارقة تكاد ترفض الديني، وتتأى بنفسها عن البعد الصوفي. والتجاوز، وحده، دال على قصدية السرد ربط المشاهد المكشوفة بالابتهالات والتأملات الصوفية التي يسعى أصحابها إلى مدح الذات الإلهية والتغزل بها، فضلاً عن مدح الرسول الكريم.

يكاد البطل، في قفلة النص، يوقع على الأفكار والمعاني التي عالجتها الرواية بأسلوب مباشر، وُضع البطل في موقع عليه أن يختار بين التوجّه إلى الدين وما يمثله؛ الجامع بكل ما فيه من ثراء روحي، يمكن أن يجعله يطلق الدنيا ويصبح أحفورة أو سجادة، أو الخيار الثاني المتمثل بالاتجاه نحو الزقاق ليدلف منه إلى الحياة، إلى الكشف والحركة والآلام، على وفق تعبير الرواية. اليسار الذي توجهت إليه ياسمين حيث الحكمة وموسيقى الغابة لم يكن من خيار البطل، وبدلاً من ذلك اختار اليمين: رحم الحياة الحامل للروائح والوجوه الجعدة والأقدام المتشققة. يمتلك الخيار الآن؛ لأنه انتهى إلى حالة من الصفاء والقوة بحيث يكون قادراً على اتخاذ القرار، " هو صاف مثل ماء، جارح مثل شفرة"، ولا بد من أن ينجز كتباً أخرى تفيد الناس والحياة، بما في ذلك أن يكتب عن الشوق والفرح والمتعة والصوت... والكنيسة والجامع والنهر"^(٢). وبذلك يحقق البطل التعادل بين الروح والجسد من منظوره هو، وليس من خلال قيم ياسمين حسب.

١. الرواية: ١٦٠-١٦١.

٢. نفسه: ٢٠٦-٢٠٧.

التشكيل:

العتبات النصية:

ينبني الخطاب الروائي على جملة من المكونات المتضافرة التي تسعى إلى تقديم رؤية فكرية وجمالية تُكسب العمل الأدبي شعريته ووحدته. وشعرية الرواية لا تعني، بالضرورة، ما ينطبق على الشعر، وإنما يُقصد بها، زيادة على جماليات التعبير، توافر العمل على ما يميّزه من السمات والقوانين الخاصة التي تجعل منه جنساً أدبياً، وهذا يعني أنّ لكلّ جنس سمات نوعيّة، وشعرية خاصة يمكن من خلالها التمييز بين الرواية والقصة القصيرة والسيرة وفن الرحلة... مع أنّها جميعها من أنواع السرد. تنهض الرواية على شبكة من العلاقات المتداخلة المتضافرة قوامها الزمان والمكان والإنسان... مُصاغةً بلغة أدبية تختلف من عمل إلى آخر.

وزيادة على هذه المكونات الكبرى، فإنّ الدارس معنيّ بالانتقالات إلى العتبات النصية التي اختلفَ في الاصطلاح عليها؛ فمن النقاد من اجتهد في تسميتها بالنصوص الموازية، ومنهم من أطلق عليها النصوص المصاحبة، أو التوازي النصي، وأسماءها بعضهم المناص "بمعنى بنية نصية مُتضمّنة في النص" (١)، وتشمل العتبات الغلاف بما يتضمّنه من رسوم وألوان وعنوان، كما تشمل

١. حول العتبات يُنظر: جميل حمداوي، "السيمبوتيقيا والعنونة"، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٥، العدد الثالث، ١٩٩٧؛ وخالد حسين، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧؛ وسعيد يقطين، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم "ناشرون"، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨؛ وعبد الفتاح الحجمري عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابطة، المغرب، ط١، ١٩٩٦؛ وعبد القادر رحيم، علم العنونة، دار التكوين، دمشق ٢٠١٠؛ وعبد الملك أشهبون، عتبات الكتابة الروائية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠٠٩؛ ومحمد فكري الجزّار، العنوان وسيمبوتيقيا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.

الاستهلال السردى والتعليقات والحواشي، أي كل ما يتعلق بمناص المؤلف، أما مناص الناشر فقد نعثر عليه في صفحتي الغلاف الأولى والأخيرة؛ إذ نقرأ، مثلاً في الغلاف الأخير للرواية التي نناقشها، وصفا عاما وتقريضا للعمل بقلم أكاديمي هو د. عمر شبانة.

يتوفر الغلاف على الصورة واللون وجنس العمل والعنوان. وليس من المؤكد أنّ الصورة غنية بالدلالات؛ ولعلّ ذلك يعود إلى أنها قد تكون من وضع الناشر، ومهما يكن فإن الرسالة البصرية المتوفرة تقدّم لنا إنسانا يفتقر إلى الملامح المحددة لهوية ما، ننظر إلى شفتين تعلوهما نقطة كبيرة، ثم يعلو النقطة شبه دائرة برتقالية ضبابية، ولعلّ ذلك يشي بأن الإنسان عامّة، مهما يكن دينه ولونه وفكره، هو الذي يشكل هاجساً للرواية، وهو الذي يبحث عن الاستقرار الذي سيُلح عليه العمل فيما بعد، هذا الاستقرار الذي لا يتحقق إلّا بانسجام فذ بين الروح والجسد. وقد كُتبَ في أعلى صفحة الغلاف الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه العمل "رواية"، ثمّ بعد ذلك مباشرة اسم المؤلف.

العنوان:

ويلي ذلك العنوان الذي يعيننا في هذه الفقرة لما قد يحمله من دلالات، ولما يجعله عند بعضهم "ثرياً النص"^(١).

إن العنوان هو الواجهة الأولى للعمل، ويكتب عادة مقتضبا، أو مُفسرا بجملة أو شبه جملة في حالات معينة. إنّ شعرية العنوان تكمن في انفتاحه ومرونته، واستعصائه على تحديد دلالة قطعية؛ لأن العنوان قد يجد صدقاً في مفردات النص، وقد يكون مفارقاً لهذه المفردات. ونظراً لأهمية العنوان فقد حظي بدراسات كثيرة يبدو استقصاؤها أمراً يُثقل كاهل هذه القراءة، فضلاً عن

١. محمود عبد الوهاب، ثريا النص، مدخل لدراسة العنوان القصصي، دار الشؤون الثقافية العامة،

بغداد، ١٩٩٥.

التكرار الذي يسم هذه الدراسات، فالعنوان أول " ما يُطالعا في العمل، وغالبا ما يحمل مفارقة عجيبة؛ ليكون خادعا ومُضِلًّا، وهو آخر ما يكتب، فالنص لا يتولّد من العنوان، وإنما العنوان هو الذي ينبثق من النص"^(١). وعلى الرغم من هذا التضليل، وأنّ العنوان يرسم انطبعا أوليًّا عن النص " سرعان ما يتوقف أو يتقلص مع القراءة"^(٢)، فإنه يعدّ عند شعيب حليفي وغيره من النقاد خطابا؛ "لكونه سلطة النص وواجهته الإعلامية"^(٣).

عنوان النص، موضوع الدراسة، " كتاب ياسمين"، وقراءة هذا العنوان بمعزل عن المحتوى الصريح (المبنى الحكائي) تضع المتلقّي أمام خيارات مختلفة ينسجم بعضها، إلى حدّ بعيد مع الرواية، بقطع النظر عن التصريح المباشر الأساس (كتاب) هذه الزهرة، والحقّ أنّ القارئ للنص لا يفوته انشغال السارد بالوصف سواء أكان ذلك من خلاله، أم من خلال بطل الرواية والشخصية المركزية فيها، أم من خلال بعض الشخصيات الفاعلة ذات الصوت السردي. وقد تضمّن الوصف مظاهر الطبيعة من نبات ومناخ وحيوان وجغرافيا... لكننا نلمس توقيعا بيّنا على الأزهار المنزلية والبريّة، والأعشاب العطرية، والأشجار الوارفة، بل يبالغ الكاتب؛ فيذكر أسماء هذه الأزهار والنباتات وخاصة عند وصفه لبيت ياسمين، كأن هذا المنزل لا يبعث إلّا الكلام الطيب، والأفكار التنويرية التي تبعث في النفس الطمأنينة والراحة والسعادة، كما يُعلن النصّ في غير موضع، في بيت ياسمين ثمة " لسان الثور، قلب العاشق، أفعوانة... لبلاب مقزم، شجرة سرو في أول نموها"^(٤)، وبإضافة الكتاب إلى

١. عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، من النبوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني

معاصر، كتاب النادي الأدبي الثقافي (٢٧)، جدة، ط١، ١٩٨٥: ٢٦١.

٢. شعيب حليفي، " استراتيجية العنوان"، مجلة الكرمل، عدد ٤٦، ١٩٩٢: ٨٣.

٣. نفسه: ٨٣.

٤. الرواية: ١١-١٢.

ياسمين يشعر القارئ بملكيّة ياسمين، بوصفها علّما، للكتاب، كأنها هي التي قامت بتأليفه، والمحدّق في النصّ يجد أنه لا يدع فرصة إلّا ويتحدث فيها عن ياسمين وأعمالها وأفكارها؛ ففي "مركز القلب المغني"، كما أسمته، تقدّم ياسمين للمريدين تعاليمها في الإخلاص والحبّ والانتماء والصبر والوفاء والتكيف مع القسوة والألم... وتتولى ياسمين قيادة دفّة السرد بضميري الغائب والمخبر عن نفسه، فيكون الكتاب على هذا النحو من تأليفها ووضعها، أو على الأقل مشاركتها، ولولا ياسمين لما أنجز الكتاب. أمّا كتاب ياسمين، كما يُعلن النص صراحة، فهو من تأليف الشخصية المركزية ذات الأسماء المتعددة^(١) حول ياسمين وعلاقته هو بها كما هي علاقة الناس بها: ياسمين وأعمالها وأقوالها الحكيمة، ومجالسها المنزلية، وهذا المعنى منصوص عليه في الاستهلال السردى، وفي غير موضع من المبنى الحكائيّ، وإنما أشرت إلى الخيارين الآخرين لصلتهما بالمعاني المختزنة في النص، ولانطباق الوحدات السردية الكبرى والصغرى، بأحداثهما، عليهما.

يشي العنوان، إذن، بأن ياسمين هي بؤرة الكتاب، ومركز الأحداث، وهي الشاهد القريب على أوجاع البطل ومآسيه، كما أنها الشاهد على قسوة الحياة وما ألحقته بمريديها. كل الأحداث تكتسي أهميتها من ياسمين؛ لذا أضاف الكتاب إليها، ويقوم البطل/ المؤلف برواية الكتاب برمتيه موهما بالانفصال عمّا فيه، ولكن ياسمين نفسها تظلّ هي المطلب؛ فيعلو صوت السارد في الإشارة إليها والحديث عنها؛ وبهذا يتحدّث عن ذاته متوسّلاً بياسمين لكشف الذات وتعريتها. يصبح السارد/ المؤلف أو البطل المؤلف جزءا من العمل، بل يرويّه ويحكي لنا

١. للبطل أسماء كثيرة: سمير، رحيم، حميد، سلام. وهذه الأسماء لا تشكّل هاجسا له، من وجهة نظره هو، يقول: "وهو على قناعة تامة أنّ تغيير اسم الكائن لا يُغيّر كثيرا من وجوده"، الرواية: ٣١، بيد أنّ هذه الأسماء، على الصيغ التي جاءت عليها، تحمل دلالات الحب والرحمة والسعادة والأنس على نحو ينسجم مع كثير من التعاليم التي أفرغتها ياسمين في مجالسها الروحية.

قصة تأليفه، ويلاحظ حاتم الصكر ذلك معلقاً: " ونجد الهروب إلى هذه التقنية (تقنية الكتاب داخل العمل) تضع الكاتب في عمله أو فوق أحداثه ودلالاته"^(١). والحقيقة أن الكاتب يُطلُّ علينا منذ الاستهلال السردى، ليس بوصفه بؤرة للأحداث، وإنما لأنه يتكفل برواية الأحداث وترتيبها مبعداً، كما يرى هو، وجود راوٍ عليم يقدم لنا كلَّ شيء. إنَّ العنوان على هذا النحو يؤشِّرُ على وجود كتاب مرويٍّ حول شخصية ياسمين يفصل عن صاحبه أحياناً، ويتَّصل به أحياناً أخرى، وإلاَّ كيف يمكن تفسير رفض الواقع والتشبُّث بالحُلُم المتمثِّل بتشييد مدينة خاصَّة مُتخيَّلة تُعدُّ تعويضاً عن واقع مهشَّم مُتَشظٍّ مليء بالمآسي؟

الاقتباس بوصفه عتبة:

ويُعزِّزُ هذا الفهم إذا نظرنا إلى نصٍّ موازٍ آخر: اقتباس من كتاب " ليون الإفريقي" لأمين المعلوف، فنذكر إلى أيِّ حدٍّ يسعى السرد إلى خلق مدينة فاضلة يحيا المرء فيها بعيداً عن المطاردة والجور والظلم والبؤس والاضطهاد؛ ليغدو بحثه عن بديلٍ أمراً حتمياً، إنَّ هذه المعاني تتكرر بشكلٍ لافتٍ في ثنايا المبنى الحكائيِّ، كما سنرى، ممَّا يجعل التوقيع على قيم الخير والعدل أمراً ضرورياً مقابلاً لقيم الشرِّ. ويأتي الاقتباس قبل الاستهلال السردى، أي قبل الفصل الأول الذي يفتح به السرد، يقول معلوف: " من أي طينة أنت لكي ترضى بفقد مدينة بعد أخرى، بفقد وطن بعد آخر، بفقد امرأة بعد أخرى، من غير أن تتفاح أبدأ، ومن غير أن تندم أبدأ، ومن غير أن تلتفت وراءك أبدأ؟"^(٢). يفضي الفقد هنا إلى اليأس والإحباط، كما قد يُفضي إلى الحُلُم في إيجاد بديل، وهو حلم يشي بالضعف والانكسار، كما يشي بتمني عالم يوتوبيٍّ (طوبائيٍّ): امرأة أو وطن أو مدينة أو حاجة مادية أو معنوية، وما يتَّصل بذلك من مفردات تعيا على الحصر.

١. حاتم الصكر، " الفانتازي والغرائبي.. جوانب من السرد الروائي العراقي"، موقع غيمان، العدد

الرابع، ربيع ٢٠٠٨.

٢. كتاب ياسمين: ٥.

لقد لجأ السرد إلى البديل الآخر: الحلم العجائبي في خلق المدينة الفاضلة. كلما ازدادت قساوة الحياة على الإنسان، واشتدت آلامه فيها، وكلما أفضى المكان إلى الضيق النفسي- ازداد شغفه في البحث عن بدائل، وقد لا تكون هذه البدائل متوافرة في الواقع الحياتي، فيتوق المرء إلى أماكن مُتخيلة، أماكن يجد فيها انسجاماً بين الروح والجسد؛ ولذلك كان المكان الأسمى والمثال هو المكان الذي تشغله وتمثله ياسمين. ومن زاوية أخرى يُقرّ السارد بأن المدن تستدعي الإنسان لإنجاز عمل ما، وحتى المدن التي يهرب منها إلى غيرها تناديه لإنجاز ما، " وهذه المدينة نادته إلى أحضانها كي يدون كتاب ياسمين"^(١).

إنّ التوجّه المثالي الذي يشير إليه النص الموازي يدفع الباحث للعثور على أشكال من السلوك والأقوال المُعزّزة له في ثنايا الخطاب الروائي. إنّ المتنبّع لبعض أقوال ياسمين يدرك أن الحياة حُبلى بالمشاق والصعوبات، وما على الإنسان الذي انشغل بمفردات الحياة اليومية المادية إلاّ السعي تجاه عالم شفاف مليء بالخير، ويسعى إلى الخلاص ممّا يدنس صفاءه، أن يهجر المبتذل، لينصرف إلى البحث عن معنى الإنسان المتأمل القادر على التعامل مع الحياة بصدق وأمانة وشرف. وتلقي ياسمين الضوء على السموّ الإنساني في إحدى عطاها بنص طويل يبدو اجتزاؤه مُخلاً بمعناه:

" يتوق الإنسان إلى السموّ، خاصّة حين يعيش في القاع، هناك شيء لا يموت في الإنسان، مهما عاش في عالم الخطيئة والتلوّث، وهو ما يُدعى بالضمير أو الوعي المطلق، أو النفس الحقيقية، والضوء سموّ، نظافة، ارتفاع عن المشاعر الملوّثة من كره وحسد وحقد ومعارك صغيرة ونجاحات باهتة وأنانية ويأس، التوق نحو الاتحاد بالمطلق، الخلود، هو ما يفكر به الشخص أثناء وقوفه متأملاً وحيداً مع روحه.

١. كتاب ياسمين: ٣١.

أنت تبحث عن مكان تسمو فيه عن حياتك اليومية، الأكل والشرب والمضاجعة والعمل والنوم في تكرارها الأبدى. الذين تلوّثوا كثيرا تراهم يحبون النور والبحر والزهور والحيوانات الأليفة والأطفال. باختصار كل ما هو بريء، نقي، بريء... هؤلاء عليهم أن يبحثوا عن الخلاص في قاع أرواحهم، فالمفتاح هناك، وسط ركام اللاوعي المظلم. مهمتنا أن نلقي النور على تلك البقعة، نضيئها، كي نجد المفتاح...^(١)

ومما يتصل بهذه اليوتوبيا سعي ياسمين إلى التخلص من كل ما هو قبيح وفساد، يجب أن تكون الدنيا مفعمة بالخير والعطاء، وهي بذلك تسعى إلى تأسيس وجه واحد للحياة: وجه إيجابي مثالي، وهو أمر لم يتحقق، فكيف تسعى إلى تحقيقه؟ على الناس أن يبحثوا عن النور في البقاع المظلمة، أن يعيشوا حياة خالية من الحقد والكره والحروب، تهدم الأسوار بين دين ودين، وشعب وشعب، على البشر أن ينحتوا حضارة جديدة، يجب أن يكون الناس جديرين بتحويل الكون إلى جنة. وفي (مركز القلب المغني) "يسمو الإنسان عند رؤية النفس عارية على حقيقتها"^(٢)، وفي موضع آخر توقع ياسمين على الأفكار المجردة: "على الإنسان أن يعرف حدود نفسه، يتمسك بهذه الحدود، وبدون معرفة الحدود التي تفصل بين الناس يصبح من الصعب تتبّع الطريق نحو الهدف، أو إشباع الرغبات"^(٣)، وتشير إلى المسائل الجنسية، وترى أن الإرادة والاسترخاء يفضيان إلى الذروة الجنسية، إنها موازنة بين السيطرة والاسترخاء في الحدود الدقيقة من الحرية والانضباط...^(٤) وهكذا يُقدّم هذا النوع من الخطابات بأسلوب غاية في المباشرة، وتستمر ياسمين في تقديم أفكار مجردة بمعزل عن أحداث أو مواقف،

١. الرواية: ٦٠.

٢. نفسه: ٦١.

٣. نفسه: ٦١.

٤. نفسه: ٦١، وانظر ٦٢-٦٣؛ ٦٥-٦٦...

إن هذه الأفكار لم تقدم من خلال التشخيص أو المواقف الحياتية المتخيلة أو التي تسعى إلى إعادة صياغة الواقع. ويرى كثير من النقاد أن الأفكار المجردة لا ينبغي أن تقدّم مباشرة، وإنما ينبغي أن تنبثق من رحم الأحداث. لا بدّ من وجود بعدٍ معرفي، أو أفكار فلسفية، ولكنّ ذلك كله ينبجس من الأحداث وسلوك الشخصيات، إن تشخيص الأفكار أمر ضروري؛ حتى لا تتحول الرواية أو القصة إلى مقالة فلسفية:

لا يمكن أن تكون الرواية سوى تمثيل مشخص لحالات معرفية، ولكن هذه الحالات المعرفية لها وضع خاص، فهي لا تُوضع بشكل مباشر على لسان الشخصيات، ولا يتم تداولها من خلال الحوارات، أو تعاليق السارد، أو أصوات أخرى. إنها رؤية تخص نسيج العلاقات الإنسانية والأشياء، وتخص صياغة الوضعيات ونمط تطورها. أو هي بلغة أخرى تجسيد فضائي وزماني للمعنى. فالمعنى سيرورة وليس كمّا، إنه مبدأ للتنظيم، فما يحيل على الدلالة هو ذاته ما يحيل على تنظيم التجربة وإدراكها وتعلّقها. ولهذا السبب، فإن المعنى في النص الفني لا يُبثّ علانية في ثنايا الأشياء، ولا يوضع " عارياً " و " حافياً " على شفاه الكائنات الورقية، إنه يولد وينمو من خلال ما يؤثت الكون الروائي^(١).

إنّ ياسمين تربط بين الحالة النفسية والروحية ومكونات الجسد " فحين يحصل خلل ما في الإرادة، الاستقلالية، الثقة بالنفس، التواصل مع المحيط عند الشخص.. " ^(٢)سرعان ما ينعكس على منطقة ما. إنّ انسجام الروح والجسد يفضي إلى الانتهاء إلى الراحة والاستقرار والسعادة. ومن خلال التوحّد بينهما يضبط المرء إيقاع الذهن، ولا يغدو متردداً أو هيّاباً، وإنما يكون قادراً على

١ . سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وبيروت، ط ١، ٢٠٠٨: ٢٦٤-٢٦٥، وانظر الفصل الأخير: " الرواية وقضايا التشخيص السردية".

٢ . كتاب ياسمين: ٦٦.

تحمل المسؤولية. كل ذلك وغيره يأتي من خلال ثنائية الروح والجسد والتواصل المشترك بين المراكز المتعددة المسؤولة عن توزيع الأدوار للروح والجسد، ومع توفر الإرادة المنبثقة منهما يصبح الفرد قادراً على أن يكون قائداً لكليهما. إننا إزاء عالم مثالي ضمن السياق الروائي الذي ورد فيه ابتداء من الاقتباس عن معلوف، ومروراً بالوحدات السردية، وانتهاء بمحاولة الجمع بين الديني بمفهوم البطل، والديني، كما يعلن النص عن ذلك صراحة في الفصل الأخير - عالم متمزج فيه المادة بالروح، بقطع النظر عما قد يُعدُّ غريباً مستهجناً محرماً ضمن السياقات الاجتماعية لجمهور المتلقي الذي توجّه إليه الرسالة، والذي تشكل وعيه أصلاً ضمن ثقافة محددة، في الغالب: عربية إسلامية.

الاستهلال السردى:

ويطلق عليه فن البدايات^(١)، أو الافتتاحية^(٢). ويُعدُّ الاستهلال السردى خطوة تالية للعتبات النصية الخارجية (خارج المبنى الحكائي/ النص)، ولكن ما يميزه عن سابقاته أنه داخلي متضمّن بداية النص، وقد يكون الاستهلال مكانياً أو زمانياً، أو راصداً للآفاق الاجتماعية العامة. لقد حظي الاستهلال السردى بعناية النقاد والدارسين قدامى ومحدثين، وصنفت حول أشكاله ووظائفه مصنفات كثيرة. ولعل الاستهلال السردى، على وجه التحديد، يمهد للأحداث، أو قد يختزل بعض مفردات المبنى، " وبعض تعبيرات البداية قد تلخص الأجواء العامة، بل قد تُعدُّ الكتاب كلّهُ"^(٣). وقد تحدّث بعض النقاد عن استهلال " محوريّ

١. صدوق نور الدين، البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ١٩٩٤: ١٧؛ وانظر: صبري حافظ، " فن البدايات ووظيفتها في النص الروائي"، مجلة الكرمل، ع٢١-٢٢، ١٩٩٤: ١٤١.

٢. سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥: ٣٩، وما بعدها.

٣. البداية في النص الروائي: ١٧؛ وفن البدايات ووظيفتها: ١٤١.

البنية" يستوعب صفحات كثيرة، أو فصلا أو فصولا كاملة^(١). إن الاستهلال السردي ليس مكونا منفصلا عن جسد العمل، وإنما يتصل به اتصالا وثيقا، ولا سيما في الرواية التي بين أيدينا؛ إذ يُغطي الاستهلال الفصل الأول كاملا، ويدور حول محورين يظان يشكّلان إيقاعا وتواترا لافتين على طول الرواية؛ كأن الروائي يخشى أن تنفلت هاتان المسألتان من قبضة المتلقي، ويسعى إلى بيان أهميتهما ووظائفهما في النص؛ لذا أرى أن هذا الاستهلال "محوريّ البنية". أما المحوران المركزيان فأولهما يكتف الحديث عن تأليف البطل "كتاب ياسمين": طريقة التأليف، بناء الزمن، بناء الأحداث والأمكنة...، والثاني هو موضوع هذا الكتاب، ومحتواه: ياسمين وتعاليمها وقيمها وقدراتها...، ويخبرنا السارد في الاستهلال عن اللقاء الأول بين البطل وياسمين.

وما يميّز هذا العمل عن غيره من أعمال الأنباري نفسه، ومن الأعمال العربية هو استثمار الاستهلال ليكون ميدانا للحديث المقتضب عن آليات الكتابة الروائية، وتقنياتها وصعوباتها؛ يُكرّس الاستهلال هنا إلى الإشارة إلى الوعي بالكتابة والقدرة على الاشتغال عليها؛ مما يجعل الاستهلال ميزة لكتابة حدثية تثير جملة من الأسئلة يتعلق بعضها بالمسافة الفاصلة بين البطل/ المؤلف وما يرويّه من جهة، وبينه والكاتب من جهة أخرى، كما يثير أسئلة حول السارد العليم وعلاقته بالبطل من جهة، وبالكاتب الحقيقي من جهة أخرى، فضلا عن الإشارة إلى المستويات اللغوية والمعرفية للكاتب والكتاب الذي يتحرك داخل المبنى الحكائي، كما يثير إشكالية التناوب بين الروائي والناقد في الاستهلال وفي ثنايا الرواية. إنّ هذه المسائل جميعها تقتضي الخوض في مسألة "الميتا سرد"، أو الكتابة النقدية ضمن العمل الروائي.

١. ياسين النصير، الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٩٣: ١٣٥.

يُترجم مصطلح Metafiction أو Metanarrative بالقص الورائي، أو ما وراء القص، أو الميتا سرد^(١). وكان محسن جاسم الموسوي قد أشار إلى هذه الظاهرة سنة ١٩٨٨، وأطلق على الرواية التي تتضمن إشارات تقضي إلى تقديم رؤيا نقدية "رواية النص"^(٢)؛ إذ تتحدث الرواية عن ذاتها بوصفها سردا نثريا يعتمد على الحكاية، مُحللاً بعض مكوناتها كالمكان والزمان والشخصيات الفنية. وقد أسمته (لندا هيتشون) بـ "ما وراء القص"، وعرفته بأنه السرد النرجسي الذي يتضمن تعليقاً على سرده وهويته اللغوية... والروائي يلج عالم الرواية متحدثاً عن آلياته السردية التي تدلنا على كيفية نشوء القصة ونموها واكتمالها وفق برمجة دلالية واعية..."^(٣)، ويرى علوان السلطان أن "الميتا سردية لعبة قائمة على قصدية الكتابة كأدب تخيلي ينتمي لتيار ما بعد الحداثة، يتناول بوعي ذاتي، أدوات السرد ليكشف عن خدع النص الداخلية عبر حكي خيالي يتحدث عن الهموم السردية داخل فضاء السرد... حيث يبرز سارد يوظف غالباً ضمير المتكلم، ليعلن، صراحة، عن نيته كتابة نص سردي أو حكاوي، أو يكشف عن رغبته في العثور على مخطوط أو وثيقة أو مدونة شفاهية أو مكتوبة؛ فيبدو السرد متماهياً، إلى حد كبير، مع السرد الأوتوبيوغرافي- السيري الذاتي"^(٤). منذ بداية الرواية، موضوع الدراسة، نجد بطل الرواية ينشغل، على لسان السارد، بما يتعلق بتأليف "كتاب ياسمين"، كيف يبدأ، وكيف يسير بكتابه قدماً؟ هل يتبنى البناء المتتابع المتعاقب في سلسلة الأحداث، أم يميل إلى البناء

١. فاضل ثامر، المبنى الميتا سردي في الرواية، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠١٣: الفصل التمهيدي.

٢. محسن جاسم الموسوي، "رواية النص خطاباً نقدياً في الرواية العربية المعاصرة"، مجلة الأعلام العراقية، العدد الخامس، السنة الثالثة والعشرون، ١٩٨٨: ٢٩؛ وينظر محمد علي الشوابكة، ثنائيات في السرد، دراسات في المبنى الحكائي العربي، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ٢٠١٢: ١٧٤-١٧٥.

٣. انظر: لبنا هتشون، "ما بعد الحكي"، عرض د. رسول محمد رسول: alittihad.ae.

٤. ينظر علوان السلطان، "في المبنى الميتا سردي"، موقع الزمان: azzamzn.com.

المتداخل، أم يلجأ إلى التوازي والتزامن؟ ثمة أسئلة كثيرة ينهض بها الاستهلال. والمُحدِّق في هذه الأسئلة والاقتراحات التي يعرضها البطل يجد أن معظمها ذو أسس معرفية تؤشِّر على ناقد يعي وعياً تاماً تقنيات الكتابة الروائية، إنه مطلع على مفهوم الزمن وطرق الوعي به تماماً على النحو الذي نجده في المظان النقدية، والدراسات السردية، وهو، زيادة على ذلك، على معرفة لا بأس بها بعلاقة الكتابة الروائية بالموسيقى من جهة، وبفني الرسم والنحت من جهة أخرى، وغير ذلك من المفاهيم النقدية.

يربط السارد منذ جملة الاستهلال الأولى بين مكان وقوع الأحداث وبين ما يستطيع البطل المُخبر عنه أن يفعله في تأليف كتابه: " في مركز القلب المغني عاش كلَّ الأحداث التي لها علاقة بياسمين، ويستطيع وضعها بأكثر من صيغة وشكل"^(١)، هكذا يفتح السرد، فنرى فيه السارد العليم الذي يسرد لنا المبنى، والشخصية الرئيسية التي ستكون محورا بارزا من محاور الأحداث، وهي الشخصية التي ستتكلل بإخبارنا عن آلية التأليف، بدءاً من الاستهلال وحتى النهايات، ولدينا شخصية "ياسمين" التي تشكل موضوع الكتاب ومعناه ودلالاته.

يتجلى " الميثا سرد" هنا من خلال الإشارة إلى بعض فنيات السرد وأساليبه، ولا سيما ما يتعلق بالبناء الزمني الذي لا يخلو منه كتاب تناول تقنيات السرد؛ فالسارد يعيش في قلب الأحداث، ويضع لنفسه جملة من الخيارات التي يمكن أن يتكئ على إحداها في تنظيم الحكى، أو يختار غير تقنية في تنظيمه. يصرِّح النص بأن النظم للأحداث يمكن أن يتبنى " التوالد الحكائي"^(٢)، كل حكاية تُتجب أخرى، وهو بهذا الخيار يوظف معرفته المسبقة بتقنيات الحكى في " ألف ليلة وليلة"؛ إذ ينبثق من رحم الحكاية الكبرى حكاية جديدة، أو مجموعة من الحكايات؛ مما يُفضي إلى امتزاج الحكايات واختلاط الأزمان. قد يكون الحدث

١. الرواية: ٩.

٢. نفسه: ٩.

متعاقبا متتابعا على النحو الذي نراه في الرواية الكلاسيكية أو القصّ الشعبي، وقد تأتي الأحداث متزامنة متعاصرة أو متوازية دون انضباط مع قانوني الزمنية والسببية اللذين يحكمان السرد الطولي، وقد يتّسم تسلسل الأحداث بالصعوبة والغموض عندما يرتبط الأمر بالارتداد واستدعاء أحداث وقعت منذ فترات طويلة. يسيطر الاسترجاع والاستباق على هذا النوع من البناء، كما هو مُدَوّن في الاستهلال، وكما يثبت النص في مواقع كثيرة كما سنرى. على أن إعادة صياغة الماضي تفترض انفلات بعض الأحداث من قبضة السارد أو أن السارد يجد في بعضها حشوا لا مسوّغ لذكره، وزيادة على ذلك فإن السارد يؤمن بأن الذاكرة غير قادرة على الاحتفاظ بكل مفردات الحياة الماضية، وهذا يفسر الاستنتاج بأن ما يقدم الآن عن الماضي ينطلق من وعي الحاضر وما يحيط به من مؤثرات، وليس بالضرورة أن يكون المسترجع مطابقا للأحداث التي وقعت فعلا.

على هذا النحو يقترح البطل المؤلف جملة من الآليات التي تسعفه في تنظيم وحداته السردية، ولعلّ أبرز هذه الآليات التي تعزّز اتجاهها نقديا فنيا أو على الأقل تعزّز معرفةً بتقنيات القصّ - الإفادة من الموسيقى بترتيبها الواعي. والنص يفيد من كثير من المرجعيات النقدية في الحديث عن العلاقة بين السرد والموسيقى، فقد أشارت سيزا قاسم، مثلا، إلى أهمية الموسيقى بقولها: " وإذا كانت الرواية في المقام الأول فناً زمانيا يُضاهي الموسيقى في بعض تكويناته، ويخضع لمقاييس مثل الإيقاع ودرجة السرعة، فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من رسم ونحت في تشكيلها للمكان"^(١)، وفي هذا المقام يُحلّل السارد العليم على لسان البطل العلاقة بين الفنون، نقرأ: " فكر في استعارة الموسيقى كنموذج لبناء الكتاب، رغم خبرته الضئيلة في فضائها الشاسع. آلات متنوعة

١. بناء الرواية: ٩٩.

يقوم عليها أشخاص مختلفون، وكل آلة تعزف لحنها الخاص، تتألف الألحان لتكون، في نقطة غير مرئية، قطعة موسيقية واحدة، ترتفع وتنخفض... ويوحدها ذلك القائد الفذ... إنه قائد الأوركسترا"^(١). وفي موقع آخر يشير البطل إلى أهمية المواد الأولية في تشكيل العمل الروائي، وتنظيم مكوناته على نحو يكشف عن دراسات عميقة في الفنون التشكيلية، يشبه العمل بالنحت والرسم، ويشبه بناء العمل الروائي ببناء البيت الذي يعد للسكن، يقول: " حوارات، ووصف أمكنة، وملاحقة مصائر أشخاص اختفوا، وتعاليم، كان يعتبرها مادة أولية لا غنى عنها، مثلها مثل الطين للمثال والحجر للنحات والتخطيطات للرسم، وجد هذا الأسلوب أفضل للتدوين، ولا يعرف مقدار نجاحه، لكن بوصلته هدته إلى هذه الطريقة بحساسية عالية، فالإنسان لا يستطيع بناء بيت دون حجر وملاط وحديد وحصي وأخشاب ومواسير... كل مادة في مكانها الصحيح... أعدّ ثبنا بأسماء الأزهار والحوارات والمشاعر والوجوه والقصص التي قيلت والتعاليم النيرة ولحظات الرقص، دون أن يُعير كبير اهتمام إلى تسلسلها ومواضعها، سينتظر ما يخرج من بين يديه في النهاية"^(٢).

ويستكمل السارد الحديث عن آلية البطل في بناء أحداثه على نحو يمتزج فيه التنظير النقدي بالفعل السردي، فيرى أنه بالإمكان ترتيب الأحداث دون تخطيط مسبق، كل حدث يروي جزءا من التجربة التي يعتبرها مهمة في حياته، ويعترف البطل (المؤلف) أنه لا يستطيع رواية التجربة كما عاشها، فيقترح أن يرويها من خلال التوارد الذهني، وهو بذلك يوظف تقنيات تيار الوعي التي ستجعل سرده " خلطة عجيبة، فيها الوقائع كما جرت، وفيها الخيالات التي صاحبها، فيها الأحلام والتداعيات، يختلط الواقع بالمتخيل، فيصبح الفصل بينهما

١. الرواية: ١٠.

٢. نفسه: ١٥.

مستحيلاً^(١). إن البطل المؤلف يعد نفسه وعاءاً للتجربة التي يريد التعبير عنها، فلا يفصل، حسب فهمه، بين ما سيكتبه وبين ما حدث فعلاً، وما شعر به سابقاً، وما يشعر به اليوم: "لا يظن أنه سيستبعد البيت الذي يعيش فيه الآن، ولا الهواجس التي في صدره، والكوابيس التي يراها، الأشخاص الذين يلتقيهم أو يحدثهم عن فكرة الكتاب، إنه يُصرّ على أن التجربة كل واحد، أي الكاتب والكتاب"^(٢). لا يدع السرد فرصة في الاستهلال وفي بعض المواضع في الرواية إلا ويخبرنا عن مدى إلحاح شكل الكتابة عليه، فها هو يعقد مقارنات غريبة بين تأليف الكتب وأشكال الكائنات التي يراها؛ فالأشجار مثلاً، مختلفة، فالنخل غير العنب غير الفراولة في تفرعها ونموها، وكذلك الكتب^(٣). أما طريقته في جمع المادة، على وفق ورودها في الاستهلال، فتعتمد على ما يخطر بباله من أفكار، فيسارع إلى تدوينها، وأحياناً يستيقظ من نومه فيمر في ذهنه حوار، فلا يتوانى في الإمساك بالقلم وتسجيله؛ لأن الحوادث، كما يقدر، يمكن أن تُنسى، وتُحترق بفراغ الذاكرة^(٤)، ويشير الكتاب إلى نفسه في مواضع متعددة، سواء في الاستهلال أو في ثانيا النص، ففي نهاية الاستهلال نرى المؤلف يصر على أن الشروع في كتابة العمل يحتاج إلى شجاعة كبيرة؛ لأنه إنما يكتب عن نفسه

١. الرواية: ١٠. ويقول سمير الحاج شاهين: بما أن الزمن عنصر ذاتي، بما أن الشخصية تتغير دون انقطاع، بما أن الحياة منفصلة تتحدى المنطق، وبما أن الرواية تصوير لها، فإنها يجب أن تعكس هذه الفوضى واللامعقولية، وأن ترفض الأساليب التقليدية وطرائق الوصف الخارجية الخاضعة لتوقيت أجهزة الضبط الآلية" انظر:

لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠: ١٦٥؛ ومحمود غنايم، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، دراسة أسلوبية، دار الجيل، بيروت؛ ودار الهدى، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣: ٤١-٤٢، والمعنى في الرواية: ٩، وصفحات متعددة.

٢. نفسه: ١٧.

٣. نفسه: ١٤.

٤. نفسه: ١٥.

وأحلامه وذاكراته^(١)، إن كتاب ياسمين الذي ينهض البطل بتأليفه هو كتابه هو بمعنى ما^(٢)؛ وهنا تبرز مسألة قد تشير إلى تنازع على الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه العمل، فعلى صفحة الغلاف قرأنا "رواية"، ونقرأ هنا دالة تشير إلى نوع من السيرة الذاتية، أو ضرب من المذكرات الشخصية^(٣).

إنّ الاستهلال السردى هنا ليس منفصلاً عن جسد الرواية، وإنما هو جزء لا يتجزأ منها، يتصل اتصالاً وثيقاً بالمبنى الحكائي "كتاب ياسمين"، وإذا كان الاستهلال قد كرّس لعرض مسألتين أشرت إليهما، وهما ياسمين والميتا سرد، فإن المحور الأول يشكل العمود الفقري للرواية، في حين أنّ الميتا سرد لم يتجاوز، وإنما أتى عليه السرد في أماكن متعددة؛ ليؤكد إشكالية الكتاب داخل الرواية، وليوقع على المعاني التي نظر فيها الاستهلال السردى، من ذلك إشارته إلى أهمية التشابه والعلاقة بين الموسيقى والبناء الروائي من حيث الأسلوب والتأثير، والسؤال الذي يبرزه الكاتب يتلخص في مدى استطاعة الكتاب أن يستحيل معزوفة موسيقية تصقل الروح وتسمو بالإنسان، وترتفع به عن الأرضي والمبتذل اليومي، وهو بهذا يأخذ المتلقي بعين الاعتبار، ويجعله جزءاً من العمل. إن البطل/ المؤلف يمزج بين الروح والجسد، الموسيقى والغناء والفجائع والأفراح لينتهي إلى السؤال: "هل يستطيع أن يصوغ من كتاب ياسمين موسيقى كورالية ترفع قارئه... وتسمو به إلى الأعلى بعيداً عن الحاجات اليومية التي لا تنتهي"^(٤). وثمة ملاحظة يستدعيها قول البطل، وسنناقشها بشكل مفصل لاحقاً، وهي هل حقاً أن الإغراق في وصف مناظر النساء بتوصيفات لا

١. الرواية: ١٨.

٢. نفسه: ١٨.

٣. يقول حاتم الصكر: "يصبح الكتاب المزمع كتابته ليس كتاب "ياسمين"، بل كتاب الشخصية نفسه، وحلمه الذي لا يدري في لحظة ما هل هو حلم محض أم حقيقة، لا سيما وهو يسترجع أجزاء من حياته الماضية قبل لقائه بياسمين، وعمله في المسرح، وهربه في ليلة ثلجية، ونجاته عابراً حدود مدينته..." موقع غيمان: ٣.

٤. الرواية: ٤٤-٤٥.

يخفى فيها التوجّه المقصود إلى استثارة المتلقي، أو أن الاستغراق في الموسيقى، أو غير ذلك يُفضي إلى صقل الروح والارتفاع بالمتلقي عما هو أرضي مبتذل؟

ومن الإشارات الدالة والميتا سردية مناقشة التخيل، ومزج الواقع بالتخيّل بوصف ذلك أسلوباً كتابياً يسميه البطل " تقنية التخيل"، ومنها الحديث عن التأمل اليومي، وفي موقع آخر يشبه الكتاب بالقباب والمآذن، ويعلن في موقع آخر أنه سلم كتاب ياسمين إلى الناشر؛ مما جعله في حالة صافية، ومزاج ألق^(١). وكل ذلك يشي بأنه أسير لكتابته و للكتابة بشكل عام، يعدها هاجسا ملحا من هواجسه، دون أن يعني ذلك ترفاً أو كتابة لمجرد الكتابة؛ وإنما لأن الكتابة سجلّ حافل بمفردات ذات صلة بالذات والبيئة المحيطة والعالم. إن الهدف من التأليف الكشف عن وعي الذات ووعي الآخر في عالم يعاني من هيمنة المادة، يموج بمفرداتها؛ ويصرخ رافضاً الجانب الأحادي للحياة، يحاول من خلال الكتاب الانتباه إلى الروح، والتنبيه إلى علاقتها بالجسد، وليست الروح هنا بالمعنى الديني، وإنما الالتفات إلى ما يدفع إلى السعادة والراحة والاطمئنان، إلى المسائل النفسية/ كما سنرى، " ففي الوقت الذي يزداد فيه جنون التوجه إلى عالم المادة، يأخذنا (بطل) هذا الكتاب إلى عوالم وشخوص تنتمي جميعها إلى الروح ومكوناتها، فتلتحم بعناصر الطبيعة، وتغرق في : روائح العطر وملمس الأحجار الكريمة، وصور الحكمة الخبيرة..."^(٢).

البناء الزمني:

إن الزمن هو العنصر البارز في السرد؛ لأن أي واقعة أو حدث يستغرقان بالضرورة زمناً ما قد يطول في الأعمال الملحمية، مثلاً، وقد يقصر كما في القصة القصيرة، أو القصة القصيرة جداً. وقد دأب الدارسون لأنواع السرد، وللرواية منه على وجه التخصيص على النظر في الزمن من جانبين: زمن

١. الرواية: ١٨٣، ١٨٥، ٢٠٠....

٢. من تعليق د. عمر شبانة على الرواية، الغلاف الأخير.

السرد أو المتن أو القصة... وزمن الخطاب أو المبنى أو اللفظ... باختلاف المصطلح وتشابه الدلالة. والذي يعنينا هنا مناقشة البناء الزمني في الرواية موضوع البحث، انطلاقاً من التفريق بين المتن والمبنى (الشكلانيون) أو القصة والحكاية (جينيت). المتن أو السرد أو القصة، عند بعضهم، هو الزمن الذي وقعت فيه الأحداث وفقاً لورودها وتسلسلها المنطقي التاريخي، في حين أن المبنى (أو مرادفاته) هو زمن تشكيل الأحداث نفسها، وإعادة صياغتها عملاً أدبياً، بقطع النظر عن كونها مدونة أو شفوية؛ فالزمن، بهذا المعنى، مظهر من مظاهر العلاقة بين المتن والمبنى. المتن الحكائي على وفق الشكلانيين هو "مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل. إن المتن الحكائي يمكن أن يعرض بطريقة عملية حسب النظام الطبيعي، بمعنى النظام الوقتي والسببي للأحداث، وباستقلال عن الطريقة التي نظمت بها [تلك الأحداث] أو أدخلت في العمل. في مقابل المتن الحكائي، يوجد المبنى الحكائي الذي يتألف من نفس الأحداث، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا"^(١).

١. بوريس توماشفسكي، "نظرية الأغراض"، ضمن نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، تقديم ترفتيان تودوروف، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناسرين المتحددين، الرباط، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٢: ١٨٠؛ وتبني حميد لحمداني هذين المصطلحين في بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣: ٧٦؛ وانظر سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، والدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦: ٧٤، وانظر جينيت، خطاب الحكاية، ويسميها: الحكاية والخطاب، أو القصة والحكاية ولا سيما في مناقشته للديمومة [اللا توافقات]: ١٠٩؛ ويطلق بانفنيست مصطلحي القصة والخطاب، ينظر: تودوروف "مقولات السرد الأدبي" ضمن طرائق تحليل السرد الأدبي، مجموعة كتاب، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢: ٣٩؛ وتبني تودوروف هذين المصطلحين، ورأى أن القصة هي الوقائع والأحداث بالشكل الذي حدثت فيه كما في الحياة الفعلية، أما الخطاب فهو طريقة نقل هذه القصة إلى عمل أدبي محكي أو مكتوب، ويدخل في ذلك السارد الذي يحكي القصة، والقارئ الذي توجه له القصة: مقولات السرد الأدبي: ٤١.

ويسعف التفريق بين المتن والمبنى في دراسة الزمن الروائي من زوايا مختلفة، منها: الترتيب أو النظام الزمني، وعلاقات التواتر، وعلاقات الاستغراق أو الديمومة.

النظام الزمني:

لا تتحول سلسلة الأحداث أو المواد الخام المتضمنة للحكي إلى خطاب أو مبنى إلا إذا أُعيدت صياغتها، مع ما يتبع ذلك من إدخال عناصر الوصف غير الزماني، ودخول الراوي، والانشغال بتحليل القيم والعادات والأفكار المجردة، وتحليل النفسيات والمسائل الثقافية العامة. والحديث عن المتن والمبنى يتطلب التحديق في التغيرات التي تحدثها إعادة الصياغة بما يُطلق عليه جنيت^١ "المفارقات الزمنية"، التي يقصد بها "الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة (المتن) وذلك لأن نظام هذه القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة، أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة المباشرة أو تلك... ويسلم كشف هذه المفارقات الزمنية السردية (كما سألسمي هنا مختلف أنواع التناظر بين ترتيب القصة وترتيب الحكاية) وقياسها يسلمان ضمنا بوجود نوع من درجة الصفر التي قد تكون حالة توافق زمني تام بين الحكاية والقصة، هذه الحالة المرجعية افتراضية أكثر مما هي حقيقية، ويبدو أن الحكاية قد اعتادت أن تنقيد في تمفصلاتها الكبرى، على الأقل، بالترتيب الزمني"^(١).

إن الالتفات إلى المفارقات الزمنية يدفع، بالضرورة، إلى دراسة التداخل الزمني بأشكاله كافة، وآليات هذا التداخل التي تشمل، بشكل عام، الاسترجاع والاستباق بأشكالهما المختلفة. إن دراسة الاسترجاع لا تبدو على درجة من

١. جنيت، خطاب الحكاية: ٤٧.

الصعوبة؛ لأن السرد نفسه يخبرنا ببعض مواقع الاسترجاع، ويخبرنا الاستهلال بتبني التداخل والتوازي، والابتعاد عن التعاقب.

الاسترجاع: (١)

يبدو الكتاب كله مسترجعا، ويقر السارد العليم بذلك فيقول: " في مركز القلب المغني عاش كل الأحداث التي لها علاقة بياسمين" (٢)، والذي يعني هنا تناول بعض النماذج الاسترجاعية ومعرفة أنواعها ووظائفها. إن ذكر ياسمين في صفحتي الاستهلال يفضي أن يكون الحكيم مرتبطا مباشرة بياسمين واللقاء الأول بها، ويتم ذلك من خلال التجاور السردى لوحدين صغيرتين تؤشران إلى أن المتلقي يوضع في مواجهة الأحداث والأشياء، كما يسعفان في تحديد (المنطلق السردى)، أو نقطة البث المركزية. في الاستهلال يعيش المتلقي لحظة " الآن" - يُخبر عن تأليف الكتاب، وفيما بعد، يدخل مباشرة في السرد الذي يُحدث عن الماضي غير المحدد تاريخيا، أي أنه لا يسعف المسرود له في تحديد الزمن التاريخي الذي من خلاله يمكن ترتيب الأحداث، أو إعادة قصها. في نقطة البث المركزية هذه نقرأ على لسان السارد المقدم للشخصية الرئيسية: " لا يظن أنه سينسى اللقاء الأول بياسمين" (٣)، ويمنح هذا الترتيب السارد فرصة لمحاولة ضبط الأحداث التي يهيمن عليها في البداية، فيمزج بين السرد والوصف، يمتزج الزمن بالأشياء على نحو يتآخى فيه الفعلان الماضي والمضارع، الماضي يتصل بحركة الشخصية الرئيسية، والحاضر يرتبط، إلى حد، بالأشياء الثابتة والمتحركة، يجتاز الغابة الكثيفة سائرا في شارع معبد، ينتهي به إلى باب خشبي، أزال الرجاج، ثم مشى في ممر إسمنتي... هكذا يتسلسل الزمن في هذا المقطع، ولكنه يُقاطع بوصف الأشياء؛ فنظفر بصورة سردية تعبيرية، ليست

١. ينظر حول الاسترجاع وأنواعه كالخارجي والداخلي والمزجي، والغيري القصة والمثلي القصة، والجزئي الناقص، والتكميلي والاستئناف... جينيت، نفسه: ٦٠ ٧٢.

٢. الرواية: ٩.

٣. نفسه: ١١.

جامدة خالية من الزمن، وإنما تحمل دلالاتها المتسقة مع السرد، يتحدث عن صورة ياسمين المعلقة على الحائط، وهذه الصورة تتسم بالهدوء العميق وهالة من الحكمة حول الرأس. إن الصورة تشكل حافظاً قوياً لاستدعاء جزئي مقتضب لشخصية من شخصيات الخطاب: الحكيم الذي التقاه في الطائرة، ونصحه، كما يقول السرد في موضع لاحق، بأن يعالج نفسه روحياً، ونحن نعلم أيضاً أن البطل يشكو من ألم في قدمه اليمنى، والحكيم نفسه نصحه بأن ينشد العلاج الروحي عند امرأة اسمها ياسمين. هذا مؤشر واضح على استرجاع خارجي حدث قبل المنطلق السردى، يحاول السارد من خلاله الربط بين اللقاء الأول (الآن) وكيف سمع عنها قبل ذلك وتعرف إليها. وقد استخدم السرد معينة لفظية دالة على أن الحدث سابق للقاء الأول: "خطر في باله وجه الحكيم الذي التقاه في الطائرة. هل حل في هذه المرأة؟ هل يمتلك قدرة التحول إلى أنثى"^(١)، وستتم الإشارة إلى الحكيم في مواضع أخرى على شكل استرجاع تكميلي يضيء هذه الإشارة السريعة، ويتعمق في تقديمها، مع أن الأحداث المتعلقة بالحكيم تمت في زمن واحد. وهذا يتيح إعادة النظر في الحدث بوصفه نصاً مكرراً يعالج عند مقارنة كم الأحداث في القصة بكمها في المبنى أو الخطاب. ويلاحظ هنا أن هذه الإشارة الاسترجاعية جاءت منسجمة مع السرد، ولا تُشعر بوقف مقصود لوتيرة الزمن الحالي، أو الحيلولة دون انسياب الأحداث وتواليها، ولو على نحو آني مؤقت.

وأحياناً يأتي الاسترجاع بطرح أسئلة متعلقة بتأليف الكتاب: "فهل يستطيع أن ينسى ذلك الصديق ذا اللحية الكثّة الذي ساعده ذات يوم في الخروج من سجنه؟"^(٢)، ولكنه يقدم هذا الاسترجاع موجزاً؛ لأنه سيعود إليه غير مرة، فيضيف معلومات جديدة تضيء الشخصيتين، ويعمل الاسترجاع حافظاً قوياً

١. الرواية: ١١.

٢. نفسه: ١٧، ويذكره ثانية ص ٢٥، وفي مواضع أخرى كثيرة يضيء من خلال الاسترجاع الشخصية المسترجعة، كما يلقي الضوء على البطل.

للسؤال عن السجن، ما أسبابه وأين تمّ، وكيف كانت معاملة السجناء؟ كما يعمل هذا الاسترجاع الجزئي على الربط بين مكوّنات السرد.

إن الكاتب يوظف الاسترجاع الخارجي والداخلي، ويغلب على الاسترجاع الخارجي الموضوعية؛ وذلك عندما يعرض لأحداث سابقة للافتتاحية، فالرواية تنطلق، كما أشرنا، إلى مسألة تأليف الكتاب، ثم ينطلق السرد إلى ياسمين، وهي تلقي مواعظها، وتعلم مرديها، لكننا، بعد المضي قدما، نبدأ بالتعرف إلى الشخصية الرئيسية، نستطيع أن نشكل صورة عن الولادة والطفولة والصبا، ثم الرجولة، ويأتي ذلك في مواقع متناثرة في ثنايا الخطاب. والأحداث المتعلقة بهذه الفترات الزمنية البعيدة للشخصية تكونت ونضجت على فترات متباعدة، مما يقدم لنا شخصية نامية، ويسعف في فهم الشخصية وتحولاتها والولوج في أعماقها وتفسير سلوكها الحالي؛ لأن المتلقي لا يمكنه أن يفهم لجوء الشخصية الرئيسية إلى منزل ياسمين، وبحثه عن الخلاص من الألم والقسوة لولا تجارب حياتية غنية جعلته طيعا لما تقول ياسمين. وقد قدّمت هذا المعلومات من خلال استرجاع تبنى تقنيّ التلخيص والإيجاز.

إن استرجاع هذه الأحداث لم يأت عشوائيا، وإنما ارتبط ارتباطا عضويا بالخطاب. إنّ الأحداث سابقة من حيث الزمن، ولكنها تُستدعى من خلال المكان أو الشخصية، أو حدث مشابه، أو فكرة معينة؛ فمثلا حديث ياسمين عن " القسوة"^(١) بوصفها درسا روحيا تقدمه لمرديها وتطلب منهم التأمل فيه، ليس فكرة مجرة حسب، وإنما تُعدّ حافزا للعودة إلى الماضي؛ فينشغل البطل، مثلا، بالتحديق في أعماق الذات وتذكر الأم والأب وقساوتهما، كما يتذكر أشكالا أخرى من قسوة الإنسان على الحيوان والطيور والناس^(٢)، وكل ذلك يتم من خلال استرجاع خارجي لافت للانتباه؛ إذ بقطع النظر عن أهميته في إضاءة

١. الرواية: ١٧٠-١٧٥.

٢. نفسه: ٣٢، وما بعدها.

الشخصية، فإنه من زاوية الاستغراق أو الديمومة استنزف صفحات كثيرة أكبر من مساحة المقطع الحكائي الحاضر؛ مما يعرض الخطاب للتساؤل عن مدى قوة الذاكرة الإنسانية التي يمكن أن تحتفظ بأدق التفاصيل بعد مرور فترات طويلة؛ إذ يلاحظ أن الشخصية المقدمة للمنظور من خلال سرد موضوعي تقف على التفاصيل الدقيقة، فتزود القارئ بمعلومات ووقائع وتوصيفات عن موقف الأم من ولادة الطفل (البطل)، وتمنيها موته، ثم موقف الأب القاسي وتمنيه الخلاص من ابنه ... وهكذا. وينتظر أن يقدم الاسترجاع، كما هو الحال في الرواية الحديثة، ملخصاً موجزاً بأسطر أو فقرات قليلة. وعلى الرغم من أن السرد نفسه يحاول التسوية، ليقدم شخصية فذة ذات ذهن حاد: " ومع نفسه يتعجب كيف امتلك هذه القدرة على استحضار تفاصيل الماضي البعيد، الروائح والألوان، وطبقات الأصوات، والحوارات، اعتبر ذلك واحدة من أهم مواهبه التي منحتها إياها الحياة"^(١) - فإن هذه قد لا تعدو أن تكون خدعة تكشف عن تواطؤ بين عرض ياسمين لثيمة القسوة، وتلقف الشخصية لها وسيلة للارتداد إلى الماضي البعيد ليكشف عن طفولة مريرة مليئة بالأشواك وتتناغم مع القسوة، وبذلك يتسنى للمتلقي أن يقارن بين البراءة والانقياد الكلي للآخرين، والتحمل المتبادل، والإحساس بالخذلان والخواء الروحي والنفسي - وحالة الوعي المفعم بالتفكير والعقلانية والتأمل الروحي العميق الذي نما مع مرور الزمن، ومع ارتياد البطل لعالم ياسمين الفانتازي، والتأمل في معرفتها للحياة وأبعادها

١. الرواية: ٣٦، وعندما كلفت ياسمين المجموعة بممارسة الرسم، رسم البطل بيتنا قديماً، أحجاره بيض منحوتة بعناية، كان البيت على تلة... ثم يسترجع أحداثاً، يظن أنه قدم من زمن بعيد، كان يعيش في قرية نائية تنتشر في حقولها الأبقار والمواشي، والكلاب الضالة والحمير، ولا تبعد عن الصحراء كثيراً، هناك ولد وتعلم في المدرسة، وفلح الأرض، وقص عذوق التمر، رعى مع الرعيان... الرواية: ٥٨، وتقول ياسمين تعليقاً على ذلك: " لقد جذبتك الطفولة إلى زمانها، وهذا أمر صحي، لا زلت تتذكر الأشياء بوضوح، لديك ذاكرة مكتنزة بالألوان والروائح... ابق فيها علّها توصلك إلى ما تريد". ٥٩.

الإنسانية والطبيعية على نحو يخدم بالضرورة، المقولة المركزية للرواية: إدارة الوعي لأوركسترا الروح والجسد.

قلت: تأتي المقاطع المسترجعة مقتضبة في الغالب، وأحيانا تأتي محللة مستقصاة، فعندما جاءته مرام، صديقته، كان في منزله فحدثها عن ياسمين، وكيف أنها "فكرة"، ثم يشير إلى عقد مرجان كان اشتراه في المجمع الذي كان موقوفا فيه، وأمضى فيه سنة كاملة...^(١)، يكتفي بذلك ولا يخوض في تفاصيل شرائه، والظروف التي عاشها في المجمع: السجن، والتلج والقساوة، والتقاءه سعيدا... لكنه يعود في مواقع لاحقة من العمل ليغوص في التفاصيل؛ لأن الأحداث عندئذ تروى ضمن زمانها الذي وقعت فيه، وهذا استرجاع جزئي، ستتبعه استرجاعات تكميلية حول الأحداث ذاتها. أما في هذا المقطع السردى فيكتفى بالعبارة السابقة، يروي لمرام الآن وهنا في منزله؛ فنحن إزاء استرجاع داخلي لحدث أُشير إليه سابقا باقتضاب أيضا وسيشار إليه لاحقا بما يكمل السرد، ويضيف معلومات جديدة، يكمل سرد هذه الحادثة ولا يبقها ضبابية، وربما يعود ذلك إلى أهمية الحادثة الطويلة في تشكيل حياته (الألم في قدمه اليمنى، وتعرفه إلى سعيد، والطعام والطقس)، وإنما يعد هذا الضرب استرجاعا داخليا؛ لأنه ظل يعاني من الألم في ساقه اليمنى^(٢) بعد تعرفه على ياسمين، وبعد الاستهلال السردى ومنطلقه. إن التوقيع على هذه الحادثة يعمل بوصفه حافزا سرديا يمهد لأحداث، ويفسر حالات، ففي خضم الحفر في أعماق الذات والتفكير في الماضي، يقفز إلى ذهنه الألم الذي يعانيه، ويستغرق في ذكر الحوادث التي سبقت الألم ونتائجه بشكل تستدعي فيه الحادثة شخصيات وأماكن، وزيادة على ذلك، فإن الحادثة سيكون لها التأثير البالغ في حياته. والحادثة، بإيجاز، أن البطل كان فارا هاربا عبر الجبال في ليلة باردة غريبة، برفقة سعيد الذي التقاه

١. الرواية: ٤٨.

٢. نفسه: ٢٥٤-٢٦، ٣٢-٣٤، ٧٦، ١٠٥، ١٣٠-١٣١.

مصادفة في أحد المقاهي القروية، وكان البطل يريد الهروب من حرب أو كارثة، يتفقان على المضي معا في يوم ثلجي عاصف، يجتازان الغابات ويلتقيان أشخاصا مسلحين ملتحين أخذوهما إلى بناية عالية، وأدخلاه قاعة واسعة حيث الطعام البسيط، وناما، بيد أن البطل بدأ يشعر بألم هائل في رجله اليمنى، ويستمر السرد في وصف الألم كأنه يحدث الآن، ويظل البطل مذعورا إلى أن يلتقي الحكيم الموسوعي المعرفة، فينصحه الحكيم أن يعالج روحه وليس جسده^(١).

ومما يعد من باب الاسترجاع الخارجي استرجاع "مرام"، صديقة البطل، لصباها، وبعض فترات حياتها، وكتبوح "سعيد" عن حياته، وهي أحاديث تسجل أحداثا سابقة للمنطلق السردى. ومن ذلك ما يتذكره البطل عن فترة المراهقة؛ إذ يستذكر، في جلسة بوح مع ياسمين، ذكرياته الجنسية في هذه الفترة: كان يختلس النظر، عندما كان يعيش في مدينة بدوية محافظة، إلى أسرار الناس الجنسية، كان يتلصص على البدويات، والفتيات اللواتي يقفن وحيدات في غرف مغلقة، وعلى العجائز في الأكواخ، ويروي كيف "كان يختلس النظر إلى جاره وهو يضاجع زوجته كل ليلة، يلتصق بالنافذة المطلّة على السياج، يسمع صوت المرأة وهي تتأوّه ... كل هذا يجعله يغيب في الأشجار ليسفح لذته على الصخور والعشب والديدان"^(٢)، ومن الجلي أن هذا الاسترجاع الذي يغطي فترة زمنية طويلة، ويأتي تسجيلا لعادة لا تقتصر على الفرد نفسه، وإنما تكشف عن كميّة الآلام والكبت والضيق وقسوة التعامل مع الأبناء... - يكشف عن بيئة اجتماعية تعيش حالة تخلف وجهل، بيئة متخمة بشيوع قيم المادة والجسد جنبا إلى جنب مع المقدّس والديني في حالة تجاور معادٍ، بيد أن ياسمين عندما طلبت من المريدين والتلاميذ أن يتحدثوا عن تلك الفترة، كانت تهدف إلى الحث على "

١. الرواية: ٣٢-٣٤.

٢. نفسه: ٦٣-٦٤.

امتلاك الجراءة على البوح، على مواجهة الروح ونزواتها وشذوذها وأسرارها^(١). وعلى الرغم من أن السرد يقدم بوساطة راوٍ عليم؛ إذ يدشن المقطع، فإنه يغلب على هذا النوع من الاسترجاع أنه ذاتي مرتبط بمن يعيشه أو يبوح به، مرتبط بالشخصيات الحاضرة في الخطاب المعبرة عن ذواتها، المقدمة لوعيها وإدراكها، في بعض الأحيان، دون أن يعني ذلك أننا أمام شخصية ساردة "موثوق بها، ويعتمد عليها"، كما يرى وين بوث في سياق مختلف^(٢) عند مناقشته للرؤية السردية التي ستشير إليها هذه القراءة بإيجاز في موقع لاحق. إن ما يُروى يُقدّم من منظوره، وليس من منظور الشخصية الرئيسية، أو الراوي العليم، وإن كان الأخير منظماً للسرد. وعندما تُعطى الشخصية المجال للبوح، فإنها تستغرق، أحياناً، في السرد؛ ليشمل فترات طويلة من حياتها، وقد تقدم المفاصل الرئيسية من حياتها في موقع من الخطاب تجاوزه السرد، ويريد أن يرويّه الآن، فمثلاً، تترك إحدى الشخصيات، المهندس الذي تربطه علاقة مع البطل، ليروي لنا أكثر ما يتعلق بحياته بطريقة مقتضبة، هذا المهندس "منشطر إلى شطرين، لا يمكنه العمل إلا على مشروعين، وكأنه شخصان في جسد واحد"^(٣)، ولعل هذا التوصيف يستدعي تفسيراً لحالة الشخصية، وكيف انتهت إلى ما انتهت إليه؛ إذ تُمنح هذه الشخصية فرصة تسرد من خلالها أحداثاً تسعف في تفسير حالتها الراهنة: الولادة، ولد الثالث وأحس أنه غير مرغوب به... مرضه ونقله إلى محجر صحي... تذكر الصحراء وغابات النخيل... الختان... ميله إلى التوحد بالأرض والأشياء المحيطة... عود إلى

١. الرواية: ٦٥، ٩١-٩٦.

٢. وين بوث، "البعد ووجهة النظر - مقالة في التصنيف"، ترجمة علاء عبادي، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، س١٢، العدد ٢، ١٩٩٢: ٤٨؛ وانظر سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي العربي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٣: ٢٩٢.

٣. الرواية: ٩١.

قساوة الأب الذي شكل له كابوساً...^(١) يتحدث المهندس عن هذه الأمور وغيرها مسترجعاً ومن خلال وعيه هو، ويكون البطل مستمعاً إليه دون تدخل أو مقاطعة، يقول السارد مفسراً هذه الإصغاء، ومحاولاً الإشارة إلى تشابه بين البطل والشخصية: " كانت لديه (البطل) موهبة خارقة في الإصغاء... شعر باستغراب الرجل أنه لم يقاطعه أثناء سرده لحكايته. لقد انغمس حقاً بكلمات الرجل... وشعر به كما لو كان يروي قصته هو"^(٢). إن هذا الاسترجاع كشف عن بعض أبعاد الشخصية النفسية والاجتماعية، كما أضاع شخصية البطل، كأن معظم الشخصيات يُحرص على تقديمها لأهميتها في تجلية الجوانب المختلفة المعقدة من سيرة حياة البطل/ المؤلف.

إن اكتظاظ النصّ بأنواع الاسترجاع مكن السارد العليم، والرواة من الدرجة الثانية- من تعرية الشخصيات، والكشف عن خفاياها الروحية والنفسية، وحل مسالكها بشكل لافت للنظر؛ إذ ظل النص يوقع على هذه المسائل على طول صفحات الرواية. إننا أمام مجتمع خاص متكامل قُدّم معظمه من خلال تقنية الاسترجاع، نقرأ نصّاً متداخلاً في بنائه، ولا يسير على حبكة تقليدية متعاقبة تأخذ الأحداث فيها بعضها برقاب بعض، ولسنا إزاء سرد طولي يأخذ بيد المتلقي من البداية إلى النهاية. إن الخروج من هيمنة السرد الخطي إلى التداخل والتزامن، والتجريب وحرية الكتابة، لم يأت اعتباطاً، وإنما وُلد متماهياً مع متغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية، كأنما يعادل الكتابُ الكتابةَ بما يجري على الأرض من أحداث لا تخضع لمنطق أو تفسير^(٣)، ومما يلاحظ على الاسترجاع أنه لا ينقل الأحداث وزمانها، وما وقع في هذا الزمان حسب، وإنما يُضمّن المقاطع المسترجعة وصفاً للشخصية والمكان والبيئة الاجتماعية

١. الرواية: ٩٢-٩٦.

٢. نفسه: ٩٦.

٣. الصكر، " الفانتازي والغرائبي... " موقع غيمان.

والاقتصادية، وأحيانا يستغرق في الوصف إلى حد يطغى فيه على المقطع المسترجع، دون أن يعني ذلك ضياع الزمن وتلاشيهِ، ففي استرجاع الشخصية الرئيسية طفولتها وصباها نقرأ معجماً خاصاً للنباتات والحيوانات والتضاريس والمناخات، كما نطلع على أفق اجتماعي فني يكاد يكون متكاملًا^(١)، على الرغم من اتكاء الكاتب على الانتقاء من خيارات متعددة. بالإضافة إلى ذلك يتكفل الاسترجاع بتعزيد آلية الوحدات السردية الصغرى (مقاطع)، والكبرى (فصول)؛ لتبدو منسجمة مع معاني الرواية، وأفكارها الرئيسية وتقنياتها الأخرى: الروح والجسد، الجمع بين الروحي والمادي بشكل لا يطغى فيهما أحدهما على الآخر؛ الفانتازي، البعد الصوفي، الاستبطان، الأحلام، الهذيان، وغير ذلك. إن هذه المظاهر الأسلوبية والمضمونية جعلت الاسترجاع أحد ميزات الرواية النفسية، فمن الجليّ، كما أشرنا كثيراً، إن الوحدات الصغرى والكبرى لا تخضع لمنطق التوالي والتعاقب الزمني (الدياكروني)، بمقدار ما تتبنى التداخل والتزامن (السينكروني) من خلال توظيف الاستدعاء والتداعي الحر، فيتبنى السرد، بذلك، تيار الوعي الذي يُقصد به: "جريان الذهن الذي يُفترض فيه عدم الانتهاء والاستواء"^(٢)، فحدث يستدعي آخر من خلال عملية نفسية وذهنية؛ إذ يتطلب موقف ما، مثلاً، معايشة البطل لمرام، استفزازاً للذهن وإيقاظاً للذاكرة؛ فينقطع جريان الزمن التاريخي؛ ليحل محله زمن ذهني مستدرج من مرحلة الصبا أو المراهقة عندما يقدم لنا السرد الممارسات الجنسية للشخصية الرئيسية في مرحلة متقدمة زمنياً، وقد يتضمن ذلك الولوج في منطقة الحلم أو الرؤيا أو حلم اليقظة.

١. الرواية، الفصل الثاني عشر: ١٧٠-١٧٥، مشاعر الخوف والقسوة والحزن، تفكك العلاقات، التعب والفقر، العمل اليومي للأطفال، غابات النخيل، الموت... "بل يجزم أن حياته الماضية لم تكن إلا سجلاً لا ينقطع من الدماء والذبح والقتل والفظاظات، لماذا قام بها وكيف، ومن دفعه إلى ذلك؟ أسئلة لم تعد تهمة": ١٧١-١٧٢.

٢. غنايم، تيار الوعي: ٩.

ويكاد توظيف تيار الوعي الذي أُلْمَح إليه البطل، بطريقة تقريرية مباشرة^(١) يغطي صفحات كثيرة من الرواية، ويعمل، بالتالي، على الكشف عن أدق مفردات الحياة الداخلية للشخصيات، مع التعويل على تسليط الضوء على المناطق المعتمدة المترسبة في الأعماق أو على " طبقة معينة من طبقات الوعي، وهي الطبقة السفلى"^(٢)، وتتضافر هذه المباشرة مع توظيف واعٍ للتقنيات التي تجعل الرواية تتدرج، في كثير من المظاهر، ولا سيما أسلوب السرد- ضمن تيار الوعي، ويعزز ذلك أن الثيمة المحورية التي يوقع عليها العمل على لسان البطل أو على لسان ياسمين، أو بطريقة مباشرة في ثنايا هذا السرد المتداخل المفكك- هي هذا الانسجام الفذ بين الروح والجسد، بين الظاهر والباطن- كما سنلاحظ في الإشارة إلى البعدين الصوفي والفانتازي لاحقاً-، الأسفل والأعلى، أو كما عبرت عنه الرواية " ... الساقين والقدمين والفخذين والحوض، ألا وهو الظهر. الظهر هو الجزء الأكثر انزواء عن العالم المحيط، والأكثر تعبيراً عن شخصية المرء... إنه المنطقة الأكبر للعمل فيها، جسدياً ونفسياً..."^(٣). بهذا تقدم هذه الرواية التجريبية الحديثة بناء مركباً معقداً يميزها عن الرواية الواقعية وما سبقها.

وتجب الإشارة إلى أن هذه الرواية لم تتبنَّ المونولوج الداخلي حسب، وإنما حقّقت شروط تيار الوعي التي تتضمن " الصور والاستعارات والتشبيهات، زيادة على الرموز التي تطرحها الرواية..."، كما يرى غنايم في سياق مختلف، ردّاً على الناقدة دوريث كوهين التي ترى أن تيار الوعي هو أحد أقسام المنولوج

١. يقول البطل: " ولأنه سيدون ما يحتويه ذهنه عن تجربته مع ياسمين، فلا بد أن ما سيكتب سيكون خلطة عجيبة، فيها الوقائع كما جرت، وفيها الخيالات التي صاحبها. فيها الأحلام والتداعيات. يختلط الواقع بالمتخيل فيصبح الفصل بينهما مستحيلاً..." الرواية: ١٠.

٢. غنايم، تيار الوعي في الرواية العربية: ١٢.

٣. الرواية: ٩٧.

الداخلي الذي تكون فيه مادة الوعي غير منظمة بالمنطق العام...؛^(١) إذ تتكفل الشخصية بتقديم الوصف أحيانا، وتقدم الصور، أحيانا، عبر الراوي الذي يقدم أحداثا وصورا مع أنه يتسم بالحيادية، ويشير صلاح فضل إلى إمكانية امتزاج الحديث النفسي والوصف الخارجي، فالراوي لا يختفي دائما في رواية التيار، مثلما أن الشخصية لا تسيطر دائما، بل ثمة تناوب وامتزاج في الأدوار^(٢).

الاستباق:

يبدو الاستباق أقل حضورا من الاسترجاع؛ ولعل ذلك يعود إلى أن هاجس السارد والشخصية الرئيسية ينصب على استحضار الماضي البعيد والقريب؛ لما لهما من تأثير في تشكيل الحياة النفسية والروحية والاجتماعية للناس، فالماضي لا يمكن تجاهله في تفسير السلوك البشري الراهن، لأن هذا السلوك إنما يتشكل نتيجة عوامل متشابكة ينتمي معظمها إلى تاريخ مضى من حياة الناس: الولادة والنشأة والتربية الأولى ومراحل الدراسة، وصعوبات الحياة الماضية وما تتركه من بصمات في حياة الأفراد، كما رأينا في الحديث عن الاسترجاع.

يتجلى الاستباق في غير صورة؛ إذ يأتي أحيانا على شكل أمنيات يشتغل المرء على تحقيقها، ويسعى إلى إنجازها، وقد يأتي مباشرة سافرا، كما هو الحال في الافتتاحية السردية، وما يليها مما يتعلق بطريقة تأليف الكتاب: تبنى التداخل، وطريقة جمع المادة، وتسجيل الملاحظات، ثم جمعها في المستقبل، أو الإفادة منها عند الحاجة... وقد رأينا، فعلا، أن هذه الاستباقات كانت إعلانات متحققة في معظمها، وقد سار عليها البطل/ مؤلف كتاب ياسمين، وأشار إلى كثير منها في ثنايا النص، وفي نهاياته. وتقدم بعض أشكال الاستباق من خلال الأحلام والمنامات والرؤى، وهي كثيرة، إذ ترى الشخصية في مرآتها ما الذي سيحدث،

١. غنايم، تيار الوعي: ١٤-١٦.

٢. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠: ٤٤٣.

ويمكن للمتلقي أن يخضع ذلك للسؤال؛ فبعض المرائي تحقق، وبعضها جاء على شكل إعلانات خاطئة. وتُقدّم بعض الاستباقات عن طريق التنبؤ والتوقع... ولعل ما يُعزّز ذلك السؤال الذي تنهض به القراءة: هل كل ما خطط له البطل في تأليف الكتاب قد أنجزه؟ هل كل ما كانت ياسمين تقدمه في ممارساتها الجسدية، ورياضاتها الروحية أفضى إلى النتيجة التي أرادت؟ وغير ذلك من الأسئلة الاستباقية التي يشترطها السرد، والتي قد نجد لها تكملة أو إجابة، أو تكون مجرد أساليب تشويقية وإعلانات غير متحققة. لم يمنح السرد إجابة، مثلاً، عن سؤال التأثير في الناس فيما يتعلق بتعاليم ياسمين، باستثناء البطل الذي حظي باحتفال السرد كمّاً ونوعاً. نحن لا نرى أثراً واضحاً في شخصية سعيد الذي غيبه الموت، أو في شخصية المهندس المنفصم أو في شخصيات أخرى ثانوية. التأثير الذي عشناه ولمسناه يتمثل في حياة البطل بعد تجربته الروحية العميقة؛ إذ بلغ مرحلة من الصفاء الروحي: " أيقنت أن الحياة والموت عملية واحدة، تتمّ ما دامت الكائنات على الأرض. كل شيء يتحوّل إلى نور في النهاية. أصبح كل شيء جميلاً، حتى ما يبدو بشعاً للعين أو الأذن. وأنا اليوم في حالة من الطمأنينة الداخلية شبه المطلقة"^(١)، وفي موقع آخر يشير إلى إنهائه كتاب ياسمين وتسليم المخطوطة إلى الناشر " وها هو بحالة روحية صافية ومزاج ألق"^(٢). ومع متابعة القراءة نجد إلحاحاً على الأمل والتفاؤل والسعادة والفرح، والتشبث بوجوب التوحد بين الجسد والروح.

ونجد بعض الشخصيات تطورت إلى حدود ملموسة، كما هو الحال مع مرام، أما سائر الشخصيات التي شاركت " نادي" ياسمين، مضت في حياتها دون أن يتمكن المتلقي من معرفة مصائرهما، أو امتحان تحقيقها للاستباقات الضمنية التي توافر عليها خطاب ياسمين، إن هذه الاستباقات لم تحمل وظائف كثيرة، ولعلّ

١. الرواية: ١٨٩.

٢. نفسه: ٢٠٠.

أبرز وظائفها يكمن في دفع القارئ إلى متابعة مصائر الشخصيات، كالمهندس والعجوز والأم والأب... وعلى الرغم من استثمار هذه التقنيات؛ فإنها لم تُفلح تماما في تقديم حبكة بالمعنى التقليدي، وليس ذلك لزاما، أو يعدّ غيابه نقيصة فنية، وإنما على العكس، يُعدّ التفكير سمة حداثيّة. قدّمت الأحداث، في الغالب، مقاطع متباعدة يغلب عليها التفكير المقصود، مع حضور انسجام بيّن في المضمون، ونحن لا نظفر من هذه الاسترجاعات والاستباقات بحكي أفعال بمقدار ما نحظى بحكي أقوال؛ مما يجعل تلخيص القصة أو إعادة سردها، على وفق متنها، أمرا غاية في الصعوبة؛ لا سيما عندما يقوم مقطع واحد بوظيفتين، فنجد مثلا الاسترجاع يوظف استباقا، يُستغلّ في التمهيد للمستقبل: عندما رأى البطل صورة ياسمين (معلقة على الحائط في منزلها) ذكرته ملامحها، كما أسلفت، بملامح شخص عرفه "خطر في باله وجه الحكيم الذي التقاه في الطائرة، هل حل في هذا المرأة؟" (١) لا شكّ أن لقاء الحكيم تمّ قبل تعرفه إلى ياسمين، فهو يسترجع حدثا سابقا يعدّ خارجيا، ويُستخدم في موضعه استباقا؛ لأننا سنتعرف إلى الحكيم بشكل موسع في موضع وزمن لاحقين، ومن أمثلة ذلك تذكر البطل أمّه؛ فالحافز لهذا التذكر رؤية الحلقات المذهبة في منزل ياسمين: "ذكرته إحدى تلك الحلقات بما كانت ترتديه أمّه أيام شبابها" (٢) هذه الملاحظة المقتضبة تحفز المتلقي على السؤال عن الأم، وعلاقة البطل بها، وكيف كان سلوكها؛ فالتذكر استرجاع خارجي، ولكنه، في الآن نفسه، يقوم بدور الاستباق؛ لأننا سنرى ظهورا لهذا القص في مواضع لاحقة يجيب عن بعض الأسئلة بمساحة نصية أطول.

ليس المتلقي إزاء أحداث متكاملة تتسلسل أو تتقاطع، أو تتباعد مقاطعها حسب، وإنما يجد نفسه إزاء سلسلة من التأمّلات والأفكار المجردة، سواء جاءت

١. الرواية: ١١.

٢. نفسه: ١٢.

في زمانها أو مسترجعة، إنّ التعويل على الذكريات وأحلام اليقظة، والمنامات والتأملات يُعدّ سببا فيما نراه من تداخل مربك، أو تفكيك مقصود، نلاحظ أن الكاتب يُحاول أن ينقل إلينا تأملات الشخصيات وأحلامها وأفكارها كم يحدث في الذهن دون ترتيبٍ يعتمد منطق السبب والنتيجة، نقرأ اتكاء على التتابع الذهني والعاطفي، واندفاع الذكريات التي تجعل السرد يبدو مفتتا يصهر معظم الأزمان في بوتقة واحدة. ولتعزيز هذا المنحى يمكن النظر في علاقة البطل مع مرام وسعيد والحكيم... التي تُقدّم مرارا من خلال التكرار غير المنتظم، ومع أن معرفة البطل بسعيد تعود، زمنيا، إلى وقت سابق لتعرفه إلى ياسمين، فإننا في الحديث عن ياسمين، نظفر بظهور شخصية سعيد، ينتقل البطل في سرده من الحاضر إلى الماضي، وعندما يستغرق في الحديث عن الماضي، لا يتردد في تحليل لحظة الحاضر دونما روابط منطقية، أحيانا، باستثناء التجاور السردية، بيد أن الأزمان ينسجم بعضها مع الآخر من خلال الفكرة أو الخاطرة. إن الكاتب، كما يظهر، وكما أعلن في الاستهلال، متأثر بتيار الوعي؛ بحيث يحظى تنظيم الأحداث بأهمية ثانوية " هذه الرواية (رواية التيار) تعتمد الحبكة ذات الأهمية الثانوية؛ لأن الأفكار تعوّض عنها"^(١)، ورواية التيار لا تطمح إلى نقل الواقع كاملا، وإنما تطمح إلى الكشف عن الحياة الداخلية؛ لذلك تفقد الحبكة بعضا من انتظامها^(٢).

هذا لا يعني خلو العمل من الوقائع المؤلفة للأحداث، بل على العكس، يستطيع المتلقي تخيّل عمل كامل حول كل حادثة. إن الكاتب يوجز في كل حادثة، ويستغرق غاية الاستغراق في رصد الأجواء العامة الطبيعية والاجتماعية، وتحليل الشخصيات والوقوف على أبعادها.

١. غنايم، تيار الوعي في الرواية العربية: ٣٧.

٢. نفسه: ٣٨.

التواتر:

هو مظهر آخر من مظاهر العلاقة بين القصة والحكاية أو المتن والمبنى؛ إذ تتم فيه دراسة كم الأحداث في المبنى مقارنة بتكرارها في الحكاية، الحدث يقع في المتن ويروي في المبنى، والسرد لا يعدو أن يكون، في وجه من وجوهه، تصرفاً في الأحداث التي منها يبنى هيكل الرواية^(١). وقد انتهى الباحثون، باختلافات يسيرة، إلى تحديد ثلاثة أنماط متفق عليها:

١- النص المفرد: وهو الذي يروي مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، ويغلب أن يهيمن هذا الضرب على أبنية السرد بأنواعها كافة. ومن اليسير التقاط أمثلة يسيرة على الأفراد في رواية كتاب ياسمين؛ إلا أن الإيغال في هذه المسألة لا يقدم جليل فائدة؛ فالأحداث تقع منفردة، ولا يُعاد ذكرها وروايتها إلا لأسباب مقنعة، وإلا عدّ ذلك ضرباً من الحشو. ومن أمثلة ما حدث مرة وروي مرة زواج البطل، ويبدو أنّ هذه الواقعة لم تترك بصماتها في حياته، ولم تحفز السرد، والأمر نفسه يقال عن عمله، والأحداث الصغيرة التي لا تشكل كبير أثر في نمو الحبكة أو الشخصية، ومن ذلك دخول مقهى ما، أو مخاطبة ياسمين لمريديها في مسائل نفسية وروحية كامتلاك الشجاعة للسفر داخل الذات، بيد أن ذلك لا يعني أن هذه المعاني لم تتكرر، وإنما كررت في مواقع وأماكن وأزمان متباعدة؛ مما جعل بعض الدارسين يعد ذلك نوعاً رابعاً من التواتر؛ حيث يُروى أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة، وهو، فيما أرى، لا يختلف عن المفرد، وإن تشابهت مكوناته، وظروف حدوثه؛ ذلك لأن الزمن مختلف. إن النص

١. مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً: ٨٢-٨٣؛ والصادق قسومة، النزعة الذهنية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ بين تشابك القضايا واختبار الأدوات، دار الجنوب للنشر، ١٩٩٢: ٥٥؛ ووليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥: ١١١-١١٨؛ ومحمد علي الشوابكة، ثنائيات في السرد، دراسات في المبنى الحكائي العربي، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ٢٠١٢: ٢٠٦-٢٠٨؛ وجينيت، خطاب الحكاية: ١٣٠.

الانفرادي إنما يستغل في الغالب للحديث عن مفردات الحياة العامة، ويدخل في ذلك الأحداث التي تشخص المعاني سواء أكانت مادية أم روحية، وثمة توقيع ملموس على إشكالية العدل أو التعادل بين ماهو مادي وما هو روحي، نقرأه حتما في كل فصل من فصول الرواية؛ حيث تتواتر، بأشكال مختلفة، أهمية انسجام الروح والجسد، كما أشرنا إلى ذلك غير مرة.

٢- النص المجلد أو المؤلف: وهو الذي يروي مرة واحدة ما حدث في المتن مرات عديدة. ويستعين الكاتب في تحديد النص المجلد بمعينات لفظية، كالقول: كل يوم، غالبا، عادة، ومن هنا يرتبط هذا الشكل بمنظومة القيم والعادات والتقاليد، أو الأعمال اليومية التي يستحيل على السارد ذكرها كاملة؛ لافتقارها إلى القيمة^(١). إن الإشارة إلى عمل البطل في المسرح، والإشارة إلى تخليه عن بيته وأسرته، لا يمكن أن يكون ذلك حدثا عاديا مفردا، وإنما واكبته مجموعة من الوقائع والأحداث ضرب الكاتب عنها صفحا، إما لعدم أهميتها، أو لأن ذكرها مفصلة يحمل معه آلاما وأوجاعا تذكره بما كان منغمسا فيه من حياة معقدة هيمنت عليها الأبعاد المادية؛ فجعلته ينظر إلى الحياة آنذاك نظرية أحادية: إشباع الرغبات الجسدية. وإذا تذكرنا المهندس (المنشطر إلى شطرين)، تذكرنا أيضا أنه لم يسرد من حياته إلا المراحل التي استقر في وعيه أنها شكلت حياته وأثرت فيها، لكن وراء هذه المفاصل الزمنية منظومة من العادات والقيم الفكرية التي يُنقلُ الاستغراق في تحليلها كاهل السرد؛ لذا لجأ النص إلى الإجمال، ولعل بعض ما ذكرته حسناء بن سليمان^(٢) عن دلالات النص المؤلف قد يصدق على بعض النماذج في "كتاب ياسمين".

٣- النص المكرر: وهو أن يُروى أكثر من مرة، ما حدث مرة واحدة، وتعتمد النصوص الحديثة على طاقة التكرار هذه؛ لما توفره هذه التقنية من مساحات

١. محمد علي الشوابكة، السرد المؤطر: ٨٣.

٢. حسناء بن سليمان، "بنية الخطاب السردية"، مجلة علامات، مجلد ١٤، جزء ٥٤، ٢٠٠٤: ٢٨٦.

واسعة للاطلاع على وجهات نظر متغايرة^(١)، ومن طاقات غنية تكشف تطور الشخصيات، واختلاف أساليب التعبير، كما تكشف مدى الزيادة التي يقدمها التكرار، وفوائد هذه الزيادة من تأكيد على أهمية الحدث، أو بغية تغيير الرؤية، أو قلبها. تكمن أهمية التكرار، إذن، في بيان أهمية الحدث وأثره في نمو الأحداث الأخرى، ومدى تأثيره في الشخصيات الرئيسية، ولكن التكرار في " كتاب ياسمين" لا يأتي مشابها لما حدث على وجه الدقة، وإنما يأتي موجزاً بالإشارة مرة، وبإكمال سرد الحدث والتعمق في وصف الشخصيات وتحليلها مرة أخرى.

يكون تكرار الأحداث مسوِّغا عندما يتصل بالشخصية الرئيسية، وهي هنا البطل/ المؤلف للكتاب داخل الرواية. من الأحداث التي حفرت عميقا في نفس البطل وقلبه، وطورت من رؤيته الفكرية، وأثرت فيمن اتصل بهم-حادثة اجتياز الحدود وتحمل الثلج والصقيع والمكوث في المجمع في سجن وتعرفه إلى سعيد، ثم الألم الذي أخذ يحسه في قدمه. إن الحديث عن هذه الوقائع غالبا ما ترتبط بسعيد، وتكرر هذه الأحداث مرارا في " المجمع"، ثم في ظروف أخرى. والملاحظ أن هذا التكرار يشير في أحيان كثيرة إلى " الحكيم" الذي كان دليله إلى ياسمين، عندما رأى أن البطل لا يعاني مرضا جسديا عضالا، وإنما يعاني خواء روحيا، وأن مرضه لا يعدو أن يكون عصبيا نفسيا، فدلَّه على من يعيد إليه توازنه: " الجسد والروح". في موقع نقرأ شيئا عن عبور الجبال والثلوج، والألم، والتعرف إلى سعيد...^(٢). وفي موقع آخر يتحدث البطل عن عقد المرجان، ويعرض إلى علاقته بسعيد، وكيف تنبأ بموته، ثم كيف مات^(٣)، ويتحدث عن عائلته وطفولته، فيذكر الأم والأب ويسرد أحداثا متصلة بهما

١. الرواية: ٨٢

٢. نفسه: ١٣٠-١٣١.

٣. نفسه: ٢٥-٢٦، ٣٢-٣٤. ويأتي على ذكر سعيد بإيجاز: ١٧.

وبالعائلة^(١)، ويعيد الحديث عن الجد في موقع آخر بإضافات قليلة^(٢). ويجب الانتباه إلى أن البطل/ المؤلف والراوي هنا لا يفوت فرصة دون أن يلفت الانتباه إلى تعاليم ياسمين التي تتمحور حول الجسد والروح.

الديمومة:

ويقارن فيها زمن المتن بزمن المبنى، وزمن المتن يقاس بمقاييس الزمن المعروفة: الدقيقة والساعة واليوم... في حين أن زمن المبنى يقاس بالامتداد على المساحة؛ فيقاس بالفقرة أو الصفحة أو الفصل... وتسمى هذه العلاقة "الدوام"^(٣) كما يصطلح عليها والاس مارتن، في حين يطلق عليها حميد لحمداني مصطلح الاستغراق الزمني^(٤) ليشير إلى التفاوت النسبي، الذي يصعب قياسه، بين زمن القصة وزمن السرد.

اعتاد الباحثون على الحديث عن أربع حركات سردية اثنتين من تقنيات التسريع السردية: التلخيص والحذف، والأخريين من تقنيات التبطيء: الوقفة والمشهد:

التلخيص:

ويسمى المجل، ويشير إلى الاختصار والاقتصاد اللغوي، إذ يتم سرد أيام أو شهور أو سنوات، أحيانا، من حياة الشخصيات أو الأحداث المتعلقة بها على مساحات نصية قصيرة، أسطر، أو فقرات، أو صفحات قليلة^(٥). وتكمن أهمية

١. الرواية: ١٢، ٣٢...

٢. نفسه: ٥٩...

٣. والاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، بغداد، ١٩٩٨: ١٦٤.

٤. حميد لحمداني، بنية النص السردية: ٧٥.

٥. المرزوقي وشاكر، مدخل إلى نظرية القصة: ٨٦.

التلخيص في أنه لا يلتفت إلى التفاصيل ذات البعد اليومي المألوف، وأنه يلتقط الأحداث والوقائع ذات التأثير البالغ في توجيه الشخصيات ومصائرهما، وفضلا عن ذلك، فإن الإيجاز يسعف في تقديم نص شعريّ مكثّف خال من الحشو والمقالات والتوصيفات الطويلة التي تكون عبئا على النص. إن استقصاء التقنيات الفنية السردية في الرواية لا يُفضي دائما إلى تقديم نتائج يعتد بها، لا سيما في بحث وليس في كتاب؛ لذلك أرى أن ضرب مثال واحد قد يعد كافيا. في الفصل التاسع من الرواية، وبالتحديد من الصفحة الثانية والتسعين إلى أول الصفحة السادسة والتسعين نستمع إلى " المهندس المنشطر... " يروي لنا سيرة ملخصة عن حياته: الولادة، موقف الوالدين، المرض وهو طفل، الختان، العلاج، النضج، والقدرة على التمييز... يبدأ النص بسرد ذاتي (من خلال الراوي): ولدت الثالث في أسرتي/ الإحساس بأنه غير مرغوب به/ الإصابة بمرض غير معروف/ المحجر الصحي/ الالتصاق بالطبيعة/العلاقة بالصحراء/ الختان/ تأملات وأفكار مجردة مثل: "الحياة تنقسم إلى عالمين، عالم الألم واللذة، الأجزاء السفلى من جسدي تسبب الألم، والأجزاء العليا تغذيني باللذة..."^(١). إن حياة بمثل هذا الطول الزمني والغنى بالأحداث لا تستوعبها أربع صفحات تقريبا، إن كل مفصل من حياة المهندس تحتاج إلى مساحات نصية طويلة يتبين من خلالها أثر الزمن في تشكيل الإنسان جسديا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا. وزيادة على ذلك فإن الحديث عن عوالم اللذة والألم وغيرهما لا يمكن أن تتكون وتتضج على هذه الشاكلة إلا إذا تقدم العمر واختمرت التجارب، وتعقدت العلاقات مع الناس وموجودات الطبيعة. وهذه أمور لمسناها في سيرة المهندس بشكل مقتضب استنتاجي ، بيد أن كل مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى مساحات نصية تغطي زمن الوقائع والأحداث، لقد كثف الكاتب سرده، متخليا عما هو ضروري لتقديرات المتلقي ودوره في إنتاج المعنى، مقدما، بذلك، سردا شعريا.

١. الرواية: ٩٤.

الحذف:

ويشير الحذف إلى المرور على فترات زمنية طويلة أو قصيرة دون أن يسرد ما وقع فيها من أحداث، وغالبا ما يقدم الكاتب معينات لفظية تقدر الفترة الزمنية المحذوفة، كأن يقال: ومرت سبع سنوات، وبعد شهر من اللقاء الأخير. والحذف أنواع: معلن عندما يشار إلى المدة الزمنية المحذوفة؛ والحذف الضمني: وهو الذي يقدر القارئ مدته من السياق، وثمة الحذف الافتراضي الذي يتمثل في البياض الطباعي بين الفصول، ومنه توالي ثلاث نقاط بوصفها علامات حذف. ومن أمثلة الحذف في الرواية الزمن الممتد من مغادرة البطل المجمع وذهابه إلى منزل ياسمين إلى رؤية سعيد ثانية، كذلك المدة الممتدة من اللقاء إلى تلقي نبأ غرق سعيد في قاع البحيرة. إن هذا الزمن لم يحظ إلا بإشارات خاطفة لا تقدم معلومات أو تكشف شيئا من حياة سعيد؛ ويعود ذلك إلى أن البطل هو الشخصية المركزية في العمل وأنها تحتاج إلى إضاءة؛ لأنها تقدم وعيا خاصا ورؤية محددة، ولها موقف تجاه " الجسد والروح " تكون بعد المجاهدة والمثابرة والصبر والوعي.

الوقف:

وتعني إيقاف وتيرة الزمن السردية، والتركيز على الأشياء والناس والنباتات والحيوانات، وتحليل النفسيات. وفي هذه الحالة لا يتطابق أي زمن وظيفي مع زمن الخطاب، وينطبق ذلك على الوصف والخواطر كما يرى تودوروف^(١). ومجال الوقفة في الغالب الوصف، سواء أكان ذاتيا، وصف المشاعر والانطباعات، أم موضوعيا كوصف الأشياء والأثاث. أما أنماط الوقفة

١. تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت، ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،

ط٢، ١٩٩٠: ٤٩، وانظر صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس

الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، آب ١٩٩٧: ٣٠٣.

فمتعددة، فقد تأتي رسدا للأبعاد الخارجية أو التأمّلات الداخلية، ولكن دون إحساس بالزمن، ويتعلق ذلك بوصف مظاهر الطبيعة أو الأبعاد الجغرافية، وربما يلجأ الكاتب إلى الوصف الخارجي الموضوعي المفعم بالحس الزمني، وقد نجد وصفا داخل السرد ممتزجا به، فتقدّم عندئذ صور سردية تعبيرية.

وقد أجاد الكاتب في تقديم كثير من هذه الأنماط، بل ربما كان الوصف ميدانه الأثير الذي يعمل على إضفاء سمات شعرية على النص، ويفجره بطاقات دلالية. ولكن الملاحظ أن الكاتب قلما يقدم وقفات وصفية متكاملة دون بث الإحساس الزمني فيما يقدم، وقلما نجد سردا حكايا متتابعا دون تقديم لوحات وصفية جزئية أو كاملة. لقد تعددت مفردات الموصوف الكلي أو الجزئي لتشمل معظم ما يتعلق بالحياة جسدا وروحا، فنظفر بمقاطع متعددة في النباتات- وتكاد هذه المسألة تستأثر باهتمام السارد- كما أن ثمة إلحاحا على وصف الحيوانات ومفردات الطبيعة الجامدة كالجبال، والأرض بما فيها من سهول وأنهار وسواق وبحار... ويأتي كل ذلك مرتبطا بالبشر؛ إذ لا قيمة لهذه الموجودات بمعزل عن ساكنيها، لأنها تسعف في استيعاب البيئة النفسية والثقافية للناس. ولعلّه من التزيّد تقديم أنماط الوصف وأشكاله كافّة؛ لأن هذه المسألة تحتاج إلى دراسة مستقلة؛ لأن الوصف يغطي صفحات الرواية. على أن الإشارة إلى بعض الأمثلة، بإيجاز، يوضح مسألة التحام الوصف بالسرد على نحو يخدم الفكرة الرئيسية التي تشكّل إيقاعا لافتا في النص، وهي انسجام الروح والجسد بشكل يفضي إلى السعادة واليقين " والطأنينية المطلقة" على حد تعبير البطل^(١). فمنذ الفصل الأول نطلّع على قصة لقائه ياسمين، محور الكتاب الذي يعكف على تأليفه، نقرأ وصفا لا يقصي الزمن، وسردا لا يمكن إلا أن يتحدث عن الأشياء، ليس ثمة مقطع منبت عن السرد، وإنما نجد رقعا وصفية تلتحم به التحاما عضويا: " بعد أن اجتاز الغابة ذات الأشجار الكثيفة، والبحيرة المليئة بالطيور، وجد نفسه سائرا

١. الرواية: ١٨٩.

في إسفلت على جانبيه أشجار كثة الورق وبيوت خفيضة تشبه لعب الأطفال، انتهى به الشارع إلى باب من الخشب دعائمه متصالبة، مد يده وأزاح الرتاج، ثم مشى في ممر إسمنتي وسط حديقة لطيفة متسقة، فثمة ورود وأزاهير وأعشاب للزينة... قاده الممر إلى باب البيت، ووجد الباب مواربا فدخل...^(١) هكذا تُقدّم اللوحات الوصفية ضمن إطارها السرديّ؛ مما يُضفي عليها رشاقة وحيوية، والأمر نفسه يقال عندما يصف الصالة والسجادة والنباتات الداخلية في البيت - وهي أثيرة لديه، إلى حد أنه " أعد ثبنا بأسماء الأزهار والحوارات والروائح والمشاعر والوجوه... "^(٢). ولكنه لا يصفها بمعزل عن السرد، وإنما بوصفها جزءا من دلالاته، وإذا كانت الأشياء ومفردات الطبيعة (دالا) على المادة والملموس المحسوس/ الجسد، فإن الإحساس بالزمن وإدراك قيمته وأثره يعدّ (دالا) على النفس والروح، وتعاين الوصف والسرد لا يعدو أن يكون تعبيراً وتمثيلاً لأنسجام الجسد والروح الموجهين بالوعي، كما ينسجم ذلك مع المركز الذي تديره ياسمين (القلب المغني)، وينسجم مع التأريض: المرحلة الأولى في رياضة ياسمين الروحية، وما يليه من سموّ وتحمل. وثمة مقاطع كثيرة تعضد هذه المسألة. وقبل إيراد بعضها تجدر الإشارة إلى مسألتين؛ ترتبط الأولى بتعدد مستويات الوصف لتشمل النوع والحجم والملبس واللون والروائح... وربما يتكون الشيء الموصوف من مستويات متعددة من حيث تعدد موجوداته، فإذا عدّ البيت محورَ الوصف فهو مستوى، ثم يشكل المدخل مستويا ثانيا، والصالة مستوى ثالثا، وهكذا. غير أنه يمكن أن نولد من كل مستوى مستويات من درجة أخرى... إن هذه التعددية في الوصف تُفضي إلى غنى اللوحة بالمكونات المختلفة التي يكشف كل واحد منها أفقا ما، ويقدم دلالة معينة، كما أنها لا تخلو من إشارات إلى الحياة الروحية والمادية؛ لبقى الوصف متصلا بالروح والجسد.

١. الرواية: ١١.

٢. نفسه: ١٥.

ومن أمثلة ذلك وصف بيت الشخصية الرئيسية^(١)، ومن أمثلته أيضا الوصف التأملي الذي يمتزج فيه الواقع بالحلم^(٢).

إن جمع مُختلفات الوصف في رقعة واحدة يشير إلى وحدة الطبيعة، فنحن نقرأ وصفا للنباتات والحيوانات والتضاريس والمناخات، ونقرأ تحليلا للنفسيات وعلاقة الناس بالأمكنة... نقرأ تعددا يفضي إلى الوحدة، واختلافا يفضي إلى الائتلاف، ويبدو عسيرا تناول مفردة واحدة بمعزل عن المكونات الأخرى في الرقعة الوصفية؛ مما يؤكد الوحدة الكونية التي يوقع عليها النص من خلال الجمع بين الجسد والروح.

إن سلسلة الرقع الوصفية لم تخفق في تقديم دلالاتها، وهي، في مجموعها، تمكن المتلقي في الخروج بمعجم لا بأس به لمفردات الطبيعة الصامتة والصائتة، للبشر والحيوانات والنباتات والمباني والحقول والأنهار والبحار، والأثاث... والأحلام والتأملات، ومنظومة القيم والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، ومجموعة الأفكار العامة. وقد قدم الوصف، في الغالب، من منظور الشخصية الرئيسية ومن خلال وعيها وإدراكها لهذه الذات؛ مما يجعل الوصف ذاتيا في إطار موضوعي من خلال الراوي المحايد. وتجدر الإشارة إلى أن الوصف، وإن جاء من منظور البطل أو بعض الشخصيات، فإنه يأتي غالبا عبر وسيط: السارد العليم. يعكس الوصف أحاسيس الشخصيات من الخارج والداخل، ويصور لنا الخلاص من العذاب والمعاناة والقسوة التي عاشتها، وكل ذلك جعل خوضها التجربة الفريدة مع ياسمين، واستيعابها لمجمل تعاليمها الخاصة بالجسد والروح - ينتهي بها بالتالي إلى مرحلة الصفاء الروحي والاستقرار النفسي.

ليس الوصف هنا زخرفا وتجميلا حسب، وإنما يتجاوز ذلك لتقديم معان، وإعطاء رموز، لا سيما عندما يقارن البطل، مثلا، بين النبات والحيوان من

١. الرواية: ٣٥-٣٦.

٢. نفسه: ٢٣-٢٥.

جهة، والإنسان من جهة أخرى، ويقدم لوحات وصفية ممتزجة بالسرد، وهذا المزج يقود إلى إضفاء مسحة إنسانية على الموجودات، تؤنس الطبيعة، فتصطبغ بالحزن والأسى والمعاناة عندما يكون الإنسان كذلك. ويبدو الأثر المتبادل جليا عندما تتشكل نفسية الإنسان وتتحدد مشاعره على وفق الطبيعة ذاتها، فالصفاء والسعادة والحبور لا تتفصل عن الأجواء العامة، وبعض مكونات الطبيعة تسهم في مساعدة الشخصية على كشف الذات والتخلص من صراعاتها الداخلية والخارجية، دون أن يعني ذلك أن الأنباري يتبنى ملامح رومانسية؛ لأن الكاتب واقعي يغرف مادة كتابته من الواقع المتخيل المغلف بالمبالغة التي تجعل من سرده ملامسا للفانتازيا بما فيها من محمولات رمزية.

ومما يميز الوصف الوقوف على أدق التفاصيل وإغناء النص بالمفردات الهائلة، ولكن هذا الإيغال بالتفاصيل لم يقصد منه الإيهام بالواقع، بمقدار قربته من المتخيل الفانتازي. وفي كثير من الوقفات الوصفية يتذكر المتلقي الوصف في ألف ليلة وليلة، وغيرها من الأعمال المتجاوزة للمألوف. ومهما تكن المسافة بين الفانتازي والواقعي، فإن الوصف يدفع المتلقي إلى اتخاذ موقف ما إيجابي أو سلبي تجاه الموصوفات، كما يشركه في تحسس آمال الشخصيات وهمومها وآلامها وطموحاتها وتطلعاتها: فعند قراءة المجتمع الروائي نشعر عمق المأساة التي أفضت إلى الألم والضياع والشتات والمادية واللهث وراء اليومي، وعندما نقرأ الصور السردية حول طفولة البطل أو المهندس نشاركهما أحاسيس القساوة، وقد نشعر بالتعاطف معهما.

المشهد الحواري:

المشهد هو الخطاب الذي تتساوى فيه بشكل نسبي مساحة النص مع زمن المتن، ويرى بعضهم أن المشهد هو المقطع الحواري الذي يأتي في تضاعيف السرد. وتكمن أهمية المشهد الحواري في أنه يضع المتلقي في حالة المشاهد لأحداث حاضرة تجري أمامه؛ ولذا فإنه يُضفي حيوية على النص، فالمتلقي يتابع

الحوار خطوة تلو أخرى، ويستمتع إلى أصوات تمثل مواقف متعددة، ووجهات نظر قد تكون متباينة^(١).

جاء الحوار في هذه الرواية قليلا، إذا ما قورن بالوصف؛ لأن السرد عوّل على التداخل والتوازي الزمنيين، مفيدا من تقنية الاسترجاع الذي تقلل، فيما أرى، من نسبة الحوارات. ويغلب على الحوارات أنها جاءت منقولة، وصيغت بلغة مقتضبة قصيرة، وأحيانا تطول الجمل عندما لا يتعلق الأمر بالبحث في أمور الرؤيا. في بعض الحوارات الطويلة نقرأ تحليلا للأفكار والفلسفات والقيم، ففي حوار طويل نسبيا بين البطل ومرام في حفلة شواء، نتحدث مرام حول النار، سرها العجيب وصعودها إلى الأعلى، والسؤال عن امتلاكها روحا، ثم تشير إلى رغبتها في أن تكون كالنار، وهي ترى أن الناس عبدوا النار لأنهم وجدوها جميلة، وليس لأنها حارقة كما يظنون. البطل يتحدث عن الظلام وهو، عنده، اللامعنى، والضوء هو الحقيقة، وهو الوسيلة والهدف، وهو تحولات لا نهائية... مرام تتحدث عن غموض الإنسان، ورغباته الداخلية، ومشاعره، وكيف ينقلب من لحظة إلى أخرى، تأتينا لحظات تود فيها مضاجعة جميع الرجال، وأخرى تتسامى فيها وكأنها قديسة، ثم تتحدث عن غيبة العقل... والبطل يدلها على ياسمين علما تجد لديها علاجا لمآسيها... وهكذا يستمر الحوار مركزا على المسائل الفكرية والتأملية، زيادة على الأمور المادية، ويجب أن يفقد الحوار البطل ليقتترح على مرام الذهاب إلى صالة ياسمين، لتسأله عن شخصيتها؛ فيحار البطل في الرد، فياسمين عصية على التعريف، فكرة تجسدت في امرأة متميزة في بيتها وموجوداته، ذات أفكار غريبة، حكيمة، كما يراها،

١. حول المشهد ينظر: المرزوقي وشاكر، مدخل إلى نظرية القصة: ٩٠؛ وتودوروف، الشعرية: ٤٩؛ ورولان بورنوف، وأوثيليه، عالم الرواية، ترجمة: نهاد تكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢: ٥٢؛ ويمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ١٩٩٩: ٨٣.

تعتقد أن للحجر روحا وأن الرمال كائنات حية. وعندما يستمر الحوار نتعلم منه شيئاً عن ماضي مرام، وما تعرضت له من قمع وظلم واغتصاب؛ مما دفع بها إلى ما يعد انحرافاً^(١). إن مرام منحازة، فيما يبدو، إلى الجانب المادي الجسدي دون اعتبار يُذكر للحياة الروحية للبشر، مما يجعلها مفتقرة إلى التوازن والتعادل، وهو الأمر الذي كان البطل يعاني منه قبل لقائه ياسمين: الإنسان والفكرة. ونعثر على حوار قصير يكشف تقدير الذات لدى ياسمين، والتأكيد على أنها لا تعدو أن تكون فكرة خيرة تشكل طموح الناس:

-هل أنت ياسمين؟

-كلا.

-من أنت إذا؟

-أنا الأنثى التي يحلم بها الجميع^(٢).

يأتي الحوار، أحياناً، من طرف ياسمين، ولا يتجاوز دور المجموعة المداخلات المقتضية، أو الاستماع للمواعظ التي تلقىها بوصفها ساردة، ويكاد هذا النمط يغطي معظم الصفحات التي تكون فيها محورا للسرد وإلقاء التوجيهات. بيد أننا نظفر ببعض المقاطع الحوارية التي تضيء الشخصيات وتكشف مستواها الاجتماعي والثقافي والنفسي، ومن ذلك ما نقرأه من حوار مطول نسبياً بين البطل وسعيد في بيت سعيد، وهو حوار يحلل بعض قيم العمل، والعلاقات الاجتماعية. غير أنه لا يخلو من أبعاد غريبة فانتازية^(٣).

١. الرواية: ٤٧-٤٩.

٢. نفسه: ٢٤.

٣. نفسه: ٧٠.

الخاتمة:

وبعد،

فإنّ هذه الرواية تُعدّ إضافة إلى الرواية العربية التي عالجت المسائل الروحية، وعلاقة الروح بالجسد على نحو كُرس السرد، بمجمله، لجلاء هذه العلاقة بين المادي والروحي، وقد انجلت هذه العلاقة التعادلية من خلال المباشرة في عرض الأفكار التي يعتقد السرد أنها تفضي إلى السعادة والصفاء الروحي والإشباع المادي واليقين. وقد مال النص، في كثير من الأحيان إلى الوعظ المباشر، وتقديم معان وأفكار مجردة، ولكنه في الوقت ذاته قدّم أحداثاً ووقائع عامة عكست الأفكار التي أراد أن يعرضها، مازجا الواقعي بالمتخيّل، والمعقول بالفانتازي، والمادي بالصوفي، على نحو يقدم رؤية قوامها أن السعادة البشرية لا يمكن أن تتبني إلا على تجاوز والتحام حميمين بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح، وعلى شيوع قيم الخير والحب والعمل والتفكير والحرية والعدل والمساواة وامتلاك الإرادة والتواضع والقوة... وكل ذلك قدّم دون خوض في المسائل الدينية والعقائد السائدة؛ كأن الرواية تقود المتلقي إلى رؤية خارجة عن المؤلف من خلال تقديم مشاهد وأحداث تتحرف عما تواضعت عليه المجتمعات التي يُفترض أن الأعمال الأدبية توجّه إليها كالتوقيع على الجنس والخمر والإباحة.

لقد قاد سؤال التعادلية إلى مقارنات عميقة بين ماضي الشخصيات وحاضرها وما انتهت إليه، فاستغرقت هذه الشخصيات في أعماقها، واستبطنت حياتها الماضية؛ مبرزة أثر الماضي في تشكيل الحاضر. ومن خلال ذلك لم تُغفل الرواية تقديم نقد صارخ لمجمل العادات والقيم والتقاليد السائدة، ومنظومة الأفكار المهيمنة، وأشكال التخلف التي يعيشها مجتمع الرواية؛ لذلك، ومع سيادة القيم المادية أو الانغلاق الديني، تسعى الرواية إلى تقديم بدائل تشكل حُلولا لما

يعاني منه الإنسان بشكل عام من وهن وتعاसे وقساوة وظلم ومطاردة ... بيد
أن البديل كان مثاليا، مدينة فاضلة تُصنع بأيدي البشر وتآخيههم.
إن رسائل الرواية قُدمت من خلال التقنيات السردية المعروفة التي تشكل
العمل. وما كان لهذه الرسائل أن تنجح في ملامسة فكر المتلقي ووجدانه لولا
توظيف الاسترجاع بأنواعه المختلفة، الذي مكن النص من مقارنة الحاضر
بالماضي، وجعل الأخير حافزاً على التغيير، والسعي نحو الأفضل للفرد
والمجتمع.

المراجع:

- إبراهيم، عبد الله، " الرواية العربية والموقف الثقافي"، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، مجلد ١٢، جزء ٤٧، مارس، ٢٠٠٣: ١٤.
- أسعد، سامية، التحليل البنيوي للسرد، مجلة الأقلام، ع٣، ١٩٧٨.
- أشهبون، عبد الملك، عتبات الكتابة الروائيّة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠٠٩.
- آغا(ال)، خضر، " حكاية امرأة تقود الآخرين إلى عالمهم الداخلي ليروا كنوزه الكثيرة"، الحياة، ١٤/٢/٢٠٠١، رقم العدد: ١٣٨٥٠. (http://daharchives.alhayat.com/issue_archive).
- أنباري (ال)، شاكِر، كتاب ياسمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، التوزيع في الأردن: دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٠.
- بن سليمان، حسناء، " بنية الخطاب السردية"، مجلة علامات، مجلد ١٤، جزء ٥٤، ٢٠٠٤.
- بنكراد، سعيد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وبيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- بوث، وين، " البعد ووجهة النظر - مقالة في التصنيف"، ترجمة علاء عبادي، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، س١٢، العدد ٢، ١٩٩٢.
- بورنوف، رولان، وأوتيليه، عالم الرواية، ترجمة: نهاد تكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢.
- بوكرامي، سعيد، " وظائف السارد في مجموعة بائعة الورد لمحمد زفزاف"، مجلة علامات، مجلد ١٥، جزء ٥٩، ٢٠٠٦.

- تودوروف، تزفتيان، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت، ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٠.
- تودوروف، تزفتيان، "مقولات السرد الأدبي" ضمن طرائق تحليل السرد الأدبي، مجموعة كتاب، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢.
- توماشفسكي، بورييس، "نظرية الأغراض"، ضمن نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين الروس، تقديم تزفتيان تودوروف، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٢.
- ثامر، فاضل، المبنى الميتا سردي في الرواية، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠١٣.
- جزّار(ال)، محمد فكري، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
- جينيت، جيرار، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ت: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط٢، ١٩٩٧.
- حافظ، صبري، "فن البدايات ووظيفتها في النص الروائي"، مجلة الكرمل، ع٢١-٢٢، ١٩٩٤.
- حجري (ال)، عبد الفتاح، عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابطة، المغرب، ط١، ١٩٩٦.
- حسين، خالد، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧.

- حكيم (ال)، توفيق، التعاادلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٦.
- حكيم (ال)، توفيق، عصفور من الشرق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤.
- حليفي، شعيب، " استراتيجية العنوان"، مجلة الكرمل، عدد ٤٦، ١٩٩٢.
- حمداوي، جميل، " السيميوطيقا والعنونة"، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٥، العدد الثالث، ١٩٩٧.
- رحيم، عبد القادر، علم العنونة، دار التكوين، دمشق ٢٠١٠.
- سلمان(ال)، علون، " في المبنى الميتا سردي"، موقع الزمان: azzamzn.com
- شاهين، سمير الحاج، لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- شوابكة، محمد علي، ثنائيات في السرد، دراسات في المبنى الحكائي العربي، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ٢٠١٢.
- شوابكة، محمد علي، ثنائيات في السرد، دراسات في المبنى الحكائي العربي، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ٢٠١٢.
- صكر(ال)، حاتم، " الفانتازي والغرائبي.. جوانب من السرد الروائي العراقي"، موقع غيمان، العدد الرابع، ربيع ٢٠٠٨.
- عبد الوهاب، محمود، ثريا النصّ، مدخل لدراسة العنوان القصصي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥.
- علي، سامي بالحاج، " السرد والاسلوب في الرواية العربية"، مجلة علامات، مجلد ١١، جزء ٤٣.

- عيد(ال)، يمنى، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار
الفارابي، بيروت، ط٢، ١٩٩٩.
- غابري، الهادي، " وظائف السارد في باب الشمس"، مجلة علامات، النادي
الأدبي، جدة، مجلد ١٥، جزء ١٥، ٢٠٠٦.
- غزامي(ال)، عبد الله، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريرية، قراءة
نقدية لنموذج إنساني معاصر، كتاب النادي الأدبي الثقافي (٢٧)، جدة، ط١،
١٩٨٥.
- غنايم، محمود، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، دراسة أسلوبية، دار
الجيل، بيروت؛ ودار الهدى، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣.
- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، آب ١٩٩٧.
- فضل، صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية،
القاهرة، ١٩٨٠.
- قاسم، سيزا، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير
للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- قسومة، الصادق، النزعة الذهنية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ بين تشابك
القضايا واختبار الأدوات، دار الجنوب للنشر، ١٩٩٢.
- كردي(ال)، عبد الرحيم، الراوي والنص القصصي، دار النشر للجامعات،
القاهرة، ط٢، ١٩٩٦.
- الحمداني، حميد، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي
العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣.

- مارتن، والاس، نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، بغداد، ١٩٩٨.
- مرزوقي، سمير، و شاكر، جميل، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، والدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦.
- موسوي، محسن جاسم، " رواية النص خطاباً نقدياً في الرواية العربية المعاصرة"، مجلة الأقاليم العراقية، العدد الخامس، السنة الثالثة والعشرون، ١٩٨٨.
- نجار، وليد، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- نصير(ال)، ياسين، الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٩٣.
- نور الدين، صدوق، البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ١٩٩٤.
- هتشون، لينا، " ما بعد الحكي"، عرض د. رسول محمد رسول: alittihad.ae.
- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي العربي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
- يقطين، سعيد، عتبات جيران جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم "ناشرون"، الجزائر، ط١/ ٢٠٠٨.

المصادر والمراجع: Romanized Charachters

- Ābd al-Wahhāb, Maḥmūd, Thurayya al-Naṣṣ, Madkhal li Dirāsāt al-
Uṅwān al-Qaṣaṣī, Dar al-Shu'ūn al-Thaqāfiyah al-Āmah, Baghdād, 1995.
- Al- Ḥajmarī, ʿabdulfattāḥ, Ātabāt al Naṣṣ, Albinyah wa al-
Dilālah, manshūrāt al- Rābiṭah, al-Maghrib, 1st. Ed, 1996.
- al- Ḥakīm, Tawfī, al-TAʿduliyyah, Maktabatu al-Adāb, al-qāhirah, 1966.
- al- Ḥakīm, Tawfī, Uṣfūr min al-Sharq, Dr al-Maʿārif al-qāhirah, 1974,
- Al- Ṣakr, Ḥātem, al-Fantāzi wa al-Ġaraʿibī, Jawānib min al-Sard al-
Riwāʿ al-irʿāqī, Mawqī Ġaymān, al-Ādad al-rābi, 2008.
- Al-āghā, " ḥikāyatu Imrātin taqudu al-ākhrīn...", al-ḥayāt, 14-12-
2001, no.13850,
- Al-ʿAnbārī, Shākīr, Kitābu Yasamīn, Al-Muʿassasatu Al- ʿArabyyatu lil
nashr wa- Altawzī, Beirut, Amman, 1st ed. 2000.
- Ālī, Sāmī Balḥāj, " al-Sardī wa al-ʿUslubī fī al-Riwāyati al-ʿArabiyah",
majallatu Ālāmāt, al-Nādī al-ʿĀdabī al-Thaqāfī, Jeddah, vol, 11, part 43.
- Al-ʿid, Yumnā, Taqaniyāt al-Sard al-Riwāʿ Fī Ḍawʿ al-Manhaj al-
Binyawī, Dār al-Fārābī, Bierut, 2nd.ed. 1995.
- Al-Jazzār, Muḥammad Fikrī, al-Uṅwān wa-simūṭiqia alittiṣāl al-Adabī,
al-Hyāh al-Miṣriyyah al-Āammah Lilkitāb, 1998.
- Al-Kurdī, Ābd al-Raḥīm, al-Rāwī wa al-Naṣṣ al-Qaṣaṣī, Dr al-Nashr li
Aljāmiāt, Cairo, 2nd. Ed. 1996.

- Al-Mūsawī, Muḥsin Jāsim, "Riwāyatu al-Naṣṣ Khiṭāban Naqdiyan Fī al-Riwāyah al-ʿArabīyah al-Muāṣirah", Majallatu al-Aqlām al-irāqīyah, no5, 1988.
- Al-Nuṣaiyr, yāsīn, Alistihlāl: Fannu al-Bidāyāt Fī al-Naṣṣ al-Adabī, Dār al-Shuūn al-Thaqāfiyah al-ʿAmah, Baghdād, 1st. ed. 1993.
- Alsalmān, ʿAllūn, Fī al-Mabnā Almetasardī", Azzamān.com.
- Asād, Sāmiyah, al-Taḥlīl al-Benyawī lessard, majallat al-Aqlam, no.3 , 1978.
- ʿAshhabūn, ʿAbdalmalik, ʿAtabāt al-Kitābati al-Riwāyyāti, Dār al-ḥiwār lil-Nashr wa-Tawzī, Syria, pub.1 , 2009.
- Binsulaymān, ḥasnā, " Binyatu agl- khiṭāb al-sardī", majallatu alāmāt, al-nādī al-ʿadabī al- thaqāfī, Jeddah, vol 14, part 54, 2004. -Bingrād, Saīd, Alsard Al-Riwāī wa Tajribatu almanā, al-Dār al-Bayḍā & Beirut, 1st ed. 2008.
- Booth, Wayne, " al-Buḍu wa Wujhatu al-Nazar" trans. ʿAlāʿl-ʿAbbādī, " majallatu al-Thaqāfati al-Ajnabyyah", Baghdād, year12, no.2, 1992.
- Bornove, Roland, & other, the World of the novel, trans, Nihād Tikerly, Dar al-Shu ūn al-Thaqāfiyah al-ʿAmah, Baghdād, 1st. ed, 1992.
- Būkrāmī, Sa ʿīd, "Waṣāʾif al-Sard Fī majmūʿati Bāʿiati al-Ward", " , majallatu alāmāt, al-nādī al-ʿadabī al- thaqāfī, Jeddah, vol 15, part 59, 2006.
- Faḍl, Ṣalāḥ, Balāghat al-Khiṭāb waʾlm al-Naṣṣ, ʿĀlam al-Marīfah, Kuwait, August, 1997.
- Faḍl, Ṣalāḥ, Naṣariyat al-Bināʾīyah, Maktabatu al-Anglū Miṣrīyah, Cairo, 1980.

- Ġābirī, al-Hādī, "Wazāf al-Sard Fī Bāb al-Shams", majallatu Ālāmāt, al-Nādī al-Ādabīal-Thaqāfī, Jeddah, vol, vol 15, part 15, 2006.
- Ġadhāmī, Ābdullāh, al-Khaṭīʿatu wa al-Takfīr, Min al-Binyawiyati ʿIlā al-Tashrīḥiyah, Qirāʿah Naqdiyyah Li Namūdḥaj Insānī, Kitāb al-Nādī al-Adabī al-Thaqāfī (27), Jeddah, 1st.ed, 1985.
- Ġanāyim, Maḥmūd, Tayyār al-Wayʿ Fī al-Riwāyah al-Ārabiyyah al-Ḥadīthah, Dirāsah Ōslūbīyah, Dār al-Jīl, Beirut & Dār al-Hudā, Cairo, 2nd.ed, 1993.
- Genette, Gerard, figures III, trans. M.Mutaṣim, al-Azdī & al-ḥllī, al-hayāh al-alāmmah lilmaṭābi al-Amīriyyah, 2nd ed., 1997.
- Ḥāfīz, Ṣabrī, " Fannu al-Bidayāt fī al-Naṣṣi al-Riwāʿī", majallatu al-Karmil, no.21-22, 1994.
- Ḥamdāwī, Jamīl, " al-Sīmyūṭīqya wa al-ʿanwanah", majallatu ʿālam al-Fikr, mujallad (vol.25) 25, nom, 3, 1997.
- Ḥulayfī, Shuʿayb, " Istratījiyyatu al-ʿunwān", majallatu al- Karmil, no.46, 1992.
- Ḥusan, Khālīd, Fī Naẓariyat al-ʿunwān, Dr al-Takwīn, Dimashq, 1st, ed, 2007.
- Hutcheon, Linda, M Bad al-Ḥaki, alittihad.ae.
- Ibrāhīm, Ābdallah, " alriwāyatu alʿarabyyatu wal- mawqif al-thaqāfī", majallat alāmāt, al-nādī al-ādabī al- thaqāfī, Jeddah, vol 12, part 47, March, 2003.
- Liḥamdānī, Ḥamīd, Binyat al-Naṣṣ al-Sardī min Manẓūr al-Naqd al-Adabī, al-Markiz al-Thqāfī l-Ārabī, Beirut, 2nd.ed, 1993.

- Martin, Wallace, Naẓariyāt al-Sard al- Ḥadīthah, trans, Ḥayāt Jāsim Muḥammad, al-Majlis al-Ālā li Althaqāfah, Baghdād, 1998.
- Marzūqī, Samīr & Shākir, Jamīl, Madkhal Ilā Naẓariyat al-Qiṣṣah Naẓariyatan wa Taṭbīqan, Dar al-Shuūn al-Thaqāfiyah al- 'Āmmah, Baghdād, 1986.
- Najjār Walīd, Qaḍāyā al-Sard Inda Najīb Maḥfūẓ, Manshrāt Dār al-kitāb al-Lubnānī, Beirut, 1ST.ed, 1985.
- Nūr al-dīn, Ṣaddūq, al-Bidāyah Fī al-Naṣṣ al-Riwāī, Dr al- Ḥiwār li-Anashr wa Tawzī, 'al-Lathiqiyah, 1st. 1994.
- Qāsim Sīzā, Bināū al-riwāyah, Dār al-Tanwīr liṭibātī wa al- Nashr, Beirut, 1st. 1985.
- Qassūmah, al- Ṣādiq, al-Nazāḥ al-Thihniyah Fī Riwayati al-Shaḥḥāth li Najīb Maḥfūẓ, Dār al-Janūb li Anashr, 1992.
- Raḥīm, □Abdalqāder, lmu Al□anwnah, Dr al-Takwīn, Dimashq, 2010.
- Shāhīn, Samīr al- Ḥājj, Laḥẓatu Al-Abadiyah, Dirāsatu al-Zaman fi Adab al-Qarn al-İshrīn, al-Muāssasatu Al- Ārabyyat lil nashr wa- Altawzī, Beirut, Amman, 1980.
- Shawabkeh, Muḥammad, Thunāīyat fī al-Sard, Dirasāt fī al-Mabnā al- Ḥikāī al- Ārabī, Wizārat al-Thaqāfah, Āmmān, 2012.
- Thāmir, Fāḍil, Al-Mitasardī fī al-Riwāyah, Dār al-Madā li-aththāqafati wa al- Nashr, 2013.
- Todorov, tzvetan, al-Shirīyah, trans. Shukrī al-Mabkhūt wa Rajā bin Salāmah, dār tubqāl, al-Dār al-Bayḍā, 2nd ed. 1990.
- Todorov, tzvetan, Maqūlāt al-Sard al-Adabī, Manshūrāt Ittiḥād Kuttāb al-Maghrib.

-Tomashevsky, Boris, " Naẓariyatu al-Aghrāḍ", included in Naẓariyatu al-Manhaj al-Shaklī, trans. Ibrāhīm al-Khaṭīb, Muṣasatu al-Abḥāth al-Arabīyah, Beirut, 1st. ed, 1982.

-Yaqṭīn, Saīd, Ātabāt Gerard Genette min al-Naṣṣ Īlā al-Munāṣ, al-Dār al-Ārabīyah li Alulūm, al-Jazār, 2008.

-Yaqṭīn, Saīd, Taḥlīl al-Khiṭāb al-Riwāī al-Ārabī, l-Markiz al-Thqāfī al-Ārabī, [Beirut](#), 1st. ed. 1993.

ظاهرة التفريق في التعليل اللغوي

* د. مصطفى شعبان

الملخص:

انعقد هذا البحث لدراسة ظاهرة من الظواهر اللغوية اصطلاح البحث على تسميتها بـ (ظاهرة التفريق في التعليل اللغوي). وتضمن هذا البحث تمهيداً وأربعة مباحث: التمهيد: سلكت فيه تأصيل مفهوم التفريق عند اللغويين والمعجميين واستخلاص التعريف الاصطلاحي الأنسب للظاهرة محل الدراسة، وأثر دراسة تلك الظاهرة. المبحث الأول: مظاهر ظاهرة التفريق بطريق النظام الحركي، واشتمل على ثلاثة أنماط من أنماط التفريق: أ- التفريق بين الوظائف المختلفة للصيغ. ب- التفريق بين المدلولات المختلفة للصيغ. ج- التفريق بين الأنواع المختلفة للصيغ. المبحث الثاني: مظاهر التفريق بطريق النظام المقطعي، واشتمل على ثلاثة أنماط من أنماط التفريق: أ- التفريق بواسطة زيادة حرف على الصيغة. ب- التفريق بواسطة حذف حرف من الصيغة. ج- التفريق بواسطة لزوم حرف للصيغة. المبحث الثالث: مظاهر ظاهرة التفريق بطريق النظام الصرفي، واشتمل على نمطين من أنماط التفريق: أ- التفريق بواسطة تغيير يحدث في الصيغة إعلالاً. ب- التفريق بواسطة تغيير يحدث في الصيغة وزناً. المبحث الرابع: مظاهر ظاهرة التفريق بطريق الصورة الكتابية الخطية، واشتمل على نمطين من أنماط التفريق: أ- التفريق بواسطة زيادة حرف. ب- التفريق بواسطة إبدال حرف من حرف آخر.

واختتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها ينلونها ثبتاً بالمصادر والمراجع المعتمدة.

* عضو هيئة التدريس بكلية اللغات الأجنبية جامعة القوميات / شمال غربي الصين

Abstract

"The phenomenon of differentiation in the linguistic reasoning"

This research was held to study the phenomenon of linguistic phenomena termed search-named (the phenomenon of differentiation in the linguistic reasoning).

This included research in preparation and four sections: Boot: trod where rooting the concept of differentiation when linguists and Dictionaries scientists and draw idiomatic definition of the most appropriate of the phenomenon under study, and the impact of the study of this phenomenon.

The first topic: the phenomenon of differentiating the path of the movements system, and included three types of patterns to differentiate: (a) to differentiate between the different functions of formats. (B) to differentiate between the different meanings of formats. (C) differentiate between different types of formats.

The second topic: the manifestations differentiate accidentally tomography system, and included three types of differentiation: (a) patterns to differentiate by adding a letter to the formula. (B) differentiate by deleting the character from

the formula. (C) differentiate by unnecessary character formula.

The third topic: the manifestations of the phenomenon of differentiating morphological system accidentally, and included two types of patterns to differentiate: (a) differentiating by change in the formula vowels.(B) differentiate by change in the formula weight.

The fourth topic: the Manifestations of the phenomenon by differentiating's written, and included two types of patterns to differentiate:(a) distinction by adding a letter.(B) differentiate By modify a character from another character.

Finally, the most important research findings followed proven sources and references approved.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام النبيين وخاتم المرسلين
ورحمة الله للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين،
وبعد:

فإن الباحث في الدرس اللغوي يقف على أنماط متنوعة متعددة من الظواهر
اللغوية المتكررة في أنظمة اللغة الأربعة: الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي،
التي تكشف من جانب عن تماسك النظام اللغوي للعربية، ومن جانب آخر عن
تفكير لغوي ثاقب لعلماء العربية انطلقوا من خلاله يؤسسون قواعد راسخة
احتذاها الفكر اللغوي المتعاقب ليدل على العمق النظري لهذا الفكر وتمكن
أصوله من تكوين النظرية اللغوية المكتملة.

وانطلاقاً من أنَّ العلة النحوية إنما يُراد بها تفسير الظاهرة اللغوية، والنفوذ
إلى ما وراءها، وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه، فإن من بين تلك
العلل اللغوية التي نبه عليها القدامى كثيراً في تناولهم للدرس اللغوي علة الفرق
أو المخالفة أو التفريق، وأرادوا بذلك تفسير الظاهرة وحاولوا محاولات شتى،
وأدلى كل من اللغويين والنحاة والصرفيين بدلائلهم في إبراز بعض مظاهر تلك
العلة في الدرس اللغوي حالما اتفق، غير أن أحداً منهم لم يُفرد لها بحثاً مستقلاً أو
كتاباً منفرداً، وإنما تتأثرت تنبيهاتهم على الظاهرة في أبواب مختلفة ومسائل
متباينة بشكل ينم عن تصور نظري دقيق لما تفسره الظاهرة من تغيرات طرأت
على اللفظ على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

من أجل ذلك احتاج الباحث إلى فحصٍ واستقراءٍ ومسحٍ لعدد كبير من المصادر، محيطاً هذا بتأملٍ واسعٍ وجهدٍ واسعٍ وفق المنهج الوصفي؛ ليقف على أنماط الظاهرة ومواقعها وحدودها؛ سعياً وراء الإلمام بأشكال التفريق وعرضها في إطار القوالب الأربعة: الحركي، والمقطعي، والبنوي، والكتابي.

وقد سلكتُ ظاهرة التفريق في تمهيد وأربعة مباحث يتلوان مقدمةً وتتلوهما خاتمةً:

سلكتُ في التمهيد: تأصيل ظاهرة التفريق في اللغة والاصطلاح وأثر دراسة تلك الظاهرة، وفي المبحث الأول: مظاهر ظاهرة التفريق بطريق النظام الحركي. وفي المبحث الثاني: دراسة مظاهر ظاهرة التفريق بطريق النظام المقطعي. وفي المبحث الثالث: دراسة مظاهر ظاهرة التفريق بطريق النظام البنوي الصرفي. وفي المبحث الرابع: دراسة مظاهر ظاهرة التفريق بطريق نظام الصورة الكتابية الخطية.

واستخلصتُ خاتمةً أظهرتُ فيها أهم ما توصلتُ إليه من نتائج في تحديد مفهوم ظاهرة التفريق ومواقعها في التعليل النحوي ومظاهرها في الدرس اللغوي.

وأخيراً أرجو الله أن ينال هذا العمل رضاه وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن أكون قد وفقت في شيء مما اجتهدت فيه، فإن كان ثمَّ توفيق فذلك الفضل من الله يؤتاه من يشاء، وإن كان غير ذلك فاستغفر الله مما ضل فيه القلم أو زلت فيه القدم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

تأصيل ظاهرة التفريق:

لا أبتغي إطالة الكلام في سبر المعاني اللغوية للفرق والتفريق في بحثي هذا، لا سيما مع شيوعه في معاجم اللغة، وإنما ألتزم في هذا القدر بيان الفارق بينهما نظراً لاستعمال المصطلحين مترادفين في تفسير تلك الظاهرة في الدرس اللغوي.

التفريق في اللغة:

جاء في الصحاح^(١): «فَرَّقْتُ بَيْنَ الشَّيْنَيْنِ أَفْرُقُ فَرْقًا وَفُرْقَانًا، وَفَرَّقْتُ الشَّيْءَ تَقْرِيقًا وَتَفْرِقَةً، فَانْفَرَقَ وَافْتَرَقَ وَتَفَرَّقَ». وفي اللسان: «الْفَرْقُ: خِلافُ الْجَمْعِ، فَرْقُهُ يَفْرِقُهُ فَرْقًا، وَفَرْقُهُ..»^(٢).

ويبدو لي أن السمة الفارقة بين (الفرق) و(التفريق) هي العموم والخصوص، فموارد (التفريق) في اللغة أعم من موارد (الفرق)، وأن ما يستعمل في الفرق يمكن استعمال التفريق فيه دون العكس؛ فإن التفريق يرد على معانٍ عدة:

منها: التبديد؛ قال الزبيدي: «وَفَرَّقَهُ تَقْرِيقًا وَتَفْرِقَةً كَمَا فِي "الصَّحَّاحِ": (بَدَّدَهُ)»^(٣).

(١) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ، ١٠٠٩م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٦ ج، تحقيق الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ج ٤، ص ١٥٤٠.

(٢) أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت ٧١١هـ، ١٣١٢م)، لسان العرب، ٦ ج، دار المعارف، ط ١، القاهرة، د.ت، ج ٥، ص ٣٣٩٧.

(٣) أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ، ١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٠ ج، تحقيق عبدالكريم العزباوي، وزارة الإعلام الكويتية، ط ١، الكويت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج ٢٦، ص ٢٩٤.

ومنها: المبادعة بين شيئين، وتشيت الشمل والكلمة؛ ومنه ما جاء في القرآن العظيم من قوله تعالى: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) (البقرة: ١٠٢). والمعنى: يباعدون بينهما. وقوله: (خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) (طه: ٩٤). والمعنى: شتت جمعهم وقسمتهم. وقوله: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) (التوبة: ١٠٧). والمعنى: تشتيتاً لجمعهم وكلمتهم.

ومنها: الممايزة بين شيئين والمفاصلة بينهما؛ ومنه قوله تعالى: (كُلُّ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكَ يَدَاكَ وَكُتِبَ لَهُ رُزُقُهُ) (البقرة: ٢٨٥). والمعنى: لا نميزُ بين أحد منهم.

مما سبق أستخلصُ أن الفعل (فَرَّقَ) قد يأتي متعدياً بنفسه (فَرَّقَ الشَّيْءَ) ويكون بمعنى (بَدَّدَ) و(قَسَّمَ)، وقد يأتي متعدياً بواسطة (بين) (فَرَّقَ بينهما) ويكون بمعنى: باعد، أو شتت، أو مَيَّزَ. ونستخلص كذلك أن التفريق في مضمونه يُقصدُ به: التمييز بين شيئين.

ويُعرِّف ابن منظور (الفَرَقَ) فيقول: «وَالْفَرَقُ تَفْرِيقٌ مَا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ حِينَ يَفَرَّقَانِ...»^(١). وقبله سوَّى ابن سيده بينهما في نقل حكاية عن اللحياني قائلاً: «وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا: كَفَرَّقَ، هَذِهِ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ»^(٢). وبمقتضى هذا قد يُفهم أنه لا فصل بين (الفَرَقَ) و(التَفْرِيقَ)، لولا أَنَّ ابن سيده نفسه حكى قولاً يفصل بين الفعلين بأن: (فَرَّقَ) فَرَقًا لِلصَّلَاحِ، و(فَرَّقَ) تَفْرِيقًا لِلْإِفْسَادِ^(٣). وهذا الفرق فيما يبدو لي لا

(١) ابن منظور: اللسان ج ٥، ص ٣٣٩٨.

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ، ١٠٦٦ م)، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٧، تحقيق د. مراد كامل، مطبوعات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط ١، القاهرة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، ج ٦، ص ٢٣٤.

(٣) المصدر السابق.

يُعوّل عليه في الفصل بين القبيلين؛ إذ قد جاء التفريق كثيراً في مواضع لا يُقصد بها الإفساد كما لا يخفى.

وقد استخرج أبو هلال العسكري في معجم فروقه اللغوية فرقاً آخر بين الفرق والتفريق، فقال: «إن الفرق خلاف الجمع، والتفريق جعل الشيء مفارقاً لغيره حتى كأنه جعل بينهما فرقاً بعد فرق حتى تباينا؛ وذلك أن التفعيل لتكثير الفعل، وقيل: فرّق الشعر فرقاً بالتخفيف؛ لأنه جعله فرقتين ولم يتكرر فعله فيه..»^(١). وجعل أبو البقاء الكفوي «(الفرق) في المعاني، و(التفريق) في الأعيان، يقال: فرقت بين الحكمين (مخففاً)، وفرقت بين الشخصين (مشدداً)»^(٢).

وبناء على الفرق المعتمد على الدلالة التصريفية الذي ارتضاه العسكري؛ فإن الفارق بين (الفرق) و(التفريق) غير مؤثر في المعنى الأصلي المبني على الجذر المعجمي الثلاثي: (ف ر ق) والذي هو التميز والتزيّل بين شيئين مطلقاً^(٣) بجعل فارق بينهما، سواء أكانا من الأحكام أم من الأعيان، ولذلك لا يجد البحث غضاظة في استعمال التفريق في موضع الفرق والعكس، وهو ما وجدته في استعمال اللغويين وتناولهم للظاهرة، بيد أنني أثرت استخدام مصطلح "التفريق" في دراسة تلك الظاهرة والتنظير لها.

(١) أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ، ١٠٠٥م)، الفروق اللغوية، ج١، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة-القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص ١٥١.

(٢) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، الحنفي (ت ١٠٩٤هـ، ١٦٨٣م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ج١، تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط٢، بيروت-لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص ٦٩٥.

(٣) أحمد رضا بن إبراهيم العاملي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق (ت ١٣٧٢هـ، ١٩٥٣م)، معجم متن اللغة، ج٥، دار مكتبة الحياة، ط١، بيروت، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م، ج٤، ص ٣٩٨.

التفريق في الاصطلاح:

والتفريق عند الأصوليين وأهل النظر من القوادح التي تبطل العليّة في باب القياس، وعدّوه أقوى الاعتراضات وأجدرها بالاعتناء ويعنون به: أن يفرّق المعترض بين الأصل والفرع بإبداء ما يختص بأحدهما لئلا يصح القياس ويقابله الجمع^(١).

أما النحاة فلم يذكروا (الفرق) ضمن قوادح العلة والاعتراضات على الاستدلال بالقياس^(٢)، وإنما عدّوه من العلل اللغوية التي تطرّد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم^(٣)، وبتحقيق النظر في مسلك الفريقين الأصوليين والنحويين نجد أن النحويين اشتقوا لأنفسهم منحى غير بعيد عما فعله الأصوليون؛ ضرورة أن الفرق عند الأصوليين هو أن يبين المعترض على القياس في الأصل وصفاً له مدخل في العليّة لا يوجد في الفرع، فيكون حاصله منع عليّة الوصف، فهم جعلوا هذا الوصف هو الفرق الذي منع قياس الفرع على الأصل، أما النحاة فعبروا عن الفرق بالعلة، وليس ثمة فارق؛ ففي كلا المسلكين الفرق مانع من قياس الفرع على الأصل؛ فمثلاً:

يقول تاج الدين السبكي -من الأصوليين-:

(١) أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت ٦٣١هـ، ١٢٣٤م)،

الإحكام في أصول الأحكام، ٤ ج، تحقيق الشيخ عبدالرزاق عفيفي، دار الصميعي، ط١، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج ٤، ص ١٢٥.

(٢) أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري الأنباري (ت ٥٧٧هـ، ١١٨٢م)، الإغراب

في جدل الإعراب، ١ ج، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ط١، دمشق، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م، ص ٥٤.

(٣) عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ، ١٥٠٦م)، الاقتراح في علم أصول النحو، ١ ج، تحقيق

د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص ٢٥٩.

الشافعية يقولون: النية في الوضوء واجبة؛ لأنها عن طهارة عن حدث فوجبت كالتيتم، والجامع أنهما طهارتان.

فيقول الخصم: الفرق ثابت بين الأصل والفرع؛ فإن العلة في وجوب النية في التيمم خصوصيته التي لا تعدوه وهي كونه تراباً، وعليه فإن خصوصية التيمم هي الوصف الذي أوجب الفرق بين الوضوء والتيمم في وجوب النية^(١).
ويقول ابن الطيب الفاسي -من النحاة:-

يتجرد خبر أفعال الشروع من (أن)، ويكثر لحاقها لخبر أفعال الرجاء، فإن الشروع لا يجامع الاستقبال لما بينهما من المنافاة؛ فإن الشروع حالي لا يجامع الاستقبال، والرجاء ليس كذلك، فقولهم: (إن الشروع لا يجامع الاستقبال) علة الفرق التي حالت دون قياس أفعال الشروع على أفعال الرجاء في لحاق (أن) لأخبارها^(٢).

وعليه فيمكن البحث أن يعرفَ (التفريق) في تلك الظاهرة اللغوية المدروسة اصطلاحاً بأنه: وصفٌ تعليلي يكون وجوده علة للتباين بين ما يتشابه من الألفاظ والتراكيب وفصلاً بين ما يُلَبَسُ منها.

(١) أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ، ١٣٧٠م)، الإبهاج في شرح منهاج البیضاوي، ج ٣، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج ٣، ص ١٣٤.

(٢) أبو عبدالله محمد بن الطيب الفاسي (ت ١١٧٠هـ، ١٧٥٧م)، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ج ٢، تحقيق د. محمود يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط ٢، دبي - الإمارات، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٨٦١.

وعرف بعضهم **علة التفريق** بأنها: العلة التي يفرق فيها بين حكمين مع أنهما متشابهان^(١).

ويسمي الدكتور تمام حسان هذه الظاهرة : "المخالفة"، ويعدها تطبيقاً بارزاً من تطبيقات أمن اللبس في العربية يقوم على تخصيص علامة مذكورة، أو محذوفة للدلالة على حالة الكلمة أو عددها أو وظيفتها النحوية أو حكمها الإعرابي فرقاً بين ما يتشابه من الألفاظ والتراكيب وفصلاً بين ما يلبس منها^(٢)، فاستعمل الدكتور تمام حسان هذا المصطلح بديلاً عن الفرق والفصل المستعملين في النحو العربي، ولعل السبب شموله لأجهزة اللغة العربية كلها كما يرى^(٣).

ويرى الدكتور علي أبو المكارم أن النحاة قدموا في تعليلاتهم-جزئية كانت أو كلية- نماذج مختلفة للعلل، ولكنها على اختلافها وتعددتها تكشف عن مؤثرين أساسيين توضح كافة التعليلات الماثورة عن هذه المرحلة أنهما كانا السبب وراء كثير من الظواهر اللغوية والقواعد النحوية: هذان المؤثران في رأيه هما: التخفيف، والفرق^(٤).

(١) حيدر جبار عيدان، "العلل التعليمية وتطبيقها الأصول في النحو أنموذجاً"، مجلة دراسات الكوفة، العراق، ٢٠٠٧م، العدد ٦، ص ١٣٨.

(٢) تمام حسان (ت ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية، حليات كلية دار العلوم، الهيئة العامة للكتاب والأجهزة العلمية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٩م، القاهرة، ص ١٢٤.

(٣) حسن خميس المخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ج ١، دار الشروق، ط ١، عمان، ٢٠٠٠م، ص ١٣٤.

(٤) علي أبو المكارم (ت ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، أصول التفكير النحوي، ج ١، دار غريب، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٦٠.

ثم يفسر ظاهرة المؤثر الثاني وهو (الفرق) بـ«أن اللغة لحكمتها أرادت أن تُفرّق بين الظواهر المتقاربة فاصطنعت لذلك أساليب محددة للفرقة بين هذه الظواهر»^(١). ثم حصر الأساليب التي استخدمتها اللغة في هذا النطاق في أسلوبين: أولهما: تنويع الحركة، الذي يهدف عند النحاة إلى تحقيق الفرقة بين ظواهر مختلفة، والثاني: نظام المقطع، الذي يتغير في تصور النحاة بواسطة زيادة بعض المقاطع أو حذفها للفرقة بين عدد من الظواهر التي تُلبسُ بدونها.

وقد ظهر للبحث قصور هذا التقسيم؛ إذ تبرز أشكالٌ أخرى يظهر التفريق من خلالها؛ كالإعلال والإبدال والقلب والتصحيح، بل قد يظهر الفرق من خلال الخط والكتابة، ومن ثم رأى البحث أن يزيد على تقسيم أبي المكارم قسمين آخرين يشملان النظام البنيوي الصرفي ونظام الكتابة، وعلى أساسه قسمت البحث إلى أربعة مباحث: على أساس نظام تنوع الحركات، ونظام تنوع المقاطع، ونظام تغير البنية، ونظام الصورة الكتابية الخطية، وبذلك التقسيم يكون البحث قد استوعب أشكال الظاهرة كافة.

(١) أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص ١٦٢.

ويبرز أثر دراسة تلك الظاهرة من خلال ثلاثة محاور:

الأول: أنه دراسة لعلّة من العلل اللغوية، «وقد كان تعليل الظواهر اللغوية والقواعد النحوية أحد المجالات المهمة التي كشف فيها النحويون عما استقر في فكرهم ووجدانهم من اتسام اللغة بالحكمة»^(١).

الثاني: إبراز مسلك القدامى في إلصاقهم التعليل النحوي أو العلة النحوية بالأحكام اللغوية (الصوتية الصرفية والنحوية)، فإن ما يقودهم إلى ذلك هو الراسخ عندهم من كون النحو هو انتحاء سمت كلام العرب فضلاً عن تغليبهم النحو على بقية مستويات الأداء اللغوي، ومن ثم غلبوا مصطلح التعليل النحوي والعلّة النحوية على التعليل الصوتي والصرفي، والعلّة الصوتية والصرفية^(٢).

الثالث: الفرق أو المخالفة وسيلة مطلوبة لتحقيق أمن اللبس في العربية مع التنبيه على أن حصول المخالفة ينبع من الوصف الذي يتسق مع أحكام النحو^(٣).

(١) أبو المكارم: أصول التفكير النحوي ص ١٥٨.

(٢) عادل نذير الحساني، التعليل الصوتي عند العرب، ج١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية- ديوان الوقف السني، ط١، العراق، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص ٢٧.

(٣) الحساني: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ١٣٧.

المبحث الأول

مظاهر ظاهرة التفريق بطريق النظام الحركي

وتتعدد مظاهر التفريق وصوره في هذا النظام بتنوع الحركات، ويهدفُ هذا التنوع عند اللغويين إلى تحقيق التفرقة بين مظاهر مختلفة، منها:

أولاً: التفريق بين الوظائف المختلفة للصيغ: ويندرج تحت هذا القسم صور متنوعة منها:

١- اختصاص الفاعل بالرفع والمفعول بالنصب للتفريق بين الفاعل والمفعول به^(١)، وهذا التنوع في الحركة «إنما احتُمِل للفرق بين المعاني التي لولاها وقع لبسٌ، فالرفع إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول اللذين يجوز أن يكون كل واحد منهما فاعلاً ومفعولاً»^(٢).

٢- كسر لام الأمر الجازمة للتفريق بينها وبين لا الابتداء: فإن هذه اللام الجازمة حرف جاء لمعنى شأنه في ذلك شأن واو العطف، وهمزة الاستفهام، ولام الابتداء، وقد كان ينبغي على قياس الباب أن تُفتح لام الأمر كما فُتِحَتْ هذه الأحرف «إلا أن العلة في كسرها أنها في الأفعال نظيرة حرف الجر في الأسماء؛ ألا ترى أن كل واحدة منهما مختصة من العمل بما يخص القبيل الذي

(١) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، المبرد (ت ٢٨٥هـ، ٨٩٩م)، المقتضب، ٤ج، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-وزارة الأوقاف، ط ٣، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ج ١، ص ١٤٦، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ، ١٠٠م)، الخصائص، ٣ج، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط ١، القاهرة، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ، ١٢٤٦م)، شرح المفصل في صنعة الإعراب، ١٠ج، إدارة الطباعة المنيرية-مصر، د.ت، ج ١، ص ٧٣.

هي فيه، فلا يتعداه إلى ما سواه، فمن حيث وجب كسر لام الجر في نحو: "لزيد مالٌ ولجعفرٌ" للفرق بينها وبين لام الابتداء، كذلك أيضاً وجب كسر هذه اللام؛ لأنها في الأفعال نظيرة تلك في الأسماء»^(١).

٣- كسر لام الجرّ مع الاسم الظاهر للتفريق بينها وبين لام الابتداء: ذهب سيبويه إلى أن أصل لام الجر أن تكون مفتوحة، ويردك إلى هذا الأصل قولك: "لَكَ"، و"لَهُ"؛ فإن علامة الإضمار هنا رَدَّت اللام إلى أصل حركتها وهو الفتح، فإذا قلت: "لزيد مالٌ"، كُسِرَت اللام مع الظاهر كيلا يلتبس بلام الابتداء إذا قلت: "لهذا أفضلُ منك"^(٢). وإنما كان أصل هذه اللام أن تكون مفتوحة مع المظهر؛ لأنها حرف يُضطرُّ المتكلم إلى تحريكه، إذ لا يمكن الابتداء به ساكناً، فحُرِّك بالفتح؛ لأنه أخفُّ الحركات، وبه يحصل الغرض، ولم يكن بنا حاجةٌ إلى تكلف ما هو أثقلُ منه، وإنما كُسِرَت مع الظاهر؛ للتفريق بينها وبين لام الابتداء، ألا تراك تقول: "إنَّ هذا لزيدٌ" إذا أردت أنه هو، و"إنَّ هذا لزيدٌ" إذا أردت أنه يملكه^(٣).

٤- الجزم بـ(إن)، والنصب بـ(اللام)؛ للتفريق بينهما: تمسك بعض الكوفيين بأن (اللام) -لام كي- تنصب المضارع بعدها بنفسها بدون إضمار (إن)؛ لأنها تفيد معنى الشرط فأشبهت (إن) المخففة الشرطية، «إلا أن (إن) لما كانت أمّ الجزاء أرادوا أن يفرقوا بينهما، فجزموها بإن ونصبوا باللام؛ للفرق بينهما، ولم

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢ ج، تحقيق د. حسن هندراوي، دار القلم، ط ٢، دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ١، ص ٣٨٧.

(٢) أبو بكر محمد بن السري بن سهل ابن السراج (ت ٣١٦هـ، ٩٢٩م)، الأصول في النحو، ٣ ج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط ٣، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٢٤.

(٣) ابن يعيش: شرح المفصل ج ٨، ص ٢٦.

يكن للرفع مدخل في واحد من هذين المعنيين؛ لأنه يبطل مذهب الشرط لأن الفعل المضارع إنما ارتفع لخلوه من حرف الشرط وغيره من العوامل الجازمة والناصبية»^(١).

٥- الاسم على وزن (فَعْلَة) صحيح العين إذا جُمع بالألف والتاء حُرِّكَتْ عينه إن كان اسماً وسكنتْ إذا كان صفةً للتفريق بين الاسم والصفة: ذلك أنه إن كانت وظيفة صيغة (فَعْلَة) هي الاسمية ثم أريد جمعه جمع المؤنث السالم «لم يكن بد من تحريك عينه إبتاعاً لحركة فائه نحو: "جَفَنَة وَجَفَنَات"، وإذا كان صفة بقيت العين على سكونها، نحو: "ضَخْمَة وَضَخْمَات"، وإنما فعلوا ذلك تفريقاً بين الاسم والصفة، وكان الاسم أولى بالتحريك لخفته، واحتمل لذلك ثقل الحركة»^(٢).

ففي تلك النظائر السابقة يظهر تنوعٌ في الحركات بغرض التفرقة بين وظائف الصيغ المختلفة، فحركة الفاعل بالرفع فرَّقَتْ بين وظيفته ووظيفة المفعول الذي تحرَّك بالفتحة لليلة نفسها، كما كُسرت لام الأمر ولام الجر للتفرقة الوظيفية بينهما وبين لام الابتداء التي تأتي مفتوحة دائماً، وجُزِم المضارع بعد (إن) ونُصِبَ بعد (اللام)؛ لأن الوظائف مختلفة في كل منهما، فكان لا بُدَّ أن تنتوع حركة ما بعدهما للتفرقة بين تلك الوظائف المختلفة لصيغتي (إن) و(اللام).

(١) أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ، ١١٨٢م)، الإتيان في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج ٢، تحقيق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة، ط ٤، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، ج ٢، ص ٥٧٥.

(٢) ينظر: المبرد، المقتضب ج ٢، ص ١٨٦، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ، ١٢٨٨م)، شرح شافية ابن الحاجب، ج ٤، تحقيق الأستاذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج ٤، ص ١٢٨، ابن يعيش ج ٥، ص ٥٥.

ثانيًا: التفريق بين المدلولات المختلفة للصيغ: ويندرج تحت هذا القسم صور متنوعة منها:

١- تنوع حركات ضمير المرفوع المتصل (تاء الفاعل) تفريقاً بين المتكلم، والمخاطب المذكر، والمخاطب المؤنث: ومنه: "فعلتُ" للمتكلم، و"فعلتِ" للمخاطب المذكر، و"فعلتِ" للمخاطبة المؤنثة؛ والسبب الذي ألجأ العربي الأول لإحداث هذا الفرق المؤثر في مدلول صيغ الضمير الواحد أنهم حين أرادوا حرفاً يكون علامة على الاسم الظاهر المستغنى عن ذكره، كان أولى الحروف بذلك حرفاً من الاسم، والاسم يختلف، فتارة يكون زيّداً، وتارة يكون عمراً، أخذوا من الاسم ما لا تختلف الأسماء فيه في حال الرفع، وهي الضمة، والضمة لا تستقلّ بنفسها ما لم تكن واوًا، ثم رأوا الواو لا يمكن تعاقب الحركات عليها لتقلها، وهم يحتاجون إلى الحركات في هذا الضمير تفريقاً بين المتكلم، والمخاطب المؤنث، والمخاطب المذكر، فجعلوا "التاء" مكان الواو، لقربها من مخرجها، ولأنها قد تبدل منها في كثير من الكلام نحو: "تراث"، و"تُخَمّة"، فاشترك ضمير المتكلم والمخاطب في "التاء"، كما اشتركا في "الألف والنون" من "أنا" و"أنت"؛ لأنهما شريكان في الكلام، لأن الكلام من حيث كان للمخاطب كان لفظاً، ومن حيث كان للمتكلم كان معنى قائماً بنفسه، ثم وقع الفرق بين ضميريهما بالحركة دون الحروف للحكمة المذكورة^(١).

(١) ينظر: أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ، ١١٨٢م)، أسرار العربية، ج١، تحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط١، دمشق، ص٣٩٧، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ، ١١٨٦م)، نتائج الفكر في النحو، ج١، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص١٧٣.

٢- حركة هاء ضمير الغائبة بالفتح للتفريق بين ضمير المذكر والمؤنث: حيث قالت العرب في ضمير الغائب المذكر: "كتابُهُ، كَلَمَتُهُ، كَأَنَّهُ"، فحرَّكوه بالضم، فلما أرادوا التفريق بين ضمير الذكور وضمير الإناث فتحوا الهاء في ضمير المؤنث فقالوا: "كتابِهَا، وكَلَمَتِهَا، كَأَنهَا"، وزادوا الألف تقويةً لحركة الهاء، أو تولدت عنها الألف ولزِمَتْ مطلقاً، على قول بعض النحاة^(١). وذهب بعضهم إلى أن المؤنث الذي أحدث الفرق هنا هو الألف التي لحقت للفصل بين التأنيث والتذكير كما ألحقت السين أو الشين في الوقف في قولهم: "أَكْرِمُكس، وأَكْرِمُكش" في بعض اللغات-يعني كسكسة هوازن وكشكشة ربيعة- لذلك، أي للتفريق بين التذكير والتأنيث^(٢). والبحث يميل لهذا الرأي الأخير القائل إن الألف هي العنصر الجالب للتفريق ثمة؛ ذلك أنهم لما استوت حركة الهاء في المذكر والمؤنث في حالة الجمع فقالوا: في الجمع المذكر: "كتابُهُمْ، وكتابَهُمْ" في حالتي الرفع والنصب، و"كتابِهِمْ" في حالة الجر، وفي الجمع المؤنث: "كتابُهُنَّ، وكتابَهُنَّ" في حالتي الرفع والنصب، و"كتابِيهِنَّ" في حالة الجر، فلما استوت حركة الهاء في حالة الجمع زادوا عنصراً آخر جالباً للتفريق وهو (الميم) في حالة جمع الذكور، و(النون) في حالة جمع الإناث بدل (الألف) التي كانت في ضمير المفردة، وفي ذلك دليل على أن الألف والميم والنون هي العناصر الجالبة للتفريق وليس حركة الهاء.

(١) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ، ١٣٤٥م)، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ١١ ج، تحقيق د.حسن هنداوي، دار القلم، ط١، دمشق، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١٦٢.

(٢) وهو رأي أبي علي الفارسي. ينظر: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ، ٩٨٨م)، الحجة في علل القراءات السبع، ٧ ج، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث-دمشق، متتاليًا من سنة ١٤٠٤ إلى ١٤١٣هـ، ج ١، ص ١٣٨.

٣- فتح نون جمع المذكر السالم للتفريق بينها وبين نون المثنى: وذلك كقولهم في الجمع: "مُسْلِمِينَ"؛ للتفريق بينها وبين نون المثنى المكسورة: "مُسْلِمِينَ"، ذلك أن الجمع فرع عن التنثية وتالٍ له في المرتبة، فإن الاسم يُفرد ثم يُثنى ثم يجمع، ومدلول الصيغتين مختلف يحتاج إلى تفريق بينهما، فلما أرادوا الجمع جمعوا على حدّ التنثية -كما ذكر سيبويه- بإلحاق الاسم زائدتين: الأولى منهما حرف المد واللين، والثانية نون، وحال الزيادة الأولى في السكون وترك التنوين وأنها حرف الإعراب حال الأولى في التنثية، إلا أنها واو مضموم ما قبلها في الرفع، وفي الجر والنصب ياءٌ مكسورةٌ ما قبلها ونونها مفتوحة، فرقوا بينها وبين نون الاثنين^(١). فكلتا النونين اشتركتا في أمر فحولت حركتهما للتفريق، فكلتاها محركة لالتقاء الساكنين، وخالفوا الحركة للتفريق بين التنثية والجمع، وكانت نون التنثية أولى بالكسر من نون الجمع؛ لأن قبلها ألفاً وهي خفيفة والكسرة ثقيلة، فاعتدلا، وقبل نون الجمع واو أو ياء وهي ثقيلة، ففتحوا النون ليعتدل الأمر^(٢).

٤- تنوع حركة ما قبل نون التوكيد المتصلة بالمضارع للتفريق بين المذكر والمؤنث: فقالوا في المفرد المذكر: "يَكْتُبَنَّ"، وفي الجمع المذكر: "يَكْتُبُنَّ"، وفي الواحدة المؤنثة: "تَكْتُبَنَّ"، ويُرجع الرضيُّ جوهر ذلك إلى «أن للعرب داعياً آخر إلى ترك إعراب ما قبل النون كما أعربوا الاسم على ما قبل التنوين، فرجحوا لذلك الداعي موجب البناء مع ضعفه، وهو اشتغال ما قبل النون المؤكدة بالحركة المجتلبة للفرق بين المفرد المذكر، والمجموع المذكر، والواحد المؤنث، ففتحوا

(١) ينظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ، ٧٩٨م)، الكتاب، ٥ ج، تحقيق الأستاذ

عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٨.

(٢) ابن جني: سر الصناعة ج ٢، ص ٤٨٨.

في الأول، وضموا في الثاني، وكسروا في الثالث، لأجل الفرق»^(١). ويمكن تفسير ما حدث في "يَكْتُبَنَّ" وفق النظام المقطعي، وبيان ذلك أن الواو لم تُحذف في الفعل "يَكْتُبَنَّ"، كما ذهب النحاة، وإنما قُصِّرَ المقطع تقصيراً منعاً لالتقاء الساكنين بعد حذف نون الإعراب نظراً لتوالي الأمثال.

ففي الثلاثة الأمثلة السالفة يتبين أن مؤثر الفرق إنما اجتلب لإحداث تفريق لازم لتمييز مدلول الصيغ، ففي المثال (١) أحدث مؤثر الفرق تمييزاً بين مدلولات الصيغ نوعاً (تذكيراً وتأنيتاً)، وفي المثال (٢) أحدث مؤثر الفرق تمييزاً بين مدلولات الصيغ كمّاً (تنشئة وجمعاً)، وفي المثال (٣) أحدث تمييزاً بينها (نوعاً وكماً).

٥- فتح (لام) المستغاث به وترك (لام) المستغاث من أجله على أصلها مكسورة للتفريق بين مدلول المستغاث والمستغاث من أجله: ذلك أن اللام الجارة في أصلها المتحول^(٢) تكون مكسورة مع الاسم الظاهر، نحو قولك: "المال لزيد"، غير أن في هذا الباب وقعت هذه اللام لمعنيين: أحدهما المستغاث به، والآخر المستغاث من أجله، فلم يكن بُدُّ من التفرقة بينهما، ففتحت لأم المستغاث به رجوعاً للأصل القديم، وترك لأم المستغاث من أجله مكسورة بحالها للتفريق، فإذا قلت: "يا لزيد" بالفتح، علم أنه مستغاث به، وإذا قلت: "يا

(١) الرضي، شرح الكافية لابن الحاجب، ٤، ج، تحقيق يوسف حسن عمر - منشورات جامعة قان يونس، ط٢، بنغازي، ١٩٩٦م، ج٤، ص٢٠.

(٢) إنما قلت: في أصلها المتحول؛ لأن أصل هذه اللام الفتح، تقول: هذا له، وهذا لك. وإنما كسرت مع الظاهر فراراً من اللبس؛ لأنك لو قلت: إنك لهذا وأنت تريد: لهذا لم يدر السامع أتريد لام الملك أم اللام التي للتوكيد؟ ينظر: المبرد، المقتضب، ج٤، ص٢٥٤.

لزيد" بالكسر، عُلِمَ أنه مستغاثٌ من أجله^(١). وإنما ألزموا لام المستغاث التغيير دون لام المستغاث من أجله؛ لأن هذه الأخرى في موضعها الذي تلحق هذه اللام له، وتلك إنما هي بدل من قولك: يا زيداه إذا مددت الصوت تستغيث به، فيا لزيد بمنزلة يا زيداه إذا كان غير مندوب^(٢).

٦- التفريق بين اسمي الفعل (إيه) و(إيهَا) في حركة الآخر لاختلاف مدلول الصيغتين: حيث جعلوا «إيه» بِمَعْنَى حَدَّثْنَا-أَي زِدْنَا من حديثك-: وتَنَوَّنَ فِي التَّكْثِيرِ عَلَى مَا هُوَ أَصْلُ الْبَابِ، فَإِنْ أُرِدَتْ أَنْ تَكْفَهُ عَنِ الْحَدِيثِ قُلْتَ: "إِيهًا" وفتحتَ هَذِهِ لِلْفَرْقِ بَيْنَ طَلَبِ الْحَدِيثِ وَطَلَبِ السُّكُوتِ»^(٣).

وكان القياس أن تكون (إيه) ساكنة الآخر كـ(صه)، و(مه)، إلا أنه التقى في آخرها ساكنان: الياء والهاء، فكسرت الهاء لالتقاء الساكنين واحتمل ثقل الكسرة بعد الياء، إذ لو فتحت لالتبست بـ(إيهَا) التي للكف وهي نائبة عن زِدْ أو حَدَّثْ^(٤).

فإحداث الفرق في كل تلك النظائر السابقة إنما كان ليحصل تمييز بين الصيغ في مدلولاتها، ولولا ذلك الأثر الفارق لالتبس الأمر ولما عُرِفَ وجه الدلالة من الصيغة، ثم إن الفرق جاء في كل ذلك بطريق نظام الحركة وتنوعها، مما يعطي

(١) ينظر: ابن يعيش ج ١، ص ١٣٠-١٣١، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني (٩٠٠هـ، ١٤٩٥م)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج ٤، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، ج ٢، ص ٤٦١.

(٢) ينظر: المبرد: المقتضب، ج ٤، ص ٢٥٤.

(٣) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ، ١٢٢٠م)، اللباب في علل البناء والإعراب، ج ٢، تحقيق د. عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، ط ١، بيروت، دار الفكر - دمشق، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ج ٢، ص ٩٤.

(٤) ينظر: ابن يعيش ج ٤، ص ٣١، ٧١.

اللغة سعة تدفع عن الصيغ اللبس الذي يمكن أن يسببه إهمال مؤثر التفريق بينها في ضوء ما ذكرنا.

ثالثاً: التفريق بين الأنواع المختلفة للصيغ: ويندرج تحت هذا القسم صور متنوعة منها:

١- من حيث الإعراب والبناء، ومنه تنوين التمكن: فإنه لحق الأسماء تفريقاً بين ما ينصرف وما لا ينصرف؛ وذلك نحو "عثمان" معرفة و"عثمان" نكرة، و"أحمد" معرفة و"أحمد" نكرة، ألا ترى أنك إذا قلت: "لقيت أحمدًا" فإنما كلفت المخاطب أن يرمي بفكره إلى واحد ممن اسمه أحمد، ولم تكلفه علم شخص معين، وإذا قلت: "لقيت أحمد" فإنما تريد أن تعرفه أنك لقيت الرجل الذي اسمه أحمد وبينك وبينه عهد متقدم فيه، فالتنوين هو الذي فرق بين هذين المعنيين، وفصل بين نوعي الصيغتين من حيث الإعراب والبناء^(١).

٢- من حيث التنكير والتعريف، ومنه تنوين التنكير: وهو التنوين اللاحق لبعض الأسماء المبنية تفريقاً بين معرفتها ونكرتها، ويقع في باب اسم الفعل بالسمع كـ"صه، ومه، وإيه"، وفي العلم المختوم بـ"ويه" بقياس نحو: "جاءني سيويه وسيويه آخر"^(٢). فمثلاً: إذا قلت: "إيه يا رجل إني جئتُك"، فإذا لم تتون فالتصويت، تريد الزجر عن شيء معروف، وإذا نونت فإنما تريد الزجر عن

(١) ينظر: ابن جني: سر الصناعة ج ٢، ص ٤٩٣، الأنباري: أسرار العربية، ص ٣٦.

(٢) أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف، ابن هشام (ت ٧٦١هـ، ١٣٦٠م)، مغني

اللبيب عن كتب الأعراب، ج ٧، تحقيق د. عبداللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط ١، الكويت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ج ٤، ص ٢٦٦.

شيء منكور^(١). ونقول: "مررت بسببويه"، فلا تتون حين تقصد المعرفة، و"مررت بسببويه آخر" فتتوون حين تقصد النكرة^(٢). فالتتوين هنا عامل مؤثر في الفرق بين نوعي الصيغتين من حيث التكرير والتعريف.

٣- من حيث التمكن وعدمه: ومنه: الفتح لالتقاء الساكنين للتفريق بين حرف التهجى وغيره: في باب "تحرك أواخر الكلم الساكنة إذا حذفت ألف الوصل لالتقاء الساكنين يعلل سببويه فتح الميم في قوله تعالى: (أَلَمْ * اللَّهُ) (آل عمران: ١، ٢) بقوله: «والفتح في حرفين: أحدهما قوله عز وجل: (أَلَمْ * اللَّهُ) لما كان من كلامهم أن يفتحوا لالتقاء الساكنين فتحوا هذا، وفرقوا بينه وبين ما ليس بهجاء»^(٣). ومؤثر الفرق هنا جاء للتمييز بين مدلول ما كان للهجاء من الحروف ومدلول ما ليس بهجاء، ووجه الفرق: أن حرف الهجاء قليل التمكن، إنما كان كلمة منقطعة لم تل العوامل، ولا تصرفت تصرف الأسماء، ففرق بين التمكن وغيره بأن خص غير المتمكن الذي هو أثقل بالحركة الخفيفة التي هي الفتحة؛ إذ كانت توجد فيما تحرك لالتقاء الساكنين.

٤- من حيث نوع اللحق: ومنه اختصاص الفعل الماضي بتاء التانيث الساكنة للتفريق بين التاء اللاحقة للأفعال والتاء اللاحقة للأسماء: فقالوا: "قامت، وضربت" في الأفعال، وقالوا: "فاطمة، ونعمة" في الأسماء؛ وتفسير دخول مؤثر الفرق هنا أن التاء إذا لحقت الفعل، فهي لتأنيث الفاعل لا لتأنيث الفعل، فهي في حكم المنفصلة من الفعل، ولذلك كانت ساكنة، وبناءً الفعل قبلها

(١) ابن السراج: الأصول، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١، ابن جني: سر الصناعة، ج ٤، ص ٤٩٤.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني (ت ٦٧٢ هـ، ١٢٧٤ م)، شرح الكافية الشافية، ٥ ج، تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط ١، دمشق، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م، ج ٣، ص ١٤٢١.

(٣) ينظر: سببويه: الكتاب، ج ٤، ص ١٥٣.

على ما كان، والتاءُ اللاحقة بالأسماء لتأنيثها في نفسها، فهي كحرف من حروف الاسم، فلذلك امتزجت بها، وصارت حرف إعراب الاسم، تتحرك بحركات الإعراب، فلذلك جعلها إذا كانت ساكنة من خصائص الأفعال^(١). ولم يعكسوا بأن يعطوا الفعل تاءً متحركة، والاسم تاء ساكنة؛ لئلا يفضي إلى ثقل الفعل بانضمام ثقل الحركة إلى ثقل الفعل^(٢). فالسكون الذي هو ضد الحركة دخلت الفعل الماضي هنا لتفرقه عن الأسماء التي تدخلها تاء متحركة تبعاً لاستحقاق الاسم وجوه الإعراب للتفريق بين المعاني الطارئة.

ومن هذا النوع أيضاً: همزة الوصل فإنها دخلت في الأسماء والأفعال، فأما الحروف فلم تدخل هذه الهمزة في شيء منها إلا في حرف واحد وهو (لام) التعريف، ولكنهم لما أدخلوها على لام التعريف فتحوا الهمزة للتفريق بينها وبين همزة الوصل الداخلة على الأفعال والأسماء^(٣). ففتح همزة الوصل في (أل) مؤثر فرق بين الداخلة على الحرف والداخلة على الاسم والفعل.

ومن هذا النوع أيضاً: ما قيل في (لات) من أن أصلها (لا) النافية، زيدت عليها (تاء) التأنيث، وحُرِّكتِ التاء تفريقاً بين لاحقها الحرف ولاحقها الفعل^(٤)،

(١) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج ٧، ص ٣.

(٢) أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي (٧٤٩هـ، ١٣٤٩م)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج ٣، شرح وتحقيق د. عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط ١، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م، ج ١، ص ١٤٤.

(٣) ابن جني، المنصف شرح تصريف أبي عثمان المازني، ج ٣، تحقيق الأستاذين إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، وزارة المعارف العمومية- إدارة إحياء التراث القديم، ط ١، القاهرة، ١٩٥٤م، ج ١، ص ٦٥.

(٤) الأشموني: شرح الألفية ج ١، ص ١٢٧.

فإن اللاحقة للفعل الماضي ساكنة للتفريق بينها وبين اللاحقة للأسماء كما تبين آنفاً.

٥- من حيث نوع الحركة بناءً وإعراباً: ومنه بناء المنادى المفرد على الضم تفريقاً بين حركتي المنادى المعرب وحركة المنادى المبني: فقالوا: في المنادى المعرب لكونه مضافاً: "يا قومي، ويا قومنا"، فأعربوه بفتحة مقدرة في "يا قومي"، وبفتحة ظاهرة في "يا قومنا"، ثم أرادوا أن يفرقوا بين حركتي المنادى (المضاف) المعرب المقدرة والظاهرة وحركة المنادى (المفرد) فقالوا: "يا قوم" فبنوا المفرد-بنوعيه العلم مثل: "يا زيد"، والنكرة المقصودة مثل: "يا قوم"- على الضم للتفريق بين النوعين^(١).

ومن هذا النوع أيضاً: المخالفة بين مميّزي (كم) الاستفهامية والخبرية للتفريق بين نوعيهما، فجعلوا مميز (كم) الاستفهامية مفرداً منصوباً نحو: كم فارساً في الساحة؟ وجعلوا مميز (كم) الخبرية مفرداً مجروراً، نحو: كم مرة نصحتك، وأمعنوا في التفريق عند إرادة التأكيد في الخبرية فجعلوا تمييزها جمعاً مجروراً، نحو: كم مرّات نصحتك.

نخلص من هذا المبحث إلى أن أنماط الظاهرة قد جاءت للتفريق بين صور متنوعة وظيفاً أو مدلولاً أو نوعاً، كالتفريق بين وظيفتين مختلفتين للاسم أو الحرف في الجملة، أو بين الاسمية والوصفية، وكالتفريق بين مدلولات الصيغ تذكيراً وتأنيثاً أو إفراداً وتثنية وجمعاً، وكالتفريق بين أنواع مختلفة للصيغة كالإعراب والبناء، والتعريف والتنكير، والتمكّن وعدم التمكن.

(١) الرضي: شرح الكافية ج ١، ص ٣٥١.

المبحث الثاني

مظاهر ظاهرة التفريق بطريق النظام المقطعي

يرى بعض مَنْ نظَّر لورود ظاهرة التفريق بهذا النظام المقطعي كالدكتور أبي المكارم أن هذا النظام يتغير في تصور النحاة بواسطة زيادة بعض المقاطع أو حذفها للفرقة بين عدد من الظواهر التي تُلبسُ بدونها^(١)، غير أن البحث توصل إلى أن هذا النظام لا يقتصر على الزيادة أو الحذف لبعض المقاطع فحسب، بل يَرِدُ أيضاً من خلال لزوم بعض الأدوات للصيغة، الأمر الذي من شأنه أن يكون تفريقاً بين ما يُراد الإيذان بالتفريق بينهما، وعليه فإن أشكال تلك الظاهرة من خلال ذلك النظام تتعدد إلى ثلاثة أنماط:

أولاً: التفريق بواسطة زيادة حرف على الصيغة: ويندرج تحت هذا النوع صور مختلفة منها:

١- زيادة تاء التانيث على الفعل الماضي للواحدة الغائبة تفريقاً بينه وبين الماضي للواحد الغائب: فقالوا: "فَعَلْتُ"، تفريقاً بين "فَعَلَ" المذكر والمؤنث^(٢). ولم يعكس الأمر كما لا يعكس في الاسم؛ لأن المجرد أصل وذو الزيادة فرع، وكذا المذكر أصل والمؤنث فرع، فعُيِّنَ الأصلُ للأصل والفرعُ للفرع وأسكنت، ونلاحظ أن زيادة التاء في "فعلت" شكَّلتْ مقطَعاً قصيراً مغلَقاً، في حين كان قبل هذه الزيادة مقطَعاً قصيراً مفتوحاً.

٢- زيادة هاء التانيث على الصفات القابلة لها للتفريق بين المذكر والمؤنث، فزادوا الهاء في نحو: "قائم، وقاعد"، وقالوا: "قائمة، وقاعدة"، وقالوا:

(١) أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص ١٦٣.

(٢) ابن السراج: الأصول ج ١، ص ٧١.

"ضاربة، ومضروبة، وجميلة"، فجاءوا بهاء غير لازمة لئلا تلتبس صفة المؤنث بصفة المذكر^(١). وربما زادوا تاء التأنيث للتفريق بين وصفي المذكر والمؤنث وبين الاسم؛ كامرأة وشيخة وإنسانة وغلامة ورجلة وحمارة وأسدة وبرذونة، وهذا النوع على الرغم من قلته إلا أنه واقع في اللغة غير منكور^(٢).

٣- زيادة التاء للتفريق بين الجنس والواحد: ويدخل هذا النوع في اسم الجنس الجمعي وهو: ما يدل على أكثر من اثنين، ويفرق بينه وبين واحده بـ"التاء"، والتاء غالباً تكون في المفرد؛ كـ"بقرة وبقر"، و"شجرة وشجر"، و"عنب وعنب"، «فحق هذا النوع إذا أخرجوا منه الهاء أن يجوز فيه التأنيث والتذكير فتقول: هو التمر، وهو البُسْر، وهو العنب، وكذلك ما كان في منهاجه، ولك أن تقول: هي التمر وهي الشعير.. فالتذكير على معنى الجمع والتأنيث على معنى الجماعة»^(٣)، لكنهم لما أرادوا التفريق بين الواحد والجنس أتوا بالتاء لتكون دالة على الواحد. وتعليل ذلك أن الجمع لما كان اسماً للجنس، كان أصلاً من هذا الوجه، ثم احتيج إلى أفراد الواحد من الجنس، فكان فرعاً على ذلك الأصل، فلحقته العلامة بهذه العلة، فجميع ما لحقته التاء، فهو تفریع على أصل تأنيث، كتفريع المؤنث على المذكر^(٤).

٤- زيادة الياء التي للنسب للتفريق بين الجنس والواحد: فإنهم كما أشركوا بين هاء التأنيث وياء النسب في المبالغة أشركوا بينهما في تمييز الواحد من الجمع فـ"حَبَشِيٌّ" و"حَبَشٌ"، و"زِنَجِيٌّ" و"زِنَجٌ"، و"تُرْكِيٌّ" و"تُرْكٌ"، بمنزلة "تمرة"

(١) ابن السراج: الأصول ج ٢، ص ٨٣، وينظر: ابن جني، اللمع في العربية، ج ١، تحقيق د.فائز فارس، دار الكتب الثقافية، ط ١، الكويت، ١٩٧٢م، ص ١٥٥.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل ج ٥، ص ٩٦.

(٣) ابن السراج: الأصول ج ٢، ص ٤٠٧.

(٤) ابن يعيش: شرح المفصل ج ٥، ص ٩٩.

و"تمر"، و"نخلة" و"نخل"، و"بصرة" و"بسر"^(١). والعرب تجمع بين الشئئين إذا قوي وجه الشبه بينهما، ويؤيد عندك قوة الشبه بينهما أنه كما يُفصل بتاء التأنيث بين الواحد وجنسه في نحو: "تَمْرَة"، و"تَمْر"، و"شَعِيرَة"، و"شَعِير"، كذلك فصل بينهما بياء النسبة، فقالوا في الواحد: "رُومِي"، وفي الجمع: "رُوم"، وقالوا: "زَنْجِي"، وفي الجمع: "زَنْج"، و"مَجُوسِي"، و"مَجُوس"^(٢).

٥- زيادة الألف في جمع المؤنث السالم للتفريق بين الواحد والجمع: فإنهم لما كسروا التاء في جمع المؤنث السالم ليوافق المؤنث المذكر في استواء النصب والخفض، وجعلوا التاء بمنزلة الياء والواو في جمع الذكور السالم- كما هو مذهب سيبويه^(٣) - زادوا الألف فقالوا في "آية": "آيات"؛ للتفريق بين الواحد والجمع^(٤). ومثله إعراب المثني والمجموع جمعاً سالماً بالأحرف للتفريق بينهما وبين المفرد^(٥).

٦- زيادة اللام -عند المبرد- على حرف التعريف وهي الهمزة المفتوحة وحدها عنده: وإنما زيدت اللام بعدها للتفريق بين همزة التعريف وهمزة الاستفهام، فقد نقل الرضي عن المبرد أن حرف التعريف: الهمزة المفتوحة

(١) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ج٤، ص ١٩٦٠.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ج٥، ص ١٤٣.

(٣) سيبويه: الكتاب، ج١، ص ١٨.

(٤) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ، ٩٥٠م)، إعراب القرآن، ج٥، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ج٤، ص ١٣٩.

(٥) أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ، ١٧٩٢م)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج٤، تحقيق طه عبدالرؤف سعد-المكتبة التوفيقية-مصر، ج١، ص ١٣٦.

وحدها، وإنما ضم إليها اللام لئلا يشتبه التعريف بالاستفهام^(١). وهو خلاف مذهب سيبويه والخليل^(٢).

٧- زيادة لام في (الَّذِينَ) مثنى (الذي) للتفريق بينه وبين (الَّذِينَ) الجمع: حيث قالوا في (الذي): (الَّذِينَ) في التنثية بلامين للتفريق، وحملوا (الَّذِينَ) عليه؛ وأما "الذى" و"التي" و"الَّذِينَ" في الجمع فإنه لا لَبَسَ فيها؛ إذ اللام لازمة لها، فلا يلتبس بالمجرد الداخل عليه الهمزة، وإنما يكتب "الَّذِينَ" في التنثية بلام وإن كانت في الأصل لام التعريف أيضاً تفرقاً بين المثنى والمجموع، وحمل "الَّذِينَ" رفعاً عليه، وكذا "اللتان" و"اللتين"، وإن لم يكن لَبَسٌ، إجراءً لباب المثنى مجرى واحداً^(٣).

٨- زيادة الهاء في "أُمَّهَاتٍ" للتفريق بينها وبين "أُمَّاتٍ": فقالوا: إنَّ الهاء في "أُمَّهَاتٍ" زائدة ووزنه: فُعْلَهَاتٍ، وقالوا إنما زيدت الهاء في "أُمَّهَاتٍ" ليفرق بين العقلاء والبهائم؛ لأنه يقال في البهائم: أُمَّاتٌ^(٤). فأكثر ما يستعمل "أُمَّهَاتٍ" في الإنس، و"أُمَّاتٍ" في البهائم. فكأنها زيدت للتفريق، ولو وضع كل واحدة في موضع الأخرى لجاز، ولكن الوجه ما ذكر^(٥). وبالرجوع إلى طريق الكتابة

(١) الرضي: شرح الكافية ج ٣، ص ٢٤١.

(٢) ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ٤ ج، تحقيق د. عبدالرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون-دار هجر، ط ١، القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ج ١، ص ٢٥٣.

(٣) الرضي: شرح الشافية ج ٣، ص ٣٣٠.

(٤) عمر بن ثابت الثماني (ت ٤٤٢هـ، ١٠٥١م)، شرح التصريف، ١ ج، تحقيق د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، ط ١، الرياض، ١٤٩١هـ-١٩٩٩م، ص ٢٧٩. وينظر: العكبري: اللباب ج ٢، ص ٢٧٥، الرضي: شرح الشافية ج ٤، ص ٣٠١.

(٥) ينظر: المبرد: المقتضب، ج ٣، ص ١٦٩.

المقطعية^(١) بالأبجدية الدولية يتبين أن "أمهات" تتكوّن من ثلاثة مقاطع، الأول قصير مغلق، والثاني قصير مفتوح، والثالث طويل مغلق، في حين أن كلمة "أمّات" تتكون من مقطعين، الأول قصير مغلق، والثاني طويل مغلق.

ثانياً: التفريق بواسطة حذف حرف من الصيغة: ويندرج تحت هذا النوع صور مختلفة منها:

١- حذف ألف (ما) الاستفهامية للتفريق بينها وبين الموصولة: فمن سنن العرب أن تحذف الألف من (ما) إذا استفهمّت بها فتقول: "بِمَ ؟ ولمَ ؟ ومِمَّ ؟ وعلامَ ؟ وفيمَ ؟" ومنه: قوله تعالى: (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا) (النازعات: ٤٣) " وقوله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) (النبأ: ١)^(٢). وجعل بعضهم سبب حذف الألف الاستفهامية مع حروف الجر تفريقاً بين الاستفهامية والموصولة^(٣). وبعبارة أخرى عبر بعضهم فقال: فرقاً بين الاستفهام والخبر، فتقول في الخبر: "سل عن ما أردت"، وتكلم في ما أحببت"، وتقول في الاستفهام: "إلامَ تكدح؟"، و"عمّ تسأل؟"، و"فيمَ جئت؟"، و"بِمَ تقاثل؟"، و"علامَ أنت ها هنا؟"^(٤). وإنما خصوا ألف الاستفهامية

(١) والمقطع الصوتي: هو كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف

عليها. انظر: رمضان عبدالنواب (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث

اللغوي، ج١، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص١٠١.

(٢) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (٤٢٩هـ، ١٠٣٨م)، فقه اللغة وأسرار العربية،

ج١، تحقيق د.باسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط٢، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص٣٧٦.

(٣) ينظر: محمد بن يوسف بن أحمد، المعروف بناظر الجيش (٧٧٨هـ، ١٣٧٧م)، تمهيد القواعد

بشرح تسهيل الفوائد، ج١١، تحقيق د.علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام، ط١، القاهرة،

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ج١٠، ص٥٣٠٥، المرادي: توضيح المقاصد، ج٣، ص١٤٨٥.

(٤) أبو جعفر النحاس، عمدة الكتاب، ج١، تحقيق بسام الجابي، دار ابن حزم-الجفان والجابي للطباعة

والنشر، ط١، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص١٨٦.

بالحذف دون الخبرية؛ لأن الخبرية تلزمها الصلة، والصلة من تمام الموصول، فكان ألفها وقعت حشواً غير متطرفة، فتحصنت عن الحذف^(١). وبالرجوع إلى الأبجدية الدولية ونظام الكتابة المقطعية بها يتبين أن الذي حصل في الواقع إنما هو تقصير للمقطع وليس حذفاً؛ إذ لا يخفى أن "بِمَا" مكونة من مقطعين الأول قصير مفتوح، والثاني طويل مفتوح في حين أن "بِمَ؟" مكونة من مقطعين كلاهما قصير مفتوح.

٢- حذف نون الأفعال الخمسة عند الجزم والنصب تفريقاً بين صورة الفعل المرفوع وبين المجزوم والمنصوب: فإن الجمهور أعربوا الأفعال الخمسة بثبوت النون رفعاً وبحذفها جزماً ونصباً، وجعلوا الحذف عند الجازم والناصب تفريقاً بين صورتَي الفعل المجزوم والمنصوب وبين صورة المرفوع^(٢).

٣- حذف ياء المنقوص المرفوع أو المجزوم عند الوقف جوازاً للتفريق بين حالتي الوصل والوقف: فإن الاسم المنقوص المنصوب يجب إثبات الياء فيه وفقاً لمنوناً كان مثل: "سمعت داعياً"، أو غير منون مثل: "سمعت الداعي"؛ لأن الياء تحصنت في الأول بألف التثوين، وفي الثاني بـ(أل)، فإن كان المنقوص مرفوعاً أو مجزوماً جاز إثبات يائه في الوقف، لأنها كانت ثابتة في الوصل، ولم يحدث ما يوجب حذفها، وجاز حذفها تفريقاً بين الوصل والوقف^(٣).

٤- سقوط تاء التانيث من الصفة التي يستوي فيها المذكر والمؤنث: أي الصفة التي على زنة "فَعُولٍ" بمعنى "فاعل"، نحو: "رجلٌ صَبُورٌ، وشَكُورٌ،

(١) ابن يعيش: شرح المفصل، ج ٤، ص ٩.

(٢) الصبان: حاشية الأشموني، ج ١، ص ١٧١.

(٣) خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى (ت ٩٠٥هـ، ١٥٠٠م)، شرح التصريح

على التوضيح للشيخ، ج ٢، تحقيق محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت،

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٦٢٠.

وضروب"، و"امرأة صبور، وشكور، وضروب"، بمعنى صابر، وصابرة، وشاكر، وشاكرة، وضارب، وضاربة، كأنهم أرادوا بسقوط التاء من المؤنث هاهنا التفريق بين "فعل" بمعنى "فاعل"، وبينه إذا كان بمعنى "مفعول"، نحو: "حَلُوبَةٍ، وَحَمُولَةٍ"، ومثل ذلك "فَعِيلٌ" إذا كان بمعنى "مفعول"، نحو: "كَفَّ خَضِيبٌ"، و"لِحْيَةٌ دَهِينٌ"، المراد: مخضوبة ومدهونة، حُذفت منه التاء للتفريق بينه وبين ما كان بمعنى "فاعل"، نحو: "عَلِيمٌ"، و"سَمِيعٌ"^(١).

٥- حذف الألف الرابعة إن كانت للتأنيث تفريقاً بين الزائدة الصرفية والأصلية: فقد أسس الصرفيون قاعدة تخص الألف إذا كانت رابعة في بنية الكلمة؛ حيث قرروا أن: الألف الرابعة إن كان منقلبة، أو للإلحاق، أو أصلية، فالأشهر الأجود قلبها واوًا دون الحذف؛ لكونها أصلًا أو عوضًا من الأصل أو ملحقة بالأصل، وإن كانت للتأنيث فالأشهر حذفها؛ لأنه إذا اضطر إلى إزالة عين العلامة فالأولى بها الحذف، تفريقاً بين الزائدة الصرفية والأصلية أو كالأصلية^(٢).

٦- حذف ألف (اللَّذِيَا) حين التثنية تخفيفاً للتفريق بين تثنية المتمكن وغير المتمكن: فإنهم قالوا في تصغير "الَّذَانِ والَّتَانِ": "اللَّذِيَانِ، والَّتِيَانِ"، بفتح أولهما وثانيهما وتشديد ثالثهما، ولم يؤت بألف بعد النون للطول بعلامة التثنية، ثم اختلف سيبويه والأخفش، فسيبويه يحذف الألف حذفاً اعتباطياً لمجرد تخفيف الكلمة لطولها بعلامة التثنية، فلا يقدرها ألبتة تفريقاً بين تثنية المتمكن وغير المتمكن، والأخفش يحذفها لالتقاء الساكنين فيقدرها^(٣).

(١) ابن يعيش: شرح المفصل ج ٣، ص ٥٥-٥٦.

(٢) الرضي: شرح الشافية ج ٢، ص ٣٩.

(٣) ينظر: سيبويه: الكتاب ج ٣، ص ٤٨٨، المبرد: المقتضب، ج ٢، ص ٢٨٩، العكبري: اللباب، ج ٢، ص ١٧٥، ابن يعيش: شرح المفصل، ج ٥، ص ١٤١، أبو حيان، ارتشاف الضرب من كلام العرب،

٧- حذف "ياء: فَعِيلَة" بفتح أوله، وكسر ثانيه في النسب: حيث جعلوا مما يحذف لياء النسب ياء (فَعِيلَة) بشرط صحة العين، وانتفاء تضعيفها "ك: "حَنِيفَة"، و"صَحِيفَة"، تحذف منه تاء التانيث أولاً، ثم تحذف الياء ثانياً، تفريقاً بين المذكر الصحيح اللام، والمؤنث، "ثم تقلب الكسرة" فتحة، فنقول: حَنَفِيٌّ، وصَحَفِيٌّ^(١).

ثالثاً: التفريق بواسطة لزوم حرف للصيغة: ويندرج تحت هذا النوع صور مختلفة منها:

١- لزوم لام التوكيد لخبر (إن) المخففة للتفريق بين (إن) النافية، و(إن) المخففة من الثقيلة: على أن النحاة مختلفون في نوع هذه اللام، إلا أنهم اتفقوا على أن هذه اللام الغرض منها التفريق بين (إن) النافية وتلك المخففة، والذي ذهب إليه سيبويه^(٢)، وأكثر النحاة^(٣) أن هذه اللام لام الابتداء التي كانت مع (إن) المشددة، لزمت للتفريق بين التي هي لتأكيد النسبة، وبين (إن) النافية، ألزموها اللامَ إيذاناً بأنها المشددة التي من شأنها أن تدخل معها اللامَ،

٥٠ ج، تحقيق وشرح د. رجب عثمان محمد - مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م،
ج ١، ص ٣٩٣، المرادي: توضيح المقاصد، ج ٣، ص ١٤٤٠، الأشموني: شرح الألفية، ج ٣، ص ٧٢١.
(١) الأزهرى: شرح التصريح، ج ٢، ص ٥٩٥.
(٢) سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ١٣٩.
(٣) ينظر: أبو الحسن علي بن مؤمن ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ، ١٢٧١م)، شرح جمل الزجاجي،
ج ٢، تحقيق د. صاحب أبو جناح، العراق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج ١، ص ٤٣٨، ابن مالك: شرح
التسهيل، ج ٢، ص ٣٤، أبو حيان: ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ١٢٧١.

وليست النافية التي بمعنى "ما"، فهي لام الابتداء المؤكدة^(١)، فاللام في مثل قوله تعالى: (وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ) (الأنعام: ١٥٦)، لَزِمَتْ للتفريق بين (إِنْ) المخففة من الثقيلة وبين (إِنْ) النافية التي في مثل قوله تعالى: (إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) (الملك: ٢٠)؛ ولذلك يسمي النحاة هذه اللام باللام الفارقة، وبلام الفصل، لهذه العلة التي بدت الآن واضحة.

٢- لزوم "أَنْ" لأخبار أفعال الرجاء، وتجرد أخبار أفعال الشروع منها للتفريق بينهما: وعلل النحاة كثرة لاحقها لخبر أفعال الرجاء بأن ذلك للتفريق بينها وبين أفعال الشروع؛ فإن الشروع لا يجمع الاستقبال لما بينهما من المنافاة، فإن الشروع حالي لا يجمع الاستقبال، بخلاف الرجاء فإنه يجمعه^(٢).

٣- لزوم تاء التانيث في العدد من الثلاثة إلى العشرة في المذكر دون المؤنث للتفريق بين المذكر والمؤنث المميزين: وعللوا كون المذكر بالتاء أولى من المؤنث بأن العدد جماعة والجماعة مؤنثة، والمذكر هو الأصل فأُفْرِتِ العلامة على التانيث في المذكر الذي هو الأصل، وحُذِفَتْ في المؤنث لأنه فرع، ونظراً لأن التفريق لا يحصل إلا بزيادة والزيادة يحتملها المذكر لخفته لزيمته؛ ولذلك منع التانيث من الصرف لنقله^(٣).

٤- لزوم همزة الوصل المفتوحة وعدم حذفها مع همزة الاستفهام: حيث أجمع النحويون على عدم حذفها وعلى إثباتها مع همزة الاستفهام تفريقاً بين الاستفهام والخبر، ومثله قوله تعالى: (قُلْ أَلَذَّكَّرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثِيَّاتِ) (الأنعام: ١٤٣)،

(١) وذهب أبو علي الفارسي إلى أنها ليست لام الابتداء، بل لام أخرى اجتلبت للفرق، ينظر: أبو علي

الفارسي، المسائل البغداديات، أو المسائل المشككة، ج١، تحقيق صلاح الدين عبدالله السنكاوي - وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط١، بغداد، ١٩٨٣م، ص ١٧٦.

(٢) الفاسي: فيض نشر الانشراح، ص ٨٦١.

(٣) العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج١، ص ٣٢٠.

وقوله: (قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) (يونس: ٥٩)، وأجمعوا على عدم تحقيقها لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت إلا ابتداءً، وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كفيته، فقال كثير منهم: تبدل ألفاً خالصة وجعلوا الإبدال لازماً... وهو قول أكثر النحويين وقياس ما روي عن نافع. وقال آخرون: تسهلُ ثبوتها في حال الوصل، وتعذر حذفها فيه^(١).

٥- إذا كانت الهمزة موجودة في الواحد عيناً، فإنها تبقى على أصلها تفريقاً بين ما همزته أصلية ثابتة في الواحد، وبين العارضة: فنقول في جمع "جائبة" اسم فاعل من "جأى" عليه "جأياً" أي: عضّ، و"شائبة" من "شأه" إذا سبقه: "جَوَاءٍ"، و"شَوَاءٍ" كما نقول: "غَوَاشٍ"، و"جَوَارٍ"، تفريقاً بين ما همزته أصلية ثابتة في الواحد، وبين العارضة^(٢). فإنهم أرادوا أن يكون بين الهمزة العارضة في الجمع، والهمزة التي كانت في الواحد فصلً، فغيروا الهمزة في "خطايا" وأثبتوها في: "جَوَاءٍ" جمع "جائبة"^(٣).

نخلص من هذا المبحث إلى أن أنماط الظاهرة قد جاءت للتفريق بين صور متنوعة، كالتفريق بين التذكير والتأنيث، وبين الجنس والواحد، وبين الجمع والواحد أو بين الجمع والمثنى، وبين الزائد أو العارض والأصلي، وبين المتمكن وغير المتمكن، أو بين وظيفتين مختلفتين كالاستفهامية والموصولية، والتعريفية والاستفهامية، والخبرية والاستفهامية، والإثبات والنفي، أو بين حالتين من حالات الكلمة كالوقف والوصل، وصور الإعراب، وقد جاءت أنماط

(١) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٤ ج، شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية-بيروت، ج ٣، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ج ١٠، ص ١١٣.

(٣) ابن جني: المنصف، ج ٢، ص ٥٦.

التفريق بين التذكير والتأنيث غالبية على الأنماط الأخرى؛ نظراً للحاجة
الضرورية المتكررة إلى التفريق بينهما، فلزم إحداث أثر مفرق بينهما.

المبحث الثالث

مظاهر ظاهرة التفريق بطريق النظام الصرفي

يعدُّ الجانب الصرفي من أهم الجوانب التي كان لظاهرة التفريق مظاهر بارزة فيها، حيث يتعدى أثر التفريق مستوى بنية الكلمة إلى ما حدث فيها من تغييرات إعلالية، الغرض منها تجلية الفرق بين الصيغة في شكلين متشابهين من أشكالها يُرجى التفريق بينهما، وسيحاول البحث من خلال هذا المبحث الوقوف عند مظاهر التفريق في بنية الكلمة وما يحدث من تغير في ميزانها الصرفي، وكذلك فيما يعترى الصيغة من أنواع الإعلال؛ وعليه فإن أشكال تلك الظاهرة من خلال ذلك النظام تنفرع إلى نمطين:

أولاً: التفريق بواسطة تغيير يحدث في الصيغة إعلالاً: ويندرج تحت هذا النمط صور مختلفة منها:

١- قلب الياء واواً في الاسم على وزن (فَعْلَى) يائي اللام، وتصحيحها في الصفة تفريقاً بين الاسم والصفة: فإنه إذا اعتلت لام (فَعْلَى) -بفتح الفاء- فتارة تكون لامها واواً، وتارة تكون ياءً، فإن كانت واواً سَلِمَتْ في الاسم كـ"الدَّعْوَى"، وفي الصفة نحو: "نَشَوَى"، فلم يفرقوا في ذوات الواو بين الاسم والصفة، وإن كانت ياءً سَلِمَتْ في الصفة نحو: "خَزَيَا" و"صَدَيَا" و"رَيَا"، وقلبت واواً في الاسم كـ"النَّقْوَى" و"الْفَتْوَى" و"الشَّرْوَى" تفريقاً بين الاسم والصفة، وإنما قلبوا الياء واواً في الاسم دون الصفة؛ لأن الاسم أخفُّ من الصفة، لأن الصفة تشبه الفعل،

والواو أثقل من الياء، فلما عزموا على إبدال الياء واوًا جعلوا ذلك في الاسم لخفته^(١).

٢- قلب الواو ياءً في الاسم على وزن (فُعَلَى) واوَيّ اللام، وتصحيحها في الصفة تفریقاً بين الاسم والصفة: فإذا كان الاسم على وزن (فُعَلَى) وكانت لامه واوًا، فإنَّ العرب تبدل من الواو ياء في الاسم؛ وذلك نحو: "العُلَيَّا" و"الدُّنْيَا"، فالأصل فيها "الدُّنَوَى" و"العُلَوَى"، فقلبت الواو ياء، فإن كانت صفة بقيت على لفظها ولم تقلب الواو ياء، نحو: "الخُلَوَى" و"المُرَّى"؛ وإنما قلبت الواو ياء في الاسم دون الصفة، تفریقاً بين الاسم والصفة، وكان التغيير هنا في الاسم دون الصفة، كما كان التغيير في "فُعَلَى" من الياء في الاسم دون الصفة، ليكون قلب الواو هنا ياء كالعوَض من قلب الياء هنالك واوًا^(٢).

٣- قلب الواو ياءً بعد كسر الفاء في اسم المفعول المعتل العين المبني من الثلاثي- على رأي الأخفش- تفریقاً بين ذوات الواو وذوات الياء: فإنهم لما بنوا اسم المفعول من "قَالَ" و"بَاعَ" قالوا: "مَقُولٌ" و"مَبِيعٌ"، والأصل: مَقُولٌ ومَبِيعٌ، فنقلت حركة الواو والياء إلى الساكن قبلهما، فالتقى ساكنان الأول عين الكلمة والثاني واو مفعول الزائدة فوجب حذف إحداهما، واختلف في أيهما حذف، فذهب الخليل وسيبويه^(٣) إلى أن المحذوف واو مفعول؛ لزيادتها ولقربها من الطرف،

(١) ينظر: ابن جني: المنصف، ج٢، ص١٥٨، ابن عصفور، الممتع في التصريف، ج١، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، ص٣٤٥، الرضي: شرح الشافية، ج٣، ص١٧٧، المرادي: توضيح المقاصد، ج٣، ص١٥٩٣.

(٢) ينظر: ابن جني: المنصف، ج٢، ص١٦١، ابن عصفور: الممتع، ص٣٤٦، ابن يعيش: شرح المفصل، ج١٠، ص٩٧-٩٨، الرضي: شرح الشافية، ج٣، ص١٧٧.

(٣) ينظر: سيبويه: الكتاب، ج٤، ص٣٤٨، المبرد: المقتضب، ج١، ص٢٣٨، ابن السراج: الأصول، ج٣، ص٢٨٣، ابن جني: المنصف، ج١، ص٢٨٧.

وذهب الأخفش إلى أن المحذوف عين الكلمة؛ لأن واو مفعول لمعنى، ولأن الساكنين إذا التقيا في كلمة حذف الأول، فأما ذوات الواو نحو: "مَقُول"، فليس فيها عمل غير ذلك؛ لأنه لما حذفت منه إحدى الواوين بقي "مقول" على لفظه. ويمكن أن تُفسر ظاهرة الإعلال بالنقل هنا من خلال نظام المقطع، فكلمة "مَبِيع" تتكوّن من مقطعين الأول قصير مغلق، والثاني طويل مغلق، أمّا "مَبِيع" فهي تتكوّن من مقطعين أيضاً، ولكن الأول قصير مفتوح، والثاني طويل مغلق، ولا شك أن المقطع القصير المفتوح في هذه الكلمة جعلها أيسر في النطق، ذلك أن المقطع القصير المفتوح هو المقطع الأقصر الذي يتحرك فيه الفونيم فيكوّن مقطّعا.

وأما ذوات الياء نحو: "مَبِيع"، فإنه لما حذفت واوه على رأي سيبويه بقي "مَبِيع" بياء ساكنة بعد ضمة، فجعلت الضمة المنقولة كسرة لتصح الياء، وأما على رأي الأخفش فإنه لما حذفت ياءه كسرت الفاء وقلبت الواو ياء، تفريقاً بين ذوات الواو وذوات الياء^(١).

٤- قلب تاء الاسم في الوقف هاءً للتفريق بين التاءين الاسمية والفعلية: لا خلاف في تاء التأنيث الفعلية أنها في الوقف تاء، وفي أن أصلها تاء أيضاً نحو: "قَرَأَتْ"، و"كَتَبَتْ"، وأما الاسمية نحو: "فاطمة"، و"سلمة" فاختلَف في أصلها؛

(١) ينظر: سيبويه: الكتاب، ج٤، ص٣٤٨، المبرد: المقتضب، ج١، ص٢٣٨، ابن السراج: الأصول، ج٣، ص٢٨٣، ابن جني: المنصف، ج١، ص٢٨٧، ابن عصفور: الممتع، ص٢٩٦، الرضي: شرح الشافية، ج٣، ص١٤٧، المرادي: توضيح المقاصد، ج٣، ص١٦١١، الأشموني: شرح الألفية، ج٣، ص٨٦٥.

فمذهب سيبويه وأكثر النحاة أنها أصل كما في الفعل، لكنها تقلب في الوقف هاء ليكون تفريقاً بين التاءين: الاسمية والفعلية^(١).

٥- قلب أول حرفي التضعيف ياءً من (فَعَّال) اسماً تفريقاً بين الاسم والمصدر: فإنهم أبدلوا أيضاً من أول حرفي التضعيف في وزن "فَعَّال"، إذا كان اسماً، لا مصدراً ياءً؛ نحو: "ديمَّاس"، و"ديبَّاج"، و"دينَّار"، و"قيرَّاط"، و"شيرَّاز"، فيمن قال: دَمَّاميس ودَبَّابيج ودَنَانير وقراريط وشراريز، وهذا الإبدال قياس؛ إذ لا يجيء "فَعَّال" غير المصدر إلا وأول حرفي تضعيفه مبدل ياء، تفريقاً بين الاسم والمصدر، ولا يبدل في المصدر؛ نحو: "كذَّبَ كِذَّاباً"^(٢).

٦- قلب ياء "فَعَّالِي" في الجمع ألفاً للتفريق بين ألف التأنيث وغيرها: فإنهم قد قالوا في جمع: "حُبْلَى": "حَبَالِي"، وإنما الألف في الجمع بدل من ياء "فَعَّال"، وكأنه كان "حَبَالٍ" بمنزلة: "جوارٍ" ثم أُبدل من الكسرة فتحة، فانقلبت الياء ألفاً، فصار "حَبَالِي"^(٣)، وإنما فروا في هذه الجموع من الياء إلى الألف، تفريقاً بين ألف التأنيث وغيره من الألف المنقلبة كما في "مَلْهَى"، وألف الإلحاق كما في "أَرطَى"^(٤).

٧- ترك قلب الياء والواو همزة في "مَقَاوِم"، و"مَعَايش" و"مَعَاوِن"، جمع: مَقَاوِمَة، ومَعِيشَة، ومَعُونَة؛ تفريقاً بين الواو والياء الزائدتين والأصليتين: فإنهم وجدوا أن الياء والواو قد تكونان أصليتين كما في مَقَاوِم، ومَعَايش، وقد تكونان

(١) ينظر: أبو علي الفارسي: التعليقة على كتاب سيبويه، ج٦، تحقيق د. عوض بن حمد القوزي، جامعة

الملك سعود، ط١، المملكة السعودية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ج٣، ص٣٠١، الرضي: شرح الشافية،

ج٢، ص٢٨٨.

(٢) الرضي: شرح الشافية، ج٣، ص٢١٠.

(٣) ينظر: ابن جني: المنصف، ج١، ص٣٤٤.

(٤) الرضي: شرح الشافية، ج٢، ص١٦٠.

زائدتين، كما في نحو: "رسائل"، و"صحائف"، و"عجائز"، فلم يقبلوا الياء والواو الأصليتين للتفريق بينهما وبين الزائدتين^(١).

ثانيًا: التفريق بواسطة تغيير يحدث في الصيغة وزناً: ويندرج تحت هذا النمط صور مختلفة منها:

١- جمع "فاعل" من المنقوص على زنة "فَعْلَة" تفريقاً بين الصحيح والمعتل: فإنهم قالوا في تفسير نحو: "فاسق"، و"بار"، و"كافر": "فَسَقَة"، و"بَرَرَة"، و"كَفَرَة"، وقالوا فيما اعتلت عينه: "خَائِن"، و"خَوَنَة"، و"حَائِك"، و"حَوَكَة" على زنة "فَعْلَة"، ونظيره من المعتل اللام "غاز"، و"غَزَاة"، و"قَاضٍ"، و"قُضَاة"، جاؤوا به على "فَعْلَة"، وهو بناء اختص به المعتل، لا يكون مثله في الصحيح^(٢). وذهب بعضهم إلى أن وزنه "فَعْلَة" -بالفتح-، وضُمَّتْ فَاؤُهُ تفريقاً بين الصحيح والمعتل^(٣). واختاروا له هذه الزنة لأنها أخف وأنها لا مثل لها في الأحاد المعتلة^(٤).

٢- جمع "فَعِيل" إذا كان صفة على زنة "فُعْلَاء" للتفريق بينه وبين "فَعِيل" الذي هو اسم: حيث قالوا في مثل "فقيه، وبخيل، وكريم": "فُقَهَاء، وبُخَلَاء، وكُرَمَاء؛ وإنما جمعوا "فَعِيلًا" إذا كان صفة على "فُعْلَاء"، للتفريق بينه وبين "فَعِيل" الذي هو اسم كـ "رَغِيف"، وجعلوا أَلِفَ التَّأْنِيثِ في آخره بإزاء تاء

(١) ركن الدين حسن بن محمد الإستراباذي (ت ٧١٥هـ، ١٣١٦م)، شرح شافية ابن الحاجب، ج ٢،

تحقيق د. عبدالمقصود محمد عبدالمقصود، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م،

ج ٢، ص ٧٧٥.

(٢) ينظر: سيبويه: الكتاب، ج ٣، ص ٦٣١، ابن يعيش: شرح المفصل، ج ٥، ص ٥٤.

(٣) ينظر: المرادي: توضيح المقاصد، ج ٣، ص ١٣٩٠.

(٤) ينظر: العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج ٢، ص ١٨٥.

التأنيث في جمع المذكر، نحو: "أَرْغِفَةٍ"، و"أَجْرِبَةٍ"؛ وإنما أتوا بعلم التأنيث في الجمع ليكون كالعوض من الزائد المحذوف في الجمع^(١).

٣- جمع "فَعْلَان" إذا كان صفة على زِنَةٍ "فِعَالٍ" بحذف الزائد للتفريق بينه وبين "فَعْلَان" الذي هو اسم: فإن الصفة إذا كانت على زِنَةٍ "فَعْلَان"، فإنها تُجمع على "فِعَالٍ"، وذلك إذا كان مؤنثه "فَعْلَى"، نحو: "عَجَلَان"، و"عَجَالٍ"، و"عَطْشَان" و"عِطَاشٍ"، وكذلك مؤنثه جمعه على حذف الزائد من آخره للتفريق بينه وبين الاسم، فكأنه بعد حذف الزائد "عَجَل"، و"عَطْش"، فُجِّعَ على "فِعَالٍ"، أما ما كان من الأسماء على وزن "فَعْلَان"، فإنه يكسّر على "فَعَالِينَ"، ولا فرق بين المفتوح الأول والمضموم والمكسور، وذلك نحو: "شَيْطَان"، و"شَيْطَاتِينَ"، و"سُلْطَان"، و"سُلْطَاتِينَ" و"سِرْحَان"، و"سِرْحَاتِينَ"^(٢).

٤- اختلاف زِنَةِ التصغير في الثلاثي المختوم بالألف المقصورة أو الممدودة عنها في المختوم بألف الإلحاق المقصورة أو الممدودة تفريقاً بين الإلحاق والتأنيث: فإنهم قرروا أنه إذا كان المصغر ثلاثياً مؤنثاً بالألف المقصورة أو الممدودة أو بالتاء أقررتة؛ كقولك في "حُبْلَى": حُبْلَى، وفي "حُمراء": حُمِيرَاء، وفي "طلحة": طُلُوحَة، وإنما كان كذلك؛ لأن علامة التأنيث دخلت لمعنى فلا ينبغي أن تحذف لئلا يبطل معناها ولم يكسر ما قبلها؛ لأن الألف تتقلب ياءً بعد الكسرة فيبطل لفظ العلامة؛ لأن علامة التأنيث مفتوح ما قبلها أبداً، فهي كاسم ضم إلى اسم، فيبقى الصدر بحاله^(٣)، فإن كانت الألف للإلحاق: كـ: "أَرْطَى"

(١) ينظر: ابن يعيش، ج ٥، ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق ج ٥، ص ٦٥.

(٣) ينظر: سيبويه، ج ٣، ص ٤٢٠، ابن السراج: الأصول، ج ٣، ص ٤٠، أبو علي الفارسي: التعلية، ج ٣،

ص ٣٩، العكبري: اللباب، ج ٢، ص ١٦١.

و"عَلْبَاء"، فإنه لا يبقى فتح ما قبلها بل يقال في تصغيرهما: أُرَيْطُ، وَعُلَيْيُّ، بقلب ألف الإلحاق ياءً؛ تفريقاً بين الإلحاق والتأنيث^(١).

نخلص من هذا المبحث إلى أن أنماط الظاهرة قد جاءت للتفريق بين صور متنوعة، كالتفريق بين الاسمية والوصفية، وبين الاسمية والمصدرية، وبين الاسمية والفعلية، وبين التأنيث والإلحاق، وبين الصحيح والمعتل، وبين الزائد والأصلي، وبين الواوي واليائي، وقد جاءت أنماط التفريق بين الاسمية والوصفية غالبية على الأنماط الأخرى؛ نظراً لجريان هذين النوعين على الألسن أكثر من غيرهما، فلزم إحداث أثر مفرق بينهما.

(١) ينظر: سيبويه، ج ٣، ص ٤٢٠، ابن السراج: الأصول، ج ٣، ص ٤٠، أبو علي الفارسي: التعليق، ج ٣، ص ٣٩، العكبري: اللباب، ج ٢، ص ٥٠، الأزهرى: شرح التصريح، ج ٢، ص ٥٦٧.

المبحث الرابع

مظاهر ظاهرة التفريق بطريق نظام الصورة الكتابية الخطية

مما اصطُلِحَ عليه رسمًا كتابةً حروفٍ ليست في اللفظ، ونجد أن تعليل ذلك وتفسيره كانا منوطين دائمًا بالتفريق بين شكلين متشابهين من أشكال الصيغة، وهذا الطريق يأتي على ضربين، إمّا بزيادة حرف وإمّا بإبداله؛ وعليه فإن هذا النوع من طرق التفريق سينحصر في أشكال ورود الظاهرة من خلال النمطين المبيّنين: الزيادة والإبدال.

أولاً: التفريق بواسطة زيادة الحرف: ويندرج تحت هذا النمط صور مختلفة منها:

١- زيادة (واو) في "عَمْرُو" للتفريق بينه وبين "عُمَرَ": حيث زادت العرب واوًا في (عَمْرُو) في حالتي الرفع والجرّ إذا لم يُضَفْ؛ ليفرقوا بينه وبين (عُمَرَ)، فقالوا: "جاءَ عَمْرُو، ومررتُ بعَمْرُو"، فإذا نصبوا قالوا: "رأيتُ عمرًا"؛ إذ لا لبسَ في تلك الحال يقع بين (عَمْرًا) و(عُمَرَ) في حالة النصب، لأن (عَمْرًا) ينصرف، و(عُمَرَ) لا ينصرف، فكان في دخول الألف في (عمرُو) وامتناعها من الدخول في (عُمَرَ) في حال النصب فرقاً^(١). وإنما جعلوا الزيادة واوًا ولم يجعلوها ياءً أو ألفاً؛ لأنها لو كانت ياءً لالتبس بالمضاف إلى ياء المتكلم، ولو كانت ألفاً لالتبس

(١) ينظر: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ، ٨٩٠م)، أدب الكاتب، ج ١، تحقيق

د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ص ٢٤٥، العكبري: اللباب، ج ٢، ص ٤٨٧، ابن عصفور: شرح الجمل، ج ٢، ص ٣٤٨، الرضي: شرح الشافية، ج ٣، ص ٣٢٧، ناظر الجيش: تمهيد القواعد، ج ١٠، ص ٥٣٢١.

المرفوع بالمنصوب، وجُعِلَتْ في (عمرو)؛ لأنه أخف من (عُمر) من جهة بنائه على (فعل) ومن جهة انصرافه^(١).

٢- زيادة (واو) في "أولئك"؛ للتفريق بينها وبين "إليك"، وفي "أولي" نصبًا وجرًا للتفريق بينها وبين "إلى" الجارة: ثم حملوا الرفع في (أولي) على النصب والجر، وزادوا الواو في "أولات" أيضًا حملًا للتأنيث على التذكير^(٢). وإنما كانت الواو أولى من الياء لمناسبة ضمة الهمزة، ومن الألف لاجتماع المثليين، وجعلوا الفرق في (أولئك)؛ لأن الزيادة في الأسماء أكثر، ولأن (أولئك) قد حُذِفَ منه ألف فكانت الزيادة فيه أولى ليكون كالعوض من المحذوف^(٣).

٣- زيادة (ألف) في "مائة" للتفريق بينها وبين "منه": فإنك تقول: "أخذت مائة"، و"أخذت منه"، فلو لم تكن الألف لالتبس على القارئ، وكانت التفرقة في "مائة"؛ لأنها اسم، والاسم أحمل للزيادة، وكانت بالألف؛ لأنها تشبه الهمزة، وبعض النحاة كان يختار كتابتها بحذف الألف في الخط، وهو وجيه؛ لأنَّ كتابة (مائة) بالألف خارج عن الأقيسة^(٤)، وتطور أساليب الكتابة العصرية يجعل هذا التفريق لا حاجة إليه.

(١) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٧ ج، تحقيق وشرح د. عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ج٦، ص٣٢٨.

(٢) ابن قتيبة: أدب الكاتب ص٢٤٦، الرضي: شرح الشافية، ج٣، ص٣٢٧، عبدالله بن عبدالرحمن ابن عقيل العقيلي الهمداني (ت ٧٦٩هـ، ١٣٦٨م)، المساعد على تسهيل الفوائد، ٤ ج، تحقيق وتعليق د. محمد كامل بركات - مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ج٤، ص٣٧٨.

(٣) السيوطي: همع الهوامع، ج٦، ص٣٢٧-٣٢٨.

(٤) ينظر: ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص٢٤٦، العكبري: اللباب، ج٢، ص٤٨٧، الرضي: شرح الشافية، ج٣، ص٣٢٧، ابن عقيل: المساعد، ج٤، ص٣٧٦، السيوطي: همع الهوامع، ج٦، ص٣٢٥.

٤- زيادة (ألف) بعد واو الجمع المتطرفة في الفعل: فقالوا: "أكلوا، وشربوا، وكلوا، واشربوا، ولن يأكلوا ولن يشربوا"، فزادوا الألف، والنحاة كالمتمفقين على أن هذه الألف تسمى ألف الفصل، إلا أنهم اختلفوا في العلة التي جُلِبَتْ من أجلها، فذهب الأخفش وابن قتيبة إلى أنها زيدت للتفريق بين واو الجمع وواو عطف النسق في مثل: "وردوا وكفروا"، فلو لم يُدخلوا الألف بعد الواو ثم اتصلت بكلام بعدها لالتبس على القارئ، فحيزت الواو لما قبلها بألف الفصل، ولما فعلوا ذلك في الأفعال التي تنقطع واوها من الحروف قبلها نحو: "ساروا وجاؤوا"؛ فعلوا ذلك في الأفعال التي تتصل واوها بالحروف قبلها نحو "كانوا وبانوا"؛ ليكون حكم هذه الواو في كل موضع حكماً واحداً^(١). ولهذا لم تلحق الألف بالفعل المفرد نحو: "يدعو ويغزو"؛ لأنها لاتصالها لا يعرض فيها من اللبس ما يعرض مع واو الجمع^(٢).

وقال ابن الحاجب: إنهم قصدوا بها التفرقة بين الضمير المنفصل والضمير المتصل، نحو: "ضربوهم"؛ فإذا قصد كون الضمير (هم) مفعولاً لم تثبت الألف، وإن قصد كونه توكيداً-أي: ضربوا هم- تثبت^(٣).

وعلل بعضهم بفوارق أخرى؛ مثل قول الفراء بأنها زيدت للتفريق بين الواو المتحركة والواو الساكنة، وقول الكسائي بأنها زيدت للتفريق بين الاسم والفعل، وقول السيوطي نقلاً بأنها زيدت للتفريق بين الواو الأصلية والواو الزائدة^(٤).

(١) ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص ٢٢٥.

(٢) الرضي: شرح الشافعية، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٣) ينظر: الرضي: شرح الشافعية، ج ٣، ص ٣٢٧، ابن عقيل: المساعد، ج ٤، ص ٣٧٧، السيوطي:

الهمع، ج ٦، ص ٣٢٥.

(٤) السيوطي: الهمع، ج ٦، ص ٣٢٥.

ثانيًا: التفريق بواسطة إبدال حرف من حرف آخر: ويندرج تحت هذا النمط صور مختلفة منها:

١- إبدال الألف في (إذا) نونا -في قول الفراء-: فقد أجمع القراء السبعة على الوقف على (إن) بالألف، ورُسمت كذلك في المصحف الإمام بالألف، وإنما كُتبت بالألف إشعارًا بصورة الوقف عليها؛ فإنه لا يوقف عليها إلا بالألف في المصحف إجماعًا، أما في غير القرآن فيرى البصريون والجمهور الوقف عليها بالألف لِشَبَهِهَا بالمنون المنصوب، ويرى فريق آخر أنها يوقف عليها بالنون؛ لأنها بمنزلة (أن) و(لن)^(١). بينما ذهب الفراء إلى أن (إذا) إن عَمِلَتْ كُتِبَتْ بالألف لضعفها، وإنْ أَهْمِلَتْ كُتِبَتْ بالنون لقوتها؛ وعلل ابن عصفور مذهبه ذلك بقوله: الصحيح كتبها بالنون تفريقًا بينها وبين (إذا) الظرفية لئلا يقع الإلباس^(٢).

٢- كتابة الألف الرابعة في (يحيى) ياءً في العلم تفريقًا بين العلم وغيره: فالقاعدة أنه تكتب كل ألف رابعة أو خامسة أو سادسة في اسم أو فعل ياءً نيابة عن الألف سواء كان أصلها الياء أم الواو، أم كانت زائدة لإلحاق أو لتأنيث أو

(١) انظر: ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص ٢٤٨، الثمانيني: شرح التصريف، ص ٣١٠، أحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ، ١٣٠٣م)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ج ١، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط ١، دمشق، ١٣٩٤هـ، ص ٦٧، الرضي: شرح الشافية، ج ٣، ص ٣١٨، أبو حيان: الارتشاف، ج ٢، ص ٧٩٨، ابن هشام: مغني اللبيب، ج ١، ص ١١٥، ابن عقيل: المساعد، ج ٤، ص ٣٠٥، ناظر الجيش: تمهيد القواعد، ج ١٠، ص ٥٢٩١، المرادي، الجني الداني في شرح حروف المعاني، ج ١، تحقيق د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص ٣٦٥، المرادي: توضيح المقاصد، ج ٤، ص ١٤٧١، الصبان: حاشية الأشموني، ج ٤، ص ٢٩٠.

(٢) ينظر: المالقي: رصف المباني، ص ٦٨، ابن هشام: مغني اللبيب، ج ١، ص ١١٧، المرادي: توضيح المقاصد، ج ٥، ص ١٥٩، السيوطي: الهمع، ج ٦، ص ٣٠٧.

لغير ذلك كـ(حُبْلَى)، و(مَلْهَى)، و(مَغْزَى)، و(أَعْطَى)، و(يُخْشَى)، و(مُسْتَقْصَى)، و(اسْتَقْصَى)، و(يُسْتَقْصَى)، إلّا أن تكون تالية لياء كـ(دُنْيَا)، و(مَحْيَا)، و(أَحْيَا)، و(خَطَايَا)، و(اسْتَحْيَا)، إلّا (يَحْيَى) علماً فإنّه يُكْتَب بالياء تفريقاً بين (يَحْيَى) الاسم و(يَحْيَا) الفعل^(١).

٣- كتابة ألف (حتى) ياءً مع الظاهر، وردّها ألفاً مع المضمّر تفريقاً بين الحالتين: حيث علل النحاة كتابة (حتى) بالياء وإن كانت لا تمال كـ(بلى)، ولا تعود ألفها للياء كـ(إلى) و(على) في نحو: (إليه) و(عليه)؛ تفريقاً بين دخولها على الظاهر والمضمّر، فلزمَ فيها الألف مع المضمّر حين قالوا: "حتّاي"، و"حتّاك"، و"حتّاه"، وانصرف إلى الياء مع الظاهر حين قالوا: "حتّى زيد"^(٢)، فالذي يظهر هنا أنه وإن لم يحدث سوى ردّ للألف إلى حقيقتها عند دخول "حتى" على المضمّر، إلّا أنه يُعدّ نوع إبدال وإن كان إبدالاً إلى الأصل.

نخلص من هذا المبحث إلى أن أنماط التفريق في هذا الطريق قد جاءت لتدفع عن اللفظ ما قد يلحق بالذهن عند نطق الناطق له بدون مؤثر التفريق الذي يبرز أثره من خلال صورة خطية كتابية للفظ تفصله عن الاشتباه بلفظ آخر اشتباهاً يفسد به المعنى، فلزم إحداث أثر مفرق بينهما بهذا النمط من أنماط التفريق.

(١) ينظر: الرضي: شرح الشافية، ج٣، ص٣٣٢-٣٣٣، السيوطي: الهمع، ج٦، ص٣٣٥-٣٣٦.

(٢) السيوطي: الهمع، ج٦، ص٣٣٨.

وختام القول: لا أدعي أنني أتيت حصراً على أشكال ورود تلك الظاهرة ومظاهر انسياعها في الدرس اللغوي، فإنني قد تحاميتُ كثيراً من الأمثلة والشواهد دفعا لتضخم البحث، بيد أنني أزعم أن النظام الذي يحكمها لا يخرج في أنماطه وصوره عن المباحث الأربعة التي تناولتُ الظاهرة خلالها، وأستطيع القول إنَّ ظاهرة التفريق تمثلت في واقع اللغة العربية بشكل جلي المعالم في مستويات اللغة كافة، وقد ارتسخت ملامحها واكتملت جوانبها في أذهان القدامى حتى صارت طريقاً واضحاً في التعليل اللغوي يبرر به النحوي والصرفي ما يراه من أوجه التخالف بين الصيغ المتقاربة، فالتفريق من أرسى دعائم قضية أمن اللبس في العربية وإحدى ركائزها الرئيسة التي ارتكزت عليها تعليقات النحاة في دفع أوجه اللبس التي قد تلحق بالصيغ والتراكيب.

الخاتمة

- ١- كشف هذا البحث جانباً من جوانب ثراء التعليل اللغوي النحوي والصرفي، برز من خلال دراسة تلك الأنماط المختلفة للتفريق، وظهر أن التفريق علة لغوية ذات قيمة منطقية تستدعيها صور لغوية متنوعة، تمثلت في واقع اللغة العربية بشكل واضح السمات في مستويات اللغة كافة، وقد ارتسخت ملامحها واكتملت جوانبها في أذهان القدامى حتى صارت طريقاً واضحاً في التعليل اللغوي يبرر به النحوي والصرفي ما يرياه من أوجه التخالف بين الصيغ المتقاربة.
- ٢- كان تعليل اللغويين بالتفريق في بعض صورهِ انعكاساً لاهتمامهم بدواعي الحيطة والسلامة من شُبهِ الإلباس الممقوت في منطق العربية، وحيثُ أُمِنُوا ذلك لم تُلَجِّهْهُمْ حاجةٌ إلى التعليل به؛ فمثلاً جعلوا لفظ المذكر والمؤنث في أشياء كثيرة سواءً على لفظ واحد؛ لأنه غير ملبس، فقالوا: نحنُ نفعل والمذكر والمؤنث في ذا سواء؛ لأن قرينة الخطاب تبين المراد، فاندفعت شبهة الإلباس فاندعم الداعي إلى التفريق.
- ٣- استنتج البحث أنَّ مواقع ورود الظاهرة في التراث اللغوي قد مثَّلَ النظامُ المقطعيُّ منه النصيبَ الأوفرَ، إذ ظهر ذلك في أمثلة البحث في (٢٠) عشرين موضعاً مثله النظامُ المقطعيُّ من مواقع ورود الظاهره، تلاه النظامُ الحركيُّ بواقع (١٦) ستة عشر موضعاً، تلاه النظامُ الصرفي بواقع (١١) أحد عشر موضعاً، تلاه النظامُ الخطِّيُّ بواقع (٧) سبعة مواضع، مما يُنبئ عن أن اللغة قد منحت نظام المقطع اهتماماً ملحوظاً وعنايةً قُصوى.
- ٤- التفريق هو نوع مخالفة تعدُّ تطبيقاً بارزاً من تطبيقات التعليل اللغوي يقوم على تخصيص علامة مذكورة، أو محذوفة، أو حركة، أو إحداث تغيير في

بنية الكلمة أو صورتها الخطية؛ للدلالة على حالة الكلمة أو عددها أو وظيفتها النحوية أو حكمها الإعرابي تفريقاً بين ما يتشابه من الألفاظ والتركيب.

٥- توصل البحث إلى أنَّ التفریق في العربية: هو علة يفسر بها اللغويون ما يطرأ على اللفظ من أشكال التغيير والتبديل، وأنه ليس لتلك العلة قانون منضبط؛ وإنما يحكمها مناسبة طريقة التفریق لكونها علة لذلك التغيير الطارئ على اللفظ، فإذا اختلف شكل التغيير فربما تختلف طريقة التفریق لتناسب السبب الوظيفي الذي دُعيت من أجله في الأصل وهو الدلالة على هذا التغيير، وهذا يفسر سر التناقض الحاصل في تلك الظاهرة؛ إذ تجد طريقة التفریق في حالة بصورة، وفي حالة أخرى بصورة معاكسة، كما تبين في ثني الدراسة.

٦- لم يعدَّ النحاة (التفریق) ضمن قواعد العلة والاعتراضات على الاستدلال بالقياس مثلما فعل الأصوليون، وإنما عدوه من العلل اللغوية التي تطرد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم.

٧- بات واضحاً مسلكُ القدامى في إصاقهم التعليل النحوي أو العلة النحوية بالأحكام اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية)، فإن ما يقودهم إلى ذلك هو الراسخ عندهم من كون النحو هو انتحاء سمت كلام العرب فضلاً عن تغليبهم النحو على بقية مستويات الأداء اللغوي، ومن ثم غلبوا مصطلح التعليل النحوي والعلة النحوية على التعليل الصوتي والصرفي، والعلة الصوتية والصرفية.

٨- التفریق وسيلة مطلوبة لتحقيق مطلوب يتوافق ومنطق العربية، مع التنبيه على أن حصول المخالفة ينبع من الوصف الذي يتسق مع أحكام النحو.

المصادر والمراجع

١. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الحنفي (ت ١٠٩٤هـ، ١٦٨٣م)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ج١، تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط٢، بيروت-لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢. أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت ٦١٦هـ، ١٢٢٠م)، **اللباب في علل البناء والإعراب**، ج٢، تحقيق الدكتور عبدالإله نبهان، دار الفكر المعاصر، ط٢، بيروت، دار الفكر - دمشق، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣. أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ، ١٢٤٦م)، **شرح المفصل في صناعة الإعراب**، ج١٠، إدارة الطباعة المنيرية-مصر، د.ت.
٤. أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (ت ٦٣١هـ، ١٢٣٤م)، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج٤، تحقيق الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ط١، دار الصميعي - الرياض، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٥. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ، ١٠٦٦م)، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٧، تحقيق الدكتور مراد كامل، مطبوعات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط١، القاهرة، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
٦. أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني (٩٠٠هـ، ١٤٩٥م)، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ج٤، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

٧. أبو الحسن علي بن مؤمن ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ، ١٢٧١م):
- شرح جمل الزجاجة، ٢ج، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، العراق، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- الممتع في التصريف، ١ج، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.
٨. أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ، ١٧٩٢م)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤ج، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد - المكتبة التوفيقية- مصر.
٩. أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ، ١٠٠٢م):
- الخصائص، ٣ج، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار- دار الكتب المصرية.
- سر صناعة الإعراب، ٢ج، تحقيق الدكتور حسن هندأوي، دار القلم- دمشق، ١٩٩٣م.
- اللمع في العربية، ١ج، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية- الكويت، ١٩٧٢م.
- المنصف شرح تصريف أبي عثمان المازني، ٣ج، تحقيق الأستاذين إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، ط١، وزارة المعارف العمومية - إدارة إحياء التراث القديم، ١٩٥٤م.
١٠. أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ، ١١٨٦م)، نتائج الفكر في النحو، ١ج، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١١. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ، ٧٩٨م)، الكتاب، ٥ ج، تحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٢. أبو بكر محمد بن السري بن سهل ابن السراج (ت ٣١٦هـ، ٩٢٩م)، الأصول في النحو، ٣ ج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط ٣، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٣. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ، ٩٥٠م):
- إعراب القرآن، ٥ ج، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط ٢، القاهرة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- عمدة الكتاب، ١ ج، تحقيق بسام الجابي، دار ابن حزم-الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط ١، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٤. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ، ١٣٤٥م):

- ارتشاف الضرب من كلام العرب، ٥ ج، تحقيق وشرح الدكتور رجب عثمان محمد - مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ١١ ج، تحقيق الدكتور حسن هندواوي، دار القلم، ط ١، دمشق، ٢٠٠٢م.

١٥. أبو عبدالله محمد بن الطيب الفاسي (ت ١١٧٠هـ، ١٧٥٧م)، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ٢ ج، تحقيق الدكتور محمود يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط ٢، دبي-الإمارات،

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٦. أبو عبدالله محمد بن عبدالله، ابن مالك الطائي الجباني:

- شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ٤ج، تحقيق الدكتور عبدالرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختون-دار هجر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- شرح الكافية الشافية، ٥ج، تحقيق الدكتور عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط١، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٧. أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ، ٩٨٨م):

- التعليقة على كتاب سيبويه، ٦ج، تحقيق الدكتور عوض بن حمد القوزي، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- الحجة في علل القراءات السبع، ٧ج، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث-دمشق، متتاليًا من سنة ١٤٠٤ إلى ١٤١٣هـ.

- المسائل البغداديات، أو المسائل المشكلة، ١ج، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي - وزارة الأوقاف والشئون الدينية، ط١، بغداد، ١٩٨٣م.

١٨. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي (٧٤٩هـ، ١٣٤٩م):

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ٣ج، شرح وتحقيق الدكتور عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة،

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م.

- الجنى الداني في شرح حروف المعاني، ١ ج، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

١٩. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ، ٨٩٠ م)، أدب الكاتب، ١ ج، تحقيق الدكتور محمد الدالي، مؤسسة الرسالة-بيروت.

٢٠. أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف، ابن هشام (ت ٧٦١ هـ، ١٣٦٠ م):

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٤ ج، شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، منشورات المكتبة العصرية-بيروت.

- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ٧ ج، تحقيق الدكتور عبداللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط ١، الكويت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٢١. أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (٤٢٩ هـ، ١٠٣٨ م)، فقه اللغة وأسرار العربية، ١ ج، تحقيق د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط ٢، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٢. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ، ١٠٠٩ م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٦ ج، تحقيق الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت-لبنان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٢٣. أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥ هـ، ١٠٠٥ م)، الفروق اللغوية، ١ ج، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار

العلم والثقافة-القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٤. أحمد بن عبدالنور المالقي (ت٧٠٢هـ، ١٣٠٣م)، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، ١ج، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط١، دمشق، ١٣٩٤هـ.

٢٥. أحمد رضا بن إبراهيم العاملي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق (ت١٣٧٢هـ، ١٩٥٣م)، **معجم متن اللغة**، ٥ج، دار مكتبة الحياة-بيروت، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.

٢٦. تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي (ت٧٧١هـ، ١٣٧٠م)، **الإبهاج في شرح منهاج البضاوي**، ٣ج، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢٧. حسن خميس الملح، **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**، ١ج، دار الشروق، ط١، عمان، ٢٠٠٠م.

٢٨. خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري (ت٩٠٥هـ، ١٥٠٠م)، **شرح التصريح على التوضيح**، ٢ج، تحقيق محمد باسل عيون السود-دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٩. ركن الدين حسن بن محمد الإستراباذي (ت٧١٥هـ، ١٣١٦م)، **شرح شافية ابن الحاجب**، ٢ج، تحقيق الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٠. رمضان عبدالنواب (ت١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، ١ج، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٣١. عادل نذير الحساني، **التعليل الصوتي عند العرب**، ١ ج، مركز البحوث والدراسات الإسلامية-ديوان الوقف السني، ط١، العراق، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٣٢. عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ، ١٥٠٦م):
 - **الاقتراح في علم أصول النحو**، ١ ج، تحقيق الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، ٧ ج، تحقيق وشرح الدكتور عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٣٣. عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ، ١١٨٢م):
 - **أسرار العربية**، ١ ج، تحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي-دمشق.
- **الإغراب في جدل الإعراب**، ١ ج، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ط١، دمشق، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.
- **الإتصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، ٢ ج، تحقيق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٤، القاهرة، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.
٣٤. عبدالله بن عبدالرحمن ابن عقيل العقيلي الهمداني (ت ٧٦٩هـ، ١٣٦٨م)، **المساعد على تسهيل الفوائد**، ٤ ج، تحقيق وتعليق الدكتور محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٥. علي أبو المكارم (ت١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، أصول التفكير النحوي، ج١، دار غريب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٦. عمر بن ثابت الثماني (ت٤٤٢هـ، ١٠٥١م)، شرح التصريف، ج١، تحقيق الدكتور إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، ط١، الرياض، ١٤٩١هـ-١٩٩٩م.

٣٧. محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي (ت٦٨٦هـ، ١٢٨٨م):

- شرح شافية ابن الحاجب، ج٤، تحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- شرح كافية ابن الحاجب، ج٤، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس-بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.

٣٨. محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت١٢٠٥هـ، ١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٤٠، تحقيق عبدالكريم العزباوي، وزارة الإعلام الكويتية، ط١، الكويت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٩. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ، ١٣١٢م)، لسان العرب، ج٦، دار المعارف، ط١، القاهرة، د.ت.

٤٠. محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ، ٨٩٩م)، المقتضب، ج٤، تحقيق الشيخ محمد عبدالخالق عزيمة، المجلس الأعلى

للشؤون الإسلامية-وزارة الأوقاف-القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٤١. محمد بن يوسف بن أحمد، المعروف بناظر الجيش (ت٧٧٨هـ، ١٣٧٧م)،
تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ١١ج، تحقيق الدكتور علي محمد فاخر
وآخرين، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

المجلات والدوريات العلمية

١. حيدر جبار عيدان، "العلل التعليمية وتطبيقها الأصول في النحو أنموذجاً"، مجلة
دراسات الكوفة-العدد السادس، ٢٠٠٧م.
٢. تمام حسان (ت١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة
العربية، حوليات كلية دار العلوم، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، مطبعة
جامعة القاهرة، ١٩٦٩م.

Index of sources and references

1. Ibn al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad ibn al-Sari ibn Sahl (d. 316 AH, 929 AD), assets in grammar, the achievement of d. Abdul-Hussein Al-Fattaly, 3, Al-Resala Foundation, Beirut, 1417H-1996G.
2. Ibn Jeni, Abu Fath Osman (T. 392 e, 1002 m):
 - Characteristics, the achievement of Professor Mohamed Ali Najjar, I 1, the Egyptian Book House, Cairo, 1371 – 1952.
 - Lama in Arabic, the achievement of Dr. Fayez Fares, I 1, the House of Cultural Books, Kuwait, 1972.
 - The secret of the expression industry, achieving d. Hassan Hindawi, I 2, Dar Al-Qalam, Damascus, 1413 e-1993.
 - The fair explanation of the discharge of Abu Osman Almazni, the realization of professors Ibrahim Mustafa, Abdullah Amin, I, Ministry of Public Education – Department of the revival of the ancient heritage, Cairo,
3. Ibn Sedah, Abu Hassan Ali bin Ismail (d. 458 e, 1066), the arbitrator and the vast ocean, the investigation of d. Murad Kamel, I, Manuscripts of the Manuscripts Institute, League of Arab States, Cairo, 1392 – 1972.
4. Ibn Asfour, Abu Hassan Ali bin Mo'men Ashbili (d. 669 e, 1271):

- Explanation of glass sentences, achieving d. Abu Jinnah, Iraq, 1402H-1982.
- Almomte in the discharge, the achievement of Dr. Fakhruddin Qabawah, I 1, Library Publishers Lebanon, Beirut, 1996.
- 5. Ibn Aqeel: Abdullah bin Abdul Rahman al-Aqili Hamdani (769 AH, 1368 AD), the assistant to facilitate the benefits, the achievement and suspension d. Mohammed Kamel Barakat, 1, Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Umm Al-Qura University, 1400 AH-1980.
- 6. Ibn Qutaiba, Abu Muhammad Abdullah bin Musallam al-Dinuri (d. 276 AH, 890 AD), literature writer, the investigation of Dr. Mohammed al-Dali, I, the Foundation letter, Beirut.
- 7. Ibn Malik, Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah al-Tai (d. 672 e, 1274):
 - Explanation of sufficient healing, the achievement of Dr. Abdul-Monem Ahmed Haridi, 1, Dar Al-Maamoon Heritage, Damascus, 1402 e-1982.
 - Explain the facilitation of benefits and completion of purposes, achieve d. Abdul Rahman Al-Sayed, and Dr. Mohammed Badawi the circumcised, I, Dar Hajar, Cairo, 1410-1990.

8. Ibn Manzoor, Abu al-Fadl Muhammad ibn Makram bin Ali al-Ansari al-Ruwaifai of Africa (711 AH, 1312 AD), Lanson al-Arab, Dar al-Ma'arif, 1, Cairo,
9. Ibn Hisham, Abu Muhammad Abdullah bin Yusuf bin Ahmed bin Abdullah bin Yusuf (d. 761, 1360 AD):
 - The tractate to Alfia Ibn Malik, Explanation and Investigation Mohamed Mohieddin Abdel Hamid, publications of the Modern Library – Beirut.
 - Mogny El-Labib on the books of Al-A'areeb, the investigation of Dr. Abdul Latif Mohammed Al-Khatib, 1, the National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1423 –2002.
10. Ibn Yaish, Abu Al-Zayyat, Ben Ali (d. 643 AH, 1246 AD).
11. Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Yusuf ibn Hayyan al-Andalusi (d. 745 AH, 1345 AD):
 - Explaining the beatings of the words of the Arabs, an investigation and explain d. Ragab Osman Mohamed, 1, Al-Khanji Library, Cairo, 1998.
 - Appendix and supplement to explain the facility, investigate d. Hassan Hindawi, 1, Dar Al-Qalam, Damascus, 2002.
12. Abu al-Makarem, Ali (1436 AH, 2015), Principles of Grammar Thinking, 1, Dar Gharib, Cairo, 2007.

13. Al-Azhari, Khalid bin Abdullah bin Abi Bakr bin Mohammed Al-Jerjawi (905 AH, 1500 AD), Explanation of the statement on the clarification of the Sheikh, the investigation of Mohammed Basil Al-black, 1,
14. Al- Estrabazi Rokn al-Din Hassan bin Mohammed (d. 715 e, 1316 m), explain the son of the son of the eyebrow, investigation d. Abdel-Maksoud Mohamed Abdel-Maqsoud, I, Library of Religious Culture, Cairo, 1425H-2004G.
15. Al- Estrabazi, Mohammed ibn al-Hassan al-Razi (T. 686 e, 1288 m) k
 - Explanation Shafiha Ibn al-Hajeb, the achievement of the teachers: Mohamed Nur al-Hassan, and Mohammed al-Zafzaf, and Mohammed Mohieddin Abdul Hamid, I 1, the House of Scientific Books, Beirut – Lebanon, 1402 – 1982.
 - Explanation sufficient to Ibn al-Hajib, investigation Yusuf Hassan Omar, I 2, publications of the University of Gan Yunis, Benghazi, 1996.
16. Al-Ashmouni, Abu al-Hasan Ali bin Muhammad bin Issa (900 AH, 1495), Explanation of Al-Ashmouni on Alfia Ibn Malik, the investigation of Muhammad Mohieddin Abdul Hamid, 1, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 1375 AH-1955.

17. Al-Amedi, Abu al-Hassan Sayyed al-Din Ali bin Abi Ali bin Mohammed bin Salem al-Thaalibi (631 AH, 1234 AD), the judgments in the origins of the judgments, the investigation of Sheikh Abdul Razzaq Afifi, 1, Dar al-Sumai'i, Riyadh, 1424.
18. Al-Anbari, Abu Barakat Abdul Rahman bin Mohammed bin Abi Said (d 577 e, 1182):
 - Anxiety in the argument of expression, the achievement of Said al-Afghani, I 1, Syrian University Press, Damascus, 1377 AH-1957.
 - Secrets of Arabic, the achievement of Professor Mohamed Bahja Bitar, I, publications of the Arab Academy.
 - Equity in the issues of dispute between the grammarians of the visual and the Kufis, the investigation and explanation of Mohammed Mohieddin Abdul Hamid, I 4, Press happiness, Cairo, 1380 e-1961.
19. Al-Thaalabi, Abu Mansour Abdul Malik bin Mohammed bin Ismail (429 AH, 1038 AD), philology and secrets of Arabia, the achievement of Dr. Yasin Ayoubi, I 2, Modern Library, Beirut, 1420 e-2000.
20. Al-Thamaneni, Omar ibn Thabit (d. 442 e, 1051 m), explanation of discharge, 1 c, investigation d. Ibrahim bin Sulaiman al-Buaimi, 1, Al-Rashed Library, Riyadh, 1491H-1999M.

21. Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad al-Farabi (d. 393 AH, 1009 AD), Taha Taj al-Luhah and Saheeh al-'Arabiya, investigation by Professor Ahmed Abdul Ghafoor Attar, 4, Dar al-Ilm for millions, Beirut-Lebanon, 1404 –1984.
22. Al-Hassani, Adel Nazir, The Voice of the Arabs, 1, Center for Research and Islamic Studies – Bureau of the Sunni Endowment, Iraq, 1430 –2009.
23. Hassan Khamis Al-Malakh, The Theory of Reasoning in Arabic Grammar between the Ancients and the Modernists, 1, Dar Al-Shorouk, Amman, 2000.
24. Al-Zubaidi, Abu al-Fayadh Muhammad bin Mohammed bin Abdul Razzaq al-Husseini (T1205 AH, 1791), the crown of the bride by Jawahar al-Kalamun, investigation by Abdul Karim al-Ezabawi, I, Ministry of Information Kuwait, Kuwait, 1410H–1990M, 26, p.
25. Al-Sabki, Abu Nasr Abdul Wahab bin Ali bin Abdul-Kafi (d. 771 e, 1370 m), Abhaj explain the curriculum of the Oval, the achievement of d. Shaaban Mohamed Ismail, 1, Dar al-Kuttab al-Alami, Beirut, 1401 –1981.
26. Al-Suhaili, Abu al-Qasim Abdul Rahman bin Abdullah bin Ahmed (d 581 e, 1186 m) the results of thought in grammar, I 1, scientific book house, Beirut, 1412 – 1992,.

27. Sibweh, Abu-Bishr Amr Ibn Othman Ibn Qanbar (1801, 798 AD), the book, the investigation of Professor Abdul Salam Mohammed Harun, I 3, Al-Khanji Library, Cairo, 1408 –1988.
28. Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr (T 911 AH, 1506):
 - Proposition in grammatical syntax, achieving d. Mahmoud Suleiman Yaqout, Dar al-Maarifa University, 1426H–2006G.
 - Hmmm in explaining the collection of mosques, investigate and explain d. Abdel-Aal Salem Makram, I, Al-Resala Foundation, Beirut, 1400 AH–1980.
29. Al- Sabban, Abu al-Arfan Muhammad ibn Ali (d. 1206 AH, 1792 AD), the footnote to the Sabban to explain the Ashmuni to Alfia Ibn Malik, the investigation Taha Abdel Raouf Saad – Library of compromise – Egypt.
30. Al-Alimi, Ahmed Reza bin Ibrahim member of the Arab Scientific Academy in Damascus (1372 AH, 1953), Dictionary of the language board, Library of Life, 1, Beirut, 1379 – 1960.
31. Al-Askari, Abu Hilal Hassan bin Abdullah bin Sahl bin Said bin Yahya bin Mahran (c. 395 e, 1005 m), linguistic differences, the investigation of Mohamed Ibrahim Selim, Dar al-Alam and culture – Cairo, 1419 e–1998.
32. Al-Akbari, the father of Abdullah ibn al-Hussein ibn Abdullah (616 AH, 1220 AD), the pulp in construction and expression

- problems, the achievement of Dr. Abdul-Ilah Nabhan, I, Contemporary Thought House, Beirut, Dar al-Fikr-Damascus, 1416-1995.
33. Al-Faresi, Abu Ali Hassan bin Ahmed bin Abdul Ghaffar (v 377, 988 AD):
- Commenting on Sebwayeh's book, Awad bin Hamad Al-Qawzi, I, King Saud University, Kingdom of Saudi Arabia, 1414H-1993.
 - The argument in the seven readings, the achievement of Badr al-Din Kahwaji, and Bashir Joujati, Dar Al-Mamoun Heritage - Damascus, respectively from 1404 to 1413 e.
 - Begadiyya Issues, or Problem Issues, 1C, Salahuddin Abdullah Al-Ankkawi Inquiry, i. Ministry of Awqaf and Religious Affairs, Baghdad, 1983,
34. Al-Fassi, Abu Abdullah Muhammad ibn Tayeb (d. 1170 AH, 1757 AD), published the publication of the draft of the proposal proposal, Mahmood Yousef Fajal, 2, Dar Al-Resawat for Islamic Studies and Heritage Revival, Dubai-UAE, 1423H-2002G.
35. Al-Kafari, Abu al-Qayyum Ayoub ibn Musa al-Husseini al-Qarimi (c. 1094 AH, 1683 AD), Faculties Glossary in terminology and linguistic differences, Adnan Darwish, Mohamed El Masry, I2, Al-Resala Publishers, Beirut-Lebanon, 1419H-1998G.

36. Al-Malaki, Ahmed bin Abdul-Nour (702 AH, 1303 AD), paving the buildings in explaining the meanings of the meanings, Ahmed M. Al-Kharrat, I, Publications of the Arabic Language Complex, Damascus.
37. Al-Mobarred, Abu al-Abbas Muhammad ibn Yazid bin Abdul-Akbar al-Thamali al-Azadi (285 AH, 899 AD), brief, investigation Sheikh Mohammed Abdul-Khaliq Adema, I 3, Supreme Council for Islamic Affairs – Ministry of Awqaf, Cairo, 1415-1994.
38. Al-Muradi, Abu Muhammad Badr al-Din Hassan bin Qasim bin Abdullah bin Ali (749 AH, 1349 AD):
 - Explain the purposes and tracts explain the Millennium Ibn Malik, explain and achieve d. Abdul Rahman Ali Sulaiman, 1, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1422H – 2000 AD.
 - Aljeni Aldani in explaining the meanings of the meanings, the achievement of d. Fakhruddin Qabawah, and Professor Mohamed Nadim Fadel, I 1, Dar al-Kuttab al-Alami, Beirut, 1413H-1992.
39. Nazirolgaish, Mohammed bin Yusuf bin Ahmed (T 778 AH, 1377 AD), paving the rules explaining the facilitation of benefits, achieving d. Ali Mohamed Fakhir et al., I, Dar es Salaam, Cairo, 2007.

40. Al-Nahas, Abu Jaafar Ahmed bin Mohammed bin Ismail bin Yunus (338 H, 950 m):
- The interpretation of the Koran, the achievement of d. Zuhair Ghazi Zahid, I 2, The World of Books, The Library of the Arab Renaissance, Cairo, 1405 AH-1985.
 - The Pillar of the Book, The Investigation of Bassam Al-Jabi, I 1, Dar Ibn Hazm-Jafan and Al-Rajabi for Printing and Publishing, Beirut, 1425 AH-2004, p. 186.

Journals and periodicals

1. Hassan, Tamam (1432 AH, 2011), security confusion and means of access to it in Arabic, the annals of the Faculty of Dar Al Uloom, the General Authority for books and scientific devices, Cairo University Press, 1969, Cairo.
2. Idan, Haidar Jabbar, "Educational Illness and its Application of Assets as a Model", Journal of Kufa Studies, Iraq, Volume VI, 2007.

علل التفضيل في القراءات القرآنية السبع في كتب الاحتجاج "دراسة صوتية حديثة"

* أمل عبدالله محمد جرادات

الملخص

تتناول هذه الدراسة جوانب التفضيل في المستوى الصوتي في الصوامت في كتب الاحتجاج، في القراءات القرآنية السبع في كتب الاحتجاج، وتبين علل تفضيل قراءة على أخرى عند أصحاب الاحتجاج.

وتهدف الدراسة إلى عرض جوانب تفضيل قراءة على أخرى عند أصحاب الاحتجاج، وعرض أدلة كل منهم، والمقارنة، والترجيح بينها.

ولما كانت القراءات القرآنية السبع كلها متواترة صحيحة؛ فإنَّ التفضيل بينها جاء من جوانب مختلفة، مع عدم الإخلال بأيٍّ منها، أو الهجوم عليها، واتهامها بالنقص، أو الشك في مناسبتها للنظام اللغوي.

ويسعى البحث إلى الوصول إلى توجيه يندرج تحت النظام الصوتي للكلمات، وقد اختصَّت الدراسة بعرض الصَّوامت، وذكرُ علة التفضيل فيها، والمقارنة بينها؛ للوصول إلى صلة وثيقة بين المعنى والنَّظام الصَّوتي للكلمة، من خلال التحليل الصوتي للكلمة، وتوضيح خصائصها الصَّوتية.

* دكتوراه في اللغة والنحو / جامعة اليرموك

Reasons of Superlatives of The Seven AlQur'an in The Sources of Recitations of Argumentation

"Modern modulation study

Summary

This study deals with aspects of preference in the audio level in consonants in the written protest, the Qoranic readings of the seven books in the protest, showing the ills of preference for reading on the other when the protest owners

The study aims to show aspects of the preference for reading on the other when invoking the owners, and all of them present evidence, comparison, and weighting them.

Since the readings are all frequent Quranic seven correct; the preference among them came from different sides, with no prejudice to any of them, or attack them, and accusing it of inferiority, or doubt the appropriateness of linguistic system.

The research seeks to access the guide falls under the audio system of the lyrics, the study singled offer consonants, said the bug preference in each of them, and compare; to get to the close link between the meaning of the audio system of the word, through the voice analysis of the word, and to clarify the acoustic characteristics.

الرُّمُوزُ الصَّوْتِيَّةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ

الكسرة i	q	ق	ʔ	ء
ياء المدّ ii	k	ك	b	ب
الفتحة المرفّقة d	l	ل	t	ت
الألف المرفّقة dd	m	م	θ	ث
الفتحة المفخّمة a	n	ن	dʒ	ج
الضّمة u	h	هـ	ħ	ح
واو المدّ uu	w	و	χ	خ
	y	ي	d	د
			d	ذ
			r	ر
			z	ز
			s	س
			ʃ	ش
			s	ص
			d	ض
			t	ط
			d	ظ
			ʕ	ع
			ɣ	غ
			f	ف

الهدف من الدراسة

تهدف الدراسة إلى دراسة المستوى الصوتي في كتب الاحتجاج، وعلل تفضيل قراءة على أخرى؛ لما لهذه الدراسة من قيمة علمية عالية في القراءات القرآنية والدراسات اللغوية؛ لذلك ارتأيت أن أقوم بدراسة المستوى الصوتي فيها، ومعايير التفضيل بين القراءات.

إجراءات الدراسة

ستقوم الباحثة باستخراج القراءات القرآنية السبع ضمن المستوى الصوتي من كتب الاحتجاج ثم ستصنفها حسب المستوى الصوتي وتحللها وتبين العلة التي فضلت من خلالها هذه القراءة على أخرى عند قارئ معين.

الدراسات السابقة

الدراسات التي تناولت القراءات في الكتب الأخرى:

١. حمدان، أكرم علي، كتب الاحتجاج والصراع بين القراء والنحاة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، العدد الثاني، لندن - بريطانيا، المجلد الرابع عشر، ٢٠٠٦.
٢. عبدالبديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتاب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٦.

التشكيلُ الصوتيُّ

يتَّضح من الدِّراسات اللغوية القديمة أنَّ العلماء القدماء قد درسوا الجوانب الصوتية للكلمة، والتَّغيُّرات التي تطرأ عليها؛ من الإدغام، والإبدال والإعلال، وغير ذلك من القضايا الصوتية المتَّضحة في كتبهم. وأكبر دليلٍ على ذلك ذكرهم مخارج الحروف، وصفاتها، وتقريب الحرف من الآخر لصفةٍ منه؛ فمن ذلك كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، وباب الإدغام عند سيبويه (١٨٠هـ) هو أكبر مثال على التطوُّرات الصوتية؛ مبيِّناً إيَّها في الجزء الرابع من كتابه، والمبرد (٢٨٥هـ) في المقتضب.

وابن جني (٣٩٢هـ) لم يقلَّ عن سيبويه أهميَّةً في الدِّرس الصوتيِّ القديم؛ من حيثُ تعريفُ الصوت، والتَّغيُّرات الصوتية؛ وهو أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل، ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته في كتابه سرُّ صناعة الإعراب الذي بسط فيه الكلام على حروف العربية: مخارجها، وصفاتها، وأحوالها، وما يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال، أو الإبدال، أو الإدغام، أو النقل، أو الحذف، والفرق بين الحرف، والحركة، والحروف الفروع المستحسنة، والمستقبحة، ومزج الحروف وتنافرها وما إلى ذلك، وكتاب الخصائص الذي احتوى مادَّةً صوتيةً غنيَّةً^(١).

(١) انظر: ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٩٣، ١٠٨، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٢، وانظر: سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٤١.

وإننا نجد دراسة الأصوات واضحة عند ابن سينا (٥٤٢٨هـ) في كتابه "أسباب حدوث الحروف" الذي بدأ فيه بتعريف الصَّوت تعريفاً عاماً؛ قال: "أظنُّ أنَّ الصَّوت سببه القريب تموُّج الهواء دفعةً وبقوة من أيِّ سببٍ كان"^(١) وجعل رسالته في ستَّة فصول:

- في سبب حدوث الصَّوت
- في سبب حدوث الحرف
- في تشريح الحنجرة واللسان
- في الأسباب الجزئية لحرف من حروف العرب
- في الحروف الشبيهة بهذه الحروف
- في أنَّ هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية

ونجد تعريف الصَّوت عند ابن جني؛ إذ يقول: "اعلم أنَّ الصَّوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفسِ مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفَتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمَّى المقطع أينما عرض له حرفاً"^(٢). ويعرِّف إبراهيم أنيس الصوت الإنساني بقوله: "هو ككل الأصوات ينشأ منذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة، فعند اندفاع النفس من الرئتين

(١) ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمَّد حسَّان الطَّيَّان، ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، ص ٥٦.

(٢) ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٣م، ص ٦.

يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن^(١).

ويعرّف كمال بشر الصوت اللغوي بأنه: "أثرٌ سمعيٌ يصدر طواعيةً واختياراً عن تلك الأعضاء المسمّاة تجاوزاً أعضاء النطق"^(٢).

وتنقسم الأصوات التي تتكون منها الكلمة إلى نوعين:

١. نوع الصوامت

٢. نوع الحركات^(٣)

وقد ذكر رمضان عبدالنوّاب أنّ الأصوات الكلاميّة تنقسم عموماً إلى قسمين كبيرين هما: الأصوات الصامتة (consonants)، والأصوات المتحرّكة، أو أصوات العلّة (vowels)، والأصوات المتحرّكة في العربيّة، ما سمّاه نحاة العرب بالحركات، وهي الفتحة والضمة والكسرة، وكذلك حروف المدّ واللين^(٤).

ويختلف مفهوم الصّامت عند اللغويّين عن معنى السّاكن؛ فالساكن ما ليس بمتحرّك، باختلاف الصّامت الذي يطلق على الحروف؛ يقول عبدالصّبّور شاهين: "ووصف الصّوت بأنّه صامت يعني أنّ طبيعته صامتة، وهو ما يسمّى بالفرنسيّة: consonne، بخلاف وصفه بأنّه حركة، وهي في

(١) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، ص ٧٧.

(٢) بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١١٩.

(٣) شاهين، عبدالصّبّور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص ٢٦.

(٤) انظر: عبدالنوّاب، رمضان، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّالثة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٤٢.

الفرنسيّة: "voyelle"^(١). وقد ذكر ابن جني ذلك؛ قال: "لأنّ السّاكن لا يمكن الابتداء به، فتقول: إك. إق. إج"^(٢).

وقد ظهر مفهوم الصّوامت والصّوائت واضحاً عند القدماء، وأكبر مثال على ذلك ابن جني وتقريبه بين الحركات والحروف؛ فقال: "اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللّين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضّمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضّمة بعض الواو. وقد كان متقدّموا النّحويّين يسمّون الفتحة الألف الصّغيرة، والكسرة الياء الصّغيرة، والضّمة الواو الصّغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة"^(٣).

ونحن نرى كلام ابن جني الدّقيق الموافق لأقوال العلماء المحدثين من أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ؛ فهي حركات قصيرة، وحروف المدّ حركات طويلة.

ويرى إبراهيم أنيس أنّ القدماء لم يعطوا الأهميّة للحركات بقوله: "فالكتابة التي ليست إلّا وسيلةً ناقصةً للتّعبير عن الأصوات اللغويّة، صرفت القدماء عن أهميّة أصوات اللّين، فلم يرمز لها برموز في صلب الكلمات"^(٤).

ويذكر عبدالصّبّور شاهين أنّ دراسة القدماء الأصوات كانت منفصلةً عن دراسة الصّرف، يقول: "وإذا كان الأقدمون لم يعرفوا تشابك العلاقة بين

(١) شاهين، عبدالصّبّور، المنهج الصّوتي، ص ٢٦.

(٢) ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ص ٧.

(٣) السّابق، ص ١٧.

(٤) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغويّة، ص ٣٩.

الأصوات والنحو والصرف فلقد كانوا معذورين، وهم -مع ذلك- بذلوا غاية إخلاصهم في تعقيد أحوال الكلمة والتركيب العربي، وورثونا علومًا ذات كيان مترابط من وجهة نظرهم، فلهم منّا غاية التقدير والتبجيل. ومع ذلك فإنّ منهم من اهتم بدراسة الأصوات. وفي مقدّمتهم سيبويه، والفارسي، وابن جني، ولكنهم درسوا هذا العلم منفصلاً عن دراسة النظام الصرفي، فنشأ عندهم فيه ما يتنافى مع معطيات علم الأصوات^(١).

المقاطع الصوتيّة

يُعرّف المقطع الصوتي على أنّه: "مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي"^(٢)، وقد عرفه غانم قدوري الحمد بأنّه: "مجموعة أصوات تُنتجُ بضغطةٍ صدريةٍ واحدةٍ، تبدأ بصوتٍ جامدٍ يتبعه صوتٌ ذائب (قصيرٌ أو طويلٌ)، وقد يأتي متبوعاً بصوتٍ جامدٍ أو اثنين، ويكون الصوت الذائب فيه قمة الإسماع بالنسبة إلى الأصوات الأخرى التي يتألف منها المقطع"^(٣).

ودراسة نظام المقاطع في أيّة لغةٍ من اللغات، ممّا يعين على معرفة الصيغ الجائزة فيها، كما يعين على معرفة موسيقى الشعر وموازينه^(٤)، وللمقطع الصوتي في العربيّة سمات تميّزه، وهي:

(١) شاهين، عبدالصبور، المنهج الصوتي للبنية العربيّة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٩-١٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٨.

(٣) الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربيّة، دار عمّار، الطبعة الثانية، عمّان-الأردن، ٢٠٠٥م، ص ١٩٣-١٩٤.

(٤) عبدالنواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٠٢.

- عدم البدء بصامتين
- عدم الانتهاء بصامتين إلّا في سياقات معيّنة، أي عند الوقف أو إهمال الإعراب^(١)
- تقصير الحركات الطويلة في المقاطع المغلقة
- كراهية توالي أكثر من ثلاثة مقاطع قصيرة
- كراهية توالي المقاطع الطويلة المفتوحة
- الميل إلى إغلاق المقاطع المفتوحة في غير الشعر^(٢)
- وتُقسم المقاطع الصوتيّة في العربيّة إلى الأقسام الآتية:
- المقطع القصير: ويتكون من صامت وحركة قصيرة، ويرمز إليه بالرموز العربية (ص ح)
- المقطع المتوسط: وهو ذو نمطين: الأول: (ص ح ص)، والثاني: (ص ح ح)
- المقطع الطويل: وهو ذو ثلاثة أنماط: (ص ح ص ص)، و(ص ح ح ص ص)، و(ص ح ح ح ص)، والمقطع الأخير مشروط وقوعه بواحدٍ من اثنين: أن يكون الصوتُ الصّامتُ الأخير مدغمًا في مثله، أو في حال الوقف^(٣).

التفضيل في المستوى الصوتي

-
- (١) بشر، كمال، علم الأصوات، ص ٥٠٩.
- (٢) الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب، الطبعة الأولى، إربد-الأردن، ٢٠٠٤م، ص ١٠٣.
- (٣) بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥١٠-٥١١.

تفضيل بعض الصّوامت على غيرها

فُضِّلَت بعض القراءات القرآنيّة على بعضها الآخر في قراءةٍ فيها صامتٌ مختلفٌ عن صامتٍ في قراءةٍ أخرى في كتب الاحتجاج، وقد يكون هذا التفضيل نابعاً من بنية المقطع، أو من خواصّ لهجيّة، أو تغيّراتٍ صوتيّة متعدّدة الأسباب طرأت على الكلمة، وفيما يلي بعض النماذج على هذه التغيّرات:

صيغتا: (فَعَلَ، وَأَفْعَلَ)

قال أبو عليّ: "واختلفوا في زيادة الألف ونقصانها من قوله تعالى: (ووصّى بها)^(١). فقرأ نافع وابن عامر: (وأوصى بها) على أفعل، وقرأ الباقون: (ووصّى) بغير ألف على فعّل"^(٢). والتشديد عند ابن خالويه يفيد تكرير الفعل ومداومته^(٣)؛ لكنّه يرى كلّاً من التضعيف والهمز في معنى واحد؛ يقول: "على أنّ أفعلَ وفعلَ يأتيان في الكلام بمعنى واحد، كقولك: أكرمت وكرّمت. ويأتيان والمعنى مختلف، كقولك: أفرطت: تقدّمت وتجاوزت الحدّ. وفرطت: قصّرت. وتأتي "فعلت" بما لا يأتي له "أفعلت" كقولك: "كلّمت زيداً"، ولا يقال: "أكلمت" وأجلست زيداً. ولا يقال:

(١) البقرة، ١٣٢

٢ الفارسيّ، أبو عليّ، الحجّة، تحقيق: عليّ النّجدي ناصف، وعبدالحليم النّجّار، الجزء الثاني، ١٧٦. وانظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ١٧١، وانظر: العكبري، التّبيان، الجزء الأوّل، ص ٩٩، وذكر أنّهما بمعنى واحد، وانظر: الفراء، معاني القرآن، الجزء الأوّل، ص ٨٠؛ قال: "وكلاهما صواب كثير في الكلام"، وانظر: ابن الجزري، النّشر، الجزء الثاني، ص ١٦٧، وانظر: الكسائي (١٨٩هـ)، معاني القرآن، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٧٩؛ قال: "قال الكسائي: هما لغتان معروفتان تقول: وصيّتك كما تقول: كرّمتك، وأكرمتك".

(٢) انظر: ابن خالويه، الحجّة في القراءات السبع، ص ٣٧-٣٨.

"جَلَسْتُ"^(١)، وهذا ما يراه النَّحَّاس في إعراب القرآن من أنَّ وصَّى: "فيه معنى التَّكْثِيرِ وإذا كان كذلك بَعُدَتْ القراءةُ بِهِ وأحسن من هذا أن يكون وصَّى وأوصى بمعنى واحدٍ مثل كرَّمنا وأكرَّمنا"^(٢).

يقول المبرِّد: "ويكون الفعل على (فَعَّل) فيكون مستقبله على (يُفَعِّل)؛ لأنَّه في وزن فاعل، وأفعل. فلذلك وجب أن يكون مستقبله كمستقبلهما"^(٣). واعتبر ابن زنجلة التشديد أكثر من الهمز؛ قال: "ووصَّى بالتشديد وحجَّتْهم أنَّ (وصَّى) أبلغ من (أوصى) لأنَّ (أوصى) جائز أن يكون مرَّةً و(وصَّى) لا يكون إلَّا مرَّاتٍ كثيرةً. وقال الكسائي: هما لغتان تقول: (وصَّيتك وأوصيتك) كما تقول (كرَّمتك وأكرمتك). والقرآن ينطق بالوجهين"^(٤)، وهو مع ذلك يرجع في قوله إلى أنَّ الاستخدام بالتشديد أكثر؛ قال: "والتشديد أكثر"^(٥). ويشير مكِّي إلى أنَّ القراءتين متوافقتان، والتشديد أكثر؛ قال: "فالقراءتان متوافقتان، غير أنَّ التشديد فيه معنى تكرير الفعل، فكأنَّه أبلغ في المعنى، وهو الاختيار، لإجماع القراء عليه، ولزيادة الفائدة التي فيه"^(٦).

إذن علَّلَ مكِّي الاختيار بالتَّشْدِيد؛ لهذه الأسباب، وهي:

. تكرير المعنى، وهذا ما ذكره ابن خالويه من التَّكرير والمداومة، وما بيَّنه ابن زنجلة من أنَّ التَّشْدِيد يدلُّ على مرَّاتٍ كثيرة.

(١) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٣٧.

(٢) النَّحَّاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، ص ٦٥.

(٣) المبرِّد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، الجزء الأول، ص ٧٤.

(٤) ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ص ١١٥.

(٥) السابق، ص ١١٥.

(٦) مكِّي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات، الجزء الأول، ص ٣١٧.

. يؤدّي ها التكرار إلى أن يكون المعنى أبلغ.

. الاختيار بالتشديد؛ لإجماع القراء عليه، وزيادة الفائدة فيه.

والصيغ الصّرفيّة قد تتناوب فيما بينها؛ فتتناوب صيغتا: فعَلْ وأفعل، لتأدية معاني معيّنة مرتبطة فيما بينها إلى حدّ كبير. ويذكر هنري فليش صيغة المضعّف من الصّامت الثّاني؛ قال: "فعَلْ يُفَعِّل، ومن معانيه: المبالغة، وكونه مسبباً، أو محولاً عن اسم، وأمثله: ضَرَبَهُ (ضربه بشدّة)، وجَرَّحَهُ (أحدث به جراحات كثيرة)، وعَلَّمَهُ، وخَيَّم من: (خَيْمَة)"^(١).

لكنّ الناظر في كلام الإستراباذي يرى الفرق بين صيغتي: أفعل وفعل فيما تؤدّيه من معانٍ؛ فصيغة فعَلْ تعطي معنى خاصاً مختصاً بالصيغة أكثر من غيره من المعاني؛ يقول الإستراباذي: "قال: وفعل للتكثير غالباً، نحو غَلَقْتُ وقَطَعْتُ وجَوَلْتُ وطَوَفْتُ ومَوَّتَ المالُ، ولِلتَّعْدِيَةِ نحوُ فَرَحْتُهُ، وَمِنْهُ فَسَقْتُهُ، وَلِلسَّلْبِ نحوُ جَلَدْتُهُ وَقَرَدْتُهُ، وَبِمَعْنَى فَعَلَ نحوُ زِلْتُهُ

وَزَيَّلْتُهُ" أقول: الأغلب في فعَلْ أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل، كما أنّ الأكثر في أفعل النقل، تقول: ذَبَحْتُ الشاة، ولا تقول ذَبَّحْتُها، وأغلقت الباب مرة، ولا تقول: غَلَقْتُ، لعدم تصور معنى التكثير في مثله، بل تقول: ذَبَّحْتُ الغنم، وغَلَقْتُ الأبواب، وقولك: جَرَحْتُهُ: أي أكثرت جراحاته"^(٢).

(١) تحقيق: عبدالصّبور شاهين، مكتبة الشباب، ص ١٩٣ فليش، هنري، العربية الفصحى، (٢٨) وانظر: بروكلمان، كارل بروكلمان، ص ١٠٩؛ إذ بيّن أنّ هذا الوزن يدلّ على الشدّة والتكرار.

(٢) الإستراباذي، رضيّ الدّين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمّد نور الحسن، ومحمّد الزّفراف، ومحمّد محيي الدّين عبدالحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ١٩٧٥م، الجزء الأوّل، ص ٩٢.

وهذا ما اتفق عليه القراء من تفضيل قراءة التضعيف على الهمز؛ فالتضعيف في (فَعَل) فيه معنى التّكثير، غير الموجود في (أفعل).

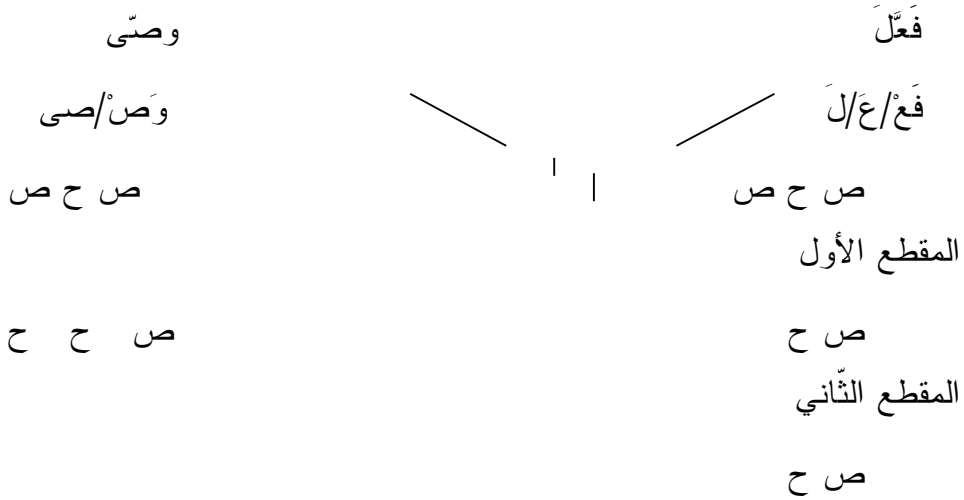
وهذا ما تراه الباحثة، فالزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وإطالة بنية الكلمة تزيد في قوّة معناها، كما زاد التّضعيف المعنى، وكثره في صيغة (فَعَل)، وقد أورد ابن جني ذلك مظهرًا للمعنى الذي يؤديه بناء (فَعَل)؛ يقول: "ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلًا على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر، وقطّع، وفتح، وغلق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلًا المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما؛ فصارا كأنهما سياج لهما، ومبذولان للعوارض دونها."^(١)، وهو في الموضع نفسه يبيّن أنّ الأفعال المكررة دليلٌ على قوّة المعاني؛ قال: "فلما كانت الأفعال دليلًا المعاني كرّروا أقواها، وجعلوه دليلًا على قوّة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل"^(٢). وهذا ما ذكره الثّعالبي (٤٢٩هـ) في كتابه فقه اللغة؛ إذ قال: "في الأكثر الأغلب: (فَعَل) يكون بمعنى التّكثير، كقوله عزّ وجلّ: "وغلّقت الأبواب". وقوله: "يذبّحون أبناءكم"^(٣).

(١) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النّجار، الجزء الثّاني، ص ١٥٥، وانظر: الجزء الثّالث، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) السّابق، الجزء الثّاني، ص ١٥٥.

(٣) الثّعالبي، فقه اللغة وسرّ العربيّة، تحقيق: عبدالرزّاق المهدي، إحياء التّراث العربيّ، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٧.

ويورد سمير استيتية معنى آخر يدل في داخله على قوة المعنى، وهو (التشديد على موضوع الخطاب)^(١)، إذا كان الموضوع مهماً، فيُلَفَت النَّظَرُ إليه من خلال تضعيف عين الفعل؛ للدلالة على أهميته، وذلك واضح من خلال النداء (يا بني)، والتوكيد بـ(إن)، وأسلوب الحصر في قوله تعالى: (فلا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون) (البقرة: ١٣٢). ونلاحظ أنَّ الصَّوت المضعَّف قد صار الأوَّل منه نهاية مقطع، والصَّوت المضعَّف الثاني بداية مقطع آخر:



وترى الباحثة أنَّ النَّبر في مثل هذا الموضع يقوِّي بنية الكلمة، ومعناها، فالنَّبر على نهاية المقطع الأوَّل: swa'saa يزيد في تقوية المعنى، وتأكيدَه. وهذا -كما ذكر ابن جني- من مساوقة الصَّيْغة للمعاني، من خلال تحصين

(١) استيتية، سمير، علم الأصوات النَّحَوِيَّ ومقولات التَّكامل بين الأصوات والنَّحو والدَّلالة، دار وائل، الطبعة الأولى، عمَّان-الأردن، ٢٠١٢م، ص ١٦١.

الحرف الدالّ على قوّة الفعل، وهو عين الفعل^(١). إذ كان التركيز على عين الفعل؛ وليس الفاء أو اللام؛ وذلك حفاظاً على بنية الكلمة؛ فعين الفعل مركزه ووسطه، وزيادة الكميّة الصوّتيّة في هذا المركز، وإيقاع التّضعيف عليه، يجعل المضامين الدلاليّة مركزيّة باستعمال إمكانيّة صوتيّة يستوعبها المتلقّي بسرعة^(٢). وقد وضّح سمير استنبطيّة ذلك تحت قوانين البناء الصّوتي؛ يقول: "وقد زاد العرب الضّغط النّبريّ في المقطع الأوّل من الفعل فعّل فنبروه؛ للدلالة على ما أرادوه من التّكثير والمبالغة. ولا يركّز الدّرس النّحويّ على البعد الصّوتيّ المتمثّل في نبر المقطع الأوّل من هذه الصّيغة، بمقدار ما يركّز على بعده الصّرفيّ والدلاليّ، مع أنّه بمقتضى المعايير الصّوتيّة نبرٌ خالصٌ بل هو نبرٌ مرتفع"^(٣).

وما ينطبق على (أوصى) و(وصّى) ينطبق على (أنزل) و(نزل) في قوله تعالى: (والكتاب الذي نزلّ على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل)^(٤)؛ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالضمّ في كليهما، وقرأهما نافع وعاصم وحمزة والكسائي مفتوحتين. وروي عن أبي بكر عاصم بالضمّ^(٥). بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول، قال مكّي: "والقراءتان متداخلتان حسنتان لأنّ في

(١) استنبطيّة، سمير، علم الأصوات النّحويّ ومقولات التّكامل بين الأصوات والنّحو والدلالة، دار وائل، الطبعة الأولى، عمّان-الأردن، ٢٠١٢م، ص ١٦١.

(٢) السابق، ص ١٦٢.

(٣) السابق، ص ١٦٠.

(٤) النّساء، ١٣٦.

(٥) انظر: الفارسيّ، أبو عليّ، الحجّة، تحقيق: أحمد عادل عبدالموجود، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م، الجزء الثّاني، ص ٤٤٨، ٣٨٥.

كلّ واحدة ردّ آخر الكلام على أوله، وانتظام بعضه ببعض^(١)، وفي مواضع أخرى ذكر أنّ التشديد أبلغ؛ لأنّه يدل على تكرير الفعل^(٢). ونجد الثعالبي لم يفرّق بينهما أيضاً؛ قال: "وفعل: يكون بمعنى أفعّل، نحو خبر وأخبر، وكرم وأكرم، ونزل وأنزل"^(٣)؛ لكنّ الناظر يلح أنّ الهمز في أنزل يفيد نزوله، مرّة واحدة، والتضعيف يفيد التدرّج والتكثير، وهذا هو المعنى الذي أرجّحه. وقد جاءت الآية الكريمة: (ولتكمّلوا العدة)^(٤) بالتشديد والتّخفيف أيضاً؛ قال أبو علي: "(ولتكمّلوا) فلأنّ فعل وأفعّل كثيراً ما يُستعمل أحدهما موضع الآخر؛ فمن ذلك ما تقدّم ذكره من وصّى وأوصى"^(٥)، وأضاف ابن زنجلة بقوله: "وهما لغتان مثل (كرّمت وأكرمت)"^(٦)؛ لكنّ مكّي فرّق بينهما بقوله: "والتّخفيف أولى لخفته، ولأنّه إجماع من القراء، وإجماعهم على "اليوم أكملت" وهو الاختيار"^(٧)؛ فالخفة اللفظيّة هي سبب في تفضيل قراءة التّخفيف (ولتكمّلوا) على التشديد عند مكّي، وإجماع القراء عليه، وقياس الآية الكريمة على آية أخرى. ويقول السّمين الحلبيّ (٧٥٦هـ): "وقرأ الجمهور «ولتكمّلوا» مخففاً من أكمل، والهمزة فيه للتّعدية. وقرأ أبو بكر بتشديد

(١) مكّي القيسي، الكشف، تحقيق: عبدالرحيم الطّرهوني، الجزء الأول، ٤٣٩.

(٢) السابق، الجزء الأول، ص ٣٠٦، ٤٦١.

(٣) الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربيّة، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ص ٢٥٧.

(٤) البقرة، ١٨٥.

(٥) الفارسي، أبو علي، تحقيق: علي النّجدي ناصف، وعبدالفتاح شلبي، الجزء الثاني، ص ٢٠٩.

(٦) ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ص ١٢٦.

(٧) مكّي القيسي، الكشف، تحقيق: عبدالرحيم الطّرهوني، الجزء الأول، ص ٣٣٣.

الميم، والتضعيفُ للتعدية أيضاً؛ لأنَّ الهمزةَ والتضعيفَ يتعاقبان في التعدية غالباً^(١).

وكذلك قوله تعالى: (فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا)^(٢)؛ فقد قرئت بالتخفيف والتشديد أيضاً؛ فقرأ ابن عامر وحده: (فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا) خفيفة من: أَمْتَعْتُ، وقرأ الباقر بالتشديد من: مَتَّعْتُ، واعتبر أبو عليّ التشديد أولى؛ لأنَّ التَّنْزِيلَ عليه، وعامة ما في التَّنْزِيلِ على التثْقِيلِ^(٣).

وذكر ابن خالويه أنهما بمعنى واحد، ويأتیان بمعنى مختلف كل منهما عن الآخر^(٤)، ويوافق ابن زنجلة ومكيّ أبا عليّ في اختيار التشديد؛ يقول ابن زنجلة: "وهما لغتان، يقال: (مَتَّعَ اللهُ بِهِ وَأَمْتَعَ بِهِ) والتشديد هو الاختيار لأنَّ القرآن يشهد بذلك في قوله "وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ"^(٥) ولم يقل: (أَمْتَعْنَاهُمْ)^(٦). ويقول مكيّ: "و"أمتع" لغة في "متع"، وكلاهما بمعنى، غير أنَّ التشديد، فيه معنى تكرير الفعل"^(٧). وقال العكبري: "والمشهور فَأَمْتَعَهُ بالتشديد وضَمَّ العين"^(٨)، وهذا ما أورده ابن أبي مريم (٥٦٥هـ)؛ قال: "لأنَّ

(١) السمين، الحلبي، الدرُّ المصون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الجزء الثاني، ص ٢٨٧.

(٢) البقرة، ١٢٦.

(٣) تحقيق: علي النجدي، ناصف، عبدالفتاح شلبي، الجزء الثاني، ص ١٧١ انظر: الفارسي، أبو علي، الحجة،

(٤) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٣٧.

(٥) يونس، ٩٨.

(٦) ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ص ١١٤.

(٧) مكي، الكشف، تحقيق: عبدالرحيم الطرهوري، الجزء الأول، ص ٣١٦.

(٨) العكبري، التبيان، الجزء الأول، ص ٩٧، وانظر: معاني القرآن للفراء، الجزء الأول، ص ٧٨؛ إذ ذكر الفراء قراءة يحيى بن وثاب: فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ إِضْطَرَّه.

كلّ ما في القرآن من هذا النظم فهو على لفظ التمتع دون الإمتاع نحو: (يمتعكم) و(متعناه) و(متعناهم) فهذه القراءة أولى؛ لأنّ عامّة ما في القرآن عليها^(١).

فالتشديد مفضّل لديهم؛ لأنّ فيه معنى تكرير الفعل -كما سبق ذكره- مع ما ماثل هذا الوزن من أمثلة أخرى.

العلان: (فتبينوا، وتثبتوا)

قال أبو علي: "واختلفوا في الثاء والنون من قوله -جلّ وعزّ:- (فتبينوا)^(٢)^(٣). وقراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (بالنون)، وقراءة حمزة والكسائي (بالتاء)^(٤)، ويذكر الفارسي أن التثبت أشد اختصاصاً بهذا الموضع؛ تبعاً للمعنى الذي يتطلبه سياق الحال^(٥)، وذكر ابن خالويه أن الأمر بينهما قريب؛ معللاً ذلك بقوله: "لأنّ من تبين فقد تثبّت، ومن تثبّت فقد تبين"^(٦). فالعلة هنا في تفضيل قراءة (فتثبتوا) هي المعنى الذي يتطلبه السياق.

(١) ابن أبي مريم، الموضع في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، ١٩٨٨م، الجزء الأول، ص ٣٠١، رسالة دكتوراه.

(٢) النساء (٩٤).

(٣) الفارسي، أبو علي، الحجة، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد المعوض، الجزء الثاني، ص ٣٧٥.

(٤) انظر: السابق، الجزء الثاني، ص ٣٧٥.

(٥) السابق، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٦) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٦٣، وانظر: ابن الجزري، النشر، الجزء الثاني، ص ١٨٩، وانظر: العكبري، التبيان، الجزء الأول، ص ٢٩٢؛ قال: "وهما متقاربان في المعنى"، وكذلك

والفعلان: (ثَبَّتَ) و(بَيَّنَ) مختلفان في الأصوات، وصوتا الثاء والتاء في الفعل: (ثَبَّتَ) صوتان مهموسان، ووقع بينهما صوتٌ مجهور؛ لكنَّ هذا الصوتُ فقد شيئاً من صفة الجهر؛ لوقوعه بين هذين الصوتين، وبدا الصوتُ المهموس أكثر وضوحاً سمعياً من الصوتِ المجهور. وصوتا الباء والنون في الفعل (بَيَّنَ) صوتان مجهوران، ووقع بينهما صوت الياء (نصف الحركة)، وهو مجهورٌ أيضاً، والصوتُ المهموس هو الذي لا يهتزُّ معه الوتران الصوتيّان ولا يُسمع لهما رنينٌ حين النطق به، مع حدوث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السَّمْع^(١)، ويتخذ الوتران الصوتيّان وضعاً وضعاً مغايراً، فيبتعد أحدهما عن الآخر بصورةٍ كافيةٍ لمرور الهواء بحريّة وطلاقة، دون أن يؤدي ذلك إلى تذبذبهما، ثمَّ تكون سرعة الهواء في أثناء اختراقه للمسافة الكائنة بين الوترين الصوتيّين ما بين ٢٠٠-٣٠٠ سم/ث، ومعدّل سرعة الهواء في الأصوات المجهورة ما بين ٢٠٠-٧٠٠ سم/ث^(٢).

وكثيراً ما أبدلت الثاء تاءً في النطق؛ لشبهه في الصفات؛ وترجّح الباحثة قراء (فتتَبَّتُوا) على قراءة (فتبَيَّنُوا)؛ تبعاً لقوة المعنى في (تتَبَّتُوا)، فقد تبَيَّن قراء (فتبَيَّنُوا) أموراً معيّنة، وتوضّحها؛ لكنّها لا تثبت بالدليل القطعي، والتثبّت أفسح للمأمور من التبيّن؛ لأنَّ كل من أراد أن يثبت قدر على ذلك، وليس كل من أراد أن يتبيّن قدر على ذلك؛ لأنه قد يتبيّن، ولا يتبيّن له ما

= ذكر الفراء في معاني القرآن، الجزء الأول، ص ٢٨٣، وانظر: المهدّب، ص ١٦٧؛ قال: "وهما متقاربان في المعنى يقال تثبّت في الشيء تبيّنه".

(١) وانظر: الصيغ، عبدالعزيز، المصطلح الصوتي في الدّراسات العربيّة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص ٩٥، وانظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ٢٢.

(٢) انظر: استنبطية، سمير، الأصوات اللغوية، دار وائل، الطبعة الأولى، عمّان-الأردن، ٢٠٠٣، ص ٣٠٢.

أراد ببيانه^(١). وصوت الثاء في بداية الفعل (ثَبَتَ) صوت احتكاكيّ، والأصوات الاحتكاكيّة طاقتها عالية، يزداد ضغطها عند تضيق مجرى الهواء، وتزداد طاقتها، وتزداد سرعتها، والضَّغَطُ المتولّد ضغطٌ عالٍ، ويسمّى الضَّغَطُ الموجب، أو ما يسمّى بالضَّغَطُ الثَّانَوِيّ، والذي يبلغ مقداره (71db)، على عكس الأصوات الوقفيّة ذات الضَّغَطُ السَّالِب الذي يبلغ (17db)، والذي يمثّله صوت الباء في بداية الفعل (بَيَّنَ)^(٢).

وإذا مثلنا كلا الفعلين تمثيلاً صوتياً كان الآتي:

fā/tā/θāb/bā/tuu

fā/tā/bāy/yā/nuu

المقطع الثَّالث من (فتبيّنوا) منتهٍ بمزدوج هابط، وهذا ممّا يقوّي رأينا في مناسبة قراءة (فتتبّتوا) في هذا السّياق.

وما تدلُّ عليه الأصوات، من مناسبة اللفظ للمعنى واضحٌ هنا؛ فصوت الثاء يحمل في داخله معنى الثبات، والتأكيد، وبعض المعاني تتطلّب أصواتاً خاصّة^(٣) وقد أفرد ابن جني باباً خاصّاً في هذا سمّاه: (باب في قوّة اللفظ لقوّة المعنى)^(٤)، وباباً سمّاه: "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، قال عنه: "هذا غورٌ من العربيّة لا يُتنصف منه ولا يكاد يُحاط به. وأكثر كلام

(١) مكي، الكشف، الجزء الأول، ص ٤٣٣.

(٢) استنبیّة، سمير، من محاضرات مساق: ندوة في الصّوتیّات، جامعة اليرموك، ٢٠١٣م.

(٣) النيرباني، عبدالبديع، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا، ٢٠٠٦م، ص ٩٧.

(٤) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النّجار، الجزء الثَّالث، ص ٢٦٤-٢٦٩.

العرب عليه، وإن كان غُفلاً مسهوًّا عنه"^(١)، وأورد العديد من الأمثلة مثل: هزَّ- أزَّ/ العسْف- الأسف/ القرمة- الفقرة/ قرد- قرت/ جلف- جرم/ السلب- الصرف/ الغذر- الختل/ زأر- سعل^(٢)، وما إلى ذلك من تقارب الألفاظ والمعاني، والمفاضلة بينها، ومهما كان الاختلاف، سواء كان في صوت، أو صوتين، أو ثلاثة أصوات، وهذا يبيِّن ما يؤيد ما يرمى إليه البحث من التفريق بين الفعلين السابقين: (فتبَيَّنوا)، و(فتنبَّتوا).

وقد أطلق بعض المحدثين على هذه العلاقة الرَّمْزِيَّة الصَّوْتِيَّة^(٣)، وأشار إبراهيم أنيس إلى ذلك بقوله: "...ندرك كل الإدراك أنَّ في اللغة معانيًا تتطلب أصواتًا خاصَّةً، وأنَّ هناك من المدلولات ما تسارع اللغة للتعبير عنه بألفاظٍ معيَّنة. وربَّما كان من العسير حصر تلك المجالات اللغويَّة التي نلحظ فيها وثوق الصِّلة بين الأصوات والمدلولات"^(٤)؛ فكل صوت يحمل في داخله معنى يميِّزه عن الآخر، ويأخذ هذا المعنى من صفة هذا الصَّوت.

(زكريّا، وزكريّاء)

قال أبو علي: "اختلفوا في تشديد الفاء وتخفيفها من قوله عزَّ وجلَّ: (وكفَّلَها)، ومدَّ (زكريّا)^(٥) وقصره ورفع ونصبه"^(٦).

(١) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الجزء الثاني، ص ١٤٥.

(٢) السابق، ص ١٤٦-١٥٢.

(٣) انظر: أنيس إبراهيم، من أسرار اللغة، ص ٥٥.

(٤) السابق، ص ١٢٣.

(٥) آل عمران، (٣٧).

(٦) الفارسي، أبو علي، الحجَّة، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح شلبي، الجزء الثاني، ص ٣٥٥.

وقرأ الكوفيون بالتشديد، وخفف الباقون، وقرأ حفص وحزمة والكسائي "زكريّا" بغير مدٍّ، ولا همز، ومدّه الباقون وهمزوه^(١)، وقال ابن زنجلة: "وأما (زكريّا) و(زكريّا) فإنهما لغتان بالمدّ والقصر. والقصر أشبه بما جاء في القرآن وفي غيره من أسماء الأنبياء كموسى وعيسى وإنشا ويهودا، وليس فيها شيء ممدودٌ، فكذلك (زكريّا) هو بمنزلة نظائره"^(٢). وذكر ابن أبي مريم (٥٦٥هـ) أنهما لغتان، والألف في كلتا اللغتين للتأنيث^(٣).

(١) انظر: مكّي القيسي، الكشف، الجزء الأول، ٣٨٤، وانظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات القراءات السبع، ص ٥١، وانظر: النشر، الجزء الثاني، ص ١٨٠، وانظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٢٠٤، وانظر: العكبري، التبيان، الجزء الأول، وذكر العكبري أنّ (زكريّا) فيها أربع لغات: زكريّا، والهمزة للتأنيث، وليست منقلبة ولا زائدة للتكثير والإلحاق، و(زكريّا) بالقصر، و(زكريّا) بياء مشددة من غير ألف، و(زكريّا) بغير ياء، ص ٢٠٧، ونجد الفراء قد قصرها على ثلاث لغات: القصر، والمدّ، وحذف الألف؛ غير أنّ المحقق ذكر أنّ الفراء قد اشتبهت عليه لغتا: حذف الألف والياء، وحذف الألف. انظر: معاني القرآن، الجزء الأول، ص ٢٠٨، النحاس، معاني القرآن، ص ١٢٠، وانظر: الدرّ المصون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الجزء الثالث، ص ١٤٣، وقال الطبري (٣١٠هـ): "وفي زكريّا لغة ثالثة لا تجوز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين وهو زكريّا، بحذف المدّ والياء الساكنة، تشبهه العرب بالمنسوب من الأسماء"، وهذا ما رفضه سيبويه؛ قال صاحب اللسان: "وهذا مرفوض عند سيبويه"، انظر: الطبري، جامع البيان، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ٢٠٠١، الجزء الخامس، ص ٣٤٧، وانظر: تحقيق: عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف-القاهرة، الجزء الثالث، ص ١٨٤٧.

(٢) ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ص ١٦١-١٦٢، وانظر: المهذب، ص ١٢٠، وانظر: البناء، أحمد بن محمد، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٧م، الجزء الأول، ص ٤٦٧.

(٣) انظر: ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، رسالة دكتوراه، ١٩٨٨م، الجزء الأول، ص ٣٦٩، وانظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨م، الجزء الأول، ص ٤٠٢.

والناظر في كلام ابن زنجلة السابق يجد أنه قد فضّل قراءة القصر على المدّ من خلال قياسه على الأسماء المقصورة الأخرى الموجودة في القرآن الكريم، وغير الموجود فيه شيءٌ ممدودٌ؛ فالقياس على نظيره من الأسماء، هو الذي جعلنا نلتمس علّة التفضيل هنا.

ومن الملاحظ أنّ كلمتي: زكريّا، وزكريّاء، متشابهتان في المقاطع الصّوتية ما عدا الأخير منها؛ إذ جاء الصّوت الأخير وهو الهمزة قفلاً للمقطع الأخير المحتوي صامت وحركتين في حالة الوقف:

زكريّا: ص / ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ح
مقطع متوسط مفتوح

زكريّاء: ص / ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ح ص ح ح ح ص ح ح ح
طويل مفرد الإغلاق .

وربّما كانت لغة الهمز خشية ضياع الصّوت الأخير من الكلمة؛ إذ إنّ الصّوت الأخير خاصّةً إنّ كان حركة عرضةً للضياع والتغيّر؛ يقول فندريس: "في كثير من اللغات تتفرد القطعة النهائية من الكلمة - على حدّ تعبير علماء الأصوات - بمعاملاتٍ خاصّةٍ لا تعرفها القطعة المبدئية، ولا القطع الداخلية. ذلك على وجه التأكيد أمثل حجة للبرهان على وجود الكلمة الصّوتية والقطعة النهائية من الكلمة خاتمة القوى من حيث هي نهائية، بصرف النظر عن قيمة الكلمة الصّوتية وأبعادها ونبرها"^(١)، وقد سمّاها

(١) فندريس، جوزيف، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمّد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصرية،

عبدالبدیع النّیربانيّ: ضعف الطّرف؛ وهو: أنّ آخر الكلمة أكثر عرضةً للتّغيير من سواه^(١). وذكر علي عبدالواحد وافي ذلك أيضًا قال: "وموقع الصوت في الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف. وأكثر ما يكون ذلك في الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات، سواء أكانت أصوات لين أم أصواتًا ساكنة"^(٢). فجاءت الهمزة توضيحًا سمعيًا خشية ضياع الصّوت.

هاء السّكت

قال أبو علي: "اختلفوا في إثبات الهاء في الوصل من قوله عزّ وجلّ: (لم يتسنّه)^(٣)، و(اقتدّه)^(٤)، و(ما أغنى عني ماليه)^(٥)، و(سلطانيه)^(٦)، و(ما أدراك ما هيّه)^(٧)، وإسقاطها في الوصل، ولم يختلفوا في إثباتها في الوقف"^(٨).

ص ٨٨.

- (١) النّيرباني، عبدالبدیع، الجوانب الصّوتيّة في كتب الاحتجاج للقراءات، ص ٢٨٨.
- (٢) وافي، علي عبدالواحد، علم اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ص ٣٠١-٣٠٢.
- (٣) البقرة، ٢٥٩.
- (٤) الأنعام، ٩٠.
- (٥) الحاقّة، ٢٨.
- (٦) الحاقّة، ٢٩.
- (٧) القارعة، ١٠.
- (٨) علي النجدي ناصف، وعبدالفتاح الشلبي، الجزء الثاني، ص ٢٧٩ الفارسي، أبو علي: الحجة، تحقيق.

واعتبر الفارسي الهاء في (يتسنّه) للوقف؛ قال: "فينبغي أن تلحق في الوقف وتسقط في الدّرج"^(١)، واختار الفارسي إثباتها في الوصل، وعلّة ذلك تتمثّل بالآتي:

. اعتبار قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم وابن عامر بإثبات الهاء في الوصل مستقيماً في قياس العربيّة، من حيث جعل اللام هاءً. وهذا يعني أنّه اعتبر الهاء من أصل الكلمة.

. إثبات الكسائي الهاء تشبيهاً لها بالقوافي.

. وجاهة هذا الإثبات نابعٌ من الاعتداد برأي سيبويه؛ قال: "ولإثبات هذه الهاءات في الوصل وجيةٌ في القياس، وذلك أنّ سيبويه حكى في العدد أنّهم يقولون: ثلاثة، أربعة"^(٢).

. تبين أبي عمرو النّون في : (ياسين. والقرآن)، وهذه الحروف التي للتهجّي موضوعة على الوقف^(٣).

لكنّا نرى ابن زنجلة ذكر أنّ الهاء دخلت للوقف وليبان الحركة في حال الوقف، وما ثبت في الوصل يكون تبعاً للرسم القرآنيّ، وكراهة إسقاط حرف من المصاحف^(٤)، وقال: "واعلم أنّ هذه الهاء أدخلت لتبين بها حركة ما قبلها قبلها في الوقف، إذ المسكوت عليه ساكن، فكرهوا أن يسكتوا على الياء فلا يفرق بينهما وهي متحرّكة في الوصل وبينها وهي ساكنة في الوصل، فبينوا

(١) الفارسي، أبو علي، الحجة، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبدالفتاح الشلبي، الجزء الثاني، ص ٢٨٢

(٢) السّابق، الجزء الثاني، ص ٢٨٤.

(٣) السّابق، الجزء الثاني، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٤) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ص ٢٦٠، وانظر: (ص) ٨٧)

حركتها بهذه الهاء^(١). إذن فوجود الهاء هنا في مثل هذه المواضع حفاظاً على الصَّوت من الضَّياع، ولتتبيَّن حركته، ولا تضيع في أثناء الوصل.

وقال ابن خالويه: "وميزانها في آخر الكلام كألف الوصل في أوله"^(٢). وهي على هذا المعنى استُخدمت لوصل الكلام. وينظر مكِّي إليها مستخدمةً عند الوقف فقط؛ قال: "فمن أثبت الهاء كمن همز ألف الوصل في الوصل"^(٣)، ورأى أن ثبوتها في الخط ليُعلم أن الوقف بالهاء لئلا تثبت في الوصل؛ يقول: "ولولا الحاجة إليها في الوقف عليها لتظهر حركة الياء بها ما احتيج إليها، فهي حرفٌ زائدٌ للوقف. فمن ألقى عليها الحركة فقد جعلها كالأصل، وأثبتها في الوصل، وترك إلقاء الحركة عليها هو الاختيار فيها"^(٤)، فيها^(٤)، ويقصد هنا إلقاء حركة الهمزة بعدها عليها.

واعتبر النحاس الوصل بها لحناً؛ بقوله: "لأنَّه إن وصل بالهاء لَحَنَ، وإن حذفها خالف السَّواد"^(٥)، وكذلك ابن الجزري؛ قال: "وذلك أنَّ هذه الهاء هاءٌ سكَّت، وحُكِّمَهَا السُّكُونُ، فَلَا تُحَرِّكُ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ الشَّعْرَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ قُبْحٍ، وَأَيْضًا فَلَا تُثَبِّتُ إِلَّا فِي الْوَقْفِ، فَإِذَا خُولِفَ الْأَصْلُ فَأُثْبِتَتْ فِي الْوَصْلِ

(١) ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ص ٧١٩.

(٢) ابن خالويه، الحجة، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ص ٤٦.

(٣) انظر: مكِّي، الكشف، الجزء الثاني، ص ١٨.

(٤) السابق، الجزء الأول، ص ١٦٩، وانظر: العكبري، التبيان، الجزء الأول، ص ٣٨٥، وانظر: ابن أبي مريم، الموضح، الجزء الأول، ص ٣٤١؛ قال: "فوجه إثباتهم الهاء فيها في الوصل، وإن كان ضعيفاً، أنَّ هذه المواضع إما أن تكون فواصل أو في حكم الفواصل لإتمام الكلام، فهي مثل القوافي في أنها مواضع وقوف، فيجري الوصل فيها مجرى الوقف، فلهذا ألحق الهاء في هذه المواضع، وإن كانت في حال الوصل، على إجراء الوصل مجرى الوقف.

(٥) النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، ص ٢٧٥.

إِجْرَاءٌ لَهُ مَجْرَى الْوَقْفِ لِأَجْلِ إِبْتَاتِهَا فِي رَسْمِ الْمُصْحَفِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَالَفَ الْأَصْلُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَهُوَ تَحْرِيكُهَا، فَيَجْتَمِعُ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مُخَالَفَتَانِ^(١).

ويعرّف الرّضي هاء السّكت بقوله: "أما هاء السّكت، فهي هاءٌ تزداد في آخر الكلمة الموقوف عليها..."^(٢)، وكلامه فيها مشابه لكلام من اعتبرها كهمزة الوصل؛ قال: "وتُحذف هاء السّكت عند الوقف، في الدّرج كهمزة الوصل، إلّا أن يُجرى الوصلُ مُجرى الوقف، كقوله تعالى: (هلك عني سلطانية خذوه)^(٣) وصلّا"^(٤)، وقال ابن هشام: "هاء السّكت، وهي اللاحقة لبيان حركة أو حرف نحو (ماهية) ونحو "هاهنا، ووازيدها" وأصلها أن يوقف عليها، وربّما وصلت بنية الوقف"^(٥)؛ وقوله: (اللاحقة) تعني أنّها زائدة على بنية الكلمة الأصليّة، واعتبرها ابن مالك من خصائص الوقف^(٦).

وفسّرت زيادة هاء السّكت على أنّها هاء جاءت في فواصل الآيات، وصوتها ناتجٌ عن الانفراج الواسع لأعضاء النطق، وهو صوت خارج من

(١) ابن الجزري، النشر، المطبعة التجارية الكبرى، الجزء، ص ٤٠٩.

(٢) الرضي، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٥م، الجزء السادس، ص ٢٧٧.

(٣) الحاقّة، ٢٩-٣٠.

(٤) الرضي، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الجزء السادس، ص ٢٨٠.

(٥) ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ٢٠٠٥م، الجزء الثاني، ص ٤٠٢.

(٦) انظر: ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، دار الجيل، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٧٩م، الجزء الرابع، ص ٣٤٩.

الأعماق ملائمٌ للتعبير عن أهوال يوم القيامة^(١)، وقد أدرجها سمير استيتية تحت مصطلح الإقحام الذي قسمه إلى الاشتقاق، والزيادة الإلصاقية، وكانت الهاء زيادة إلصاقية، لأنها ليست من أصل الكلمة كالاشتقاق؛ قال: "زيادة هاء السكت في مثل قوله سبحانه وتعالى "هاؤم اقرؤوا كتابية". إنني ظننت أنني ملاق حسابية "إلصاق"^(٢). ومصطلح (إلصاق) موافق لمصطلح (لاحقة) عند ابن هشام؛ من حيث وجودها في آخر الكلمة، من غير بنيتها.

وترى الباحثة أنّ هذه الهاء جاءت وصلة صوتية للتوضيح الصوتي للصوت الذي قبلها، وللتمكن بنطقه في حالة الوقف، ويتوقف عند هذه الهاء الصوت؛ إذ إنّ الصوت المتحرك لا يوقف عليه، مع أنّ الحركة الموجودة على الصوت الذي قبل الهاء تؤكد وقوع الفعل على المقصود، ولم تتبع الكلمة بكلمة أخرى مبتدئة بألف الوصل كي يتمكن من النطق بالكلمة التالية للصوت الأخير من الكلمة التي قبلها، فيشعر القارئ بوجود فجوة في النطق في أثناء القراءة بالوصل، خالية من هاء السكت التي تشكل متنفساً يفرغ فيه القارئ باقي الصوت، وهذه الوصلة بمثابة قفل للمقطع الأخير من الكلمة؛ ويتضح ذلك في الآتي:

(حسابية، مالية، سلطانية) _____ تنتهي بمقطع
 _____ ي _____ مقطع قصير
 "ص ح" ية _____ مقطع متوسط مغلق _____ "ص ح ص"

(١) بلقاسم، دفة، نماذج من الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم -دراسة دلالية-، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩م، جوان، ٢٠٠٩م، بحث منشور.

(٢) استيتية، سمير، علم الأصوات النحوي، ص ٢٢٩.

وكلا هذين النوعين من المقاطع شائع في العربية.

والعربية تكره توالي المقاطع القصيرة، كما تكره الوقوف على متحرك؛
بـ — ي/ نـ — ي/ ل — ي؛ فجاءت بقفلة لهذا المقطع وهو
هاء السكت.

وذكر فوزي الشايب ما يؤيد ما توصل إليه البحث؛ قال: "ومنهج العربية
هذا يفسر لنا هاء السكت على أواخر الأفعال والأسماء والأدوات التي لا
يجوز سقوط الحركة القصيرة من أواخرها في الوقف، وذلك نحو: رَهْ وعَهْ،
ولم يخشَه ولم يرمِه وفي الأسماء، "ولم أدرِ ما حسابية" و"هلك عني
سلطانية" و"غلامية وعصاية وبشرايه، وهم مسلمونه وقائلونه، وفي الأدوات
مثل: مَهْ، وحتامة، وإلامه، وأينه... فالغرض من هاء السكت إقفال المقاطع
المفتوحة في نهاية الكلمة"^(١). وهذا يؤكد ما قلناه فيما تقدّم.

(نَشَرَ، وَنَشَرَ)

قال أبو علي: "اختلفوا في الرّاء والزّاي من قوله تعالى: (كيف
ننشرها)^(٢). فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (نُنشِرُها) بضم النون الأولى،
وبالرّاء. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: (نُنشِرُها)، بالزّاي"^(٣).

(١) الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص ١٤٢.

(٢) البقرة، ٢٥٩.

(٣) الفارسي، أبو علي، الحجة، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبدالفتاح شلبي، الجزء الثاني، ص ٢٨٥،
وانظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٤٤، وانظر: ابن خالويه، الحجة، ص ٤٦، وانظر: ابن
مجاهد، السبعة، ص ١٨٩، وانظر: العكبري، التبيان، الجزء الأول، ص ١٧٠، والنشر، الجزء الثاني،
ص ١٧٤، والفرّاء، معاني القرآن، الجزء الأول، ص ١٧٣، والموضح، لابن أبي مريم، الجزء الأول،
ص ٣٤٢.

واختار مكي القراءة بالرّاء؛ فالرّاء أولى به، وهو الاختيار، لهذا المعنى، ولأنّ الأكثر عليه^(١). ويقصد بقوله: (لهذا المعنى) معنى الإحياء، وقال أبو جعفر النّحاس: "والمعنى واحد كما يقال: رجع ورجعته إلّا أنّ المعنى المعروف في اللغة أنشر الله الموتى فنشروا وقيل: ننشُرُها مثل نشرت الثّوب كما قال الأعشى:

حتّى يقول النّاس ممّا رأوا يا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النّاشِرِ^(٢)

ونجد صاحب الدرّ المصون يوافق القراءة بالزّاي؛ تبعاً للمعنى الذي يؤدّيه؛ يقول: "ورجّح بعضهم قراءة الزّاي على الرّاء بأنّ قال: العِظامُ لا تُحْيَا على الانفراد بل بانضمام بعضها إلى بعض، والزّايُّ أولى بهذا المعنى، إذ هو بمعنى الانضمام دون الإحياء، فالموصوفُ بالإحياء الرجلُ دونَ العظام، ولا يقال: هذا عَظْمٌ حيٌّ، وهذا ليس بشيءٍ لقوله: (مَنْ يُحْيِي العظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)"^(٣).

والإبدال في الأصوات واردٌ عند العرب؛ كما أبدلت الرّاء مكان الزّاي في نشر ونشر، وذكر ابن السكّيت (٢٤٤هـ) أمثلةً عديدةً عليه، قال: "وحكى الفراء عن امرأة من بني أسد أنها قالت في كلامها جاءنا سكران ملتكاً في

(١) مكي القيسي، الكشف، الجزء الأول، ص ٣٥٧.

(٢) النّحاس، إعراب القرآن، إعراب القرآن، ص ١٠٨، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصريّة، الطبعة الثانية القاهرة، ١٩٦٤م، الجزء الثّالث، ص ٢٩٥، والبيت موجود في ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميز، المطبعة النموذجية، مصر، ص ١٤١.

(٣) السّمين الحلبيّ، الدرّ المصون، الجزء الثّاني، ص ٥٦٨، وانظر: الكشاف، الزّمخشري، الجزء الأوّل، ص ٣٠٨.

معنى جاءنا ملتخاً وهو اليابس من السكر، ويقال قد اندال بطنه وانداح وانساح، ابن الأعرابي يقال شيخ تاك وفاك، وقر وقحم، ويقال أغبن من ثوبك وأخبن من ثوبك وأكبن من ثوبك، ويقال غبن يغبن وخبن يخبن وكبن يكن بمعنى واحد أي كف^(١). وقد تقدم ذكره فيما بيّنا من الفرق بين تبينوا، وتثبتوا، الذي أدخله ابن جني تحت باب: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني).

وليس لنا في تفضيل قراءة نشرَ على قراءة نشرَ إلّا ما رآه إبراهيم أنيس حين قال: "الطائفة الثالثة: هي تلك الكلمات التي روت المعاجم لكل منها نطقين، ولا نلمح في تلك المعاجم ما يرجح أحد النطقين على الآخر، لكنهما متساويان في الفصاحة والشيوخ، ولا ينسب أحد النطقين لبيئة من بيئات العرب، ومثل هذه الكلمات كثيرة فيما روي من كلمات اللغة، وهي التي أوحى لعلماء اللغة فكرة الإبدال، وجعلتهم يتصورون أنّ النطقين كانا على قدم المساواة، أو أنّ إبدال الحرف من أحدهما ليس إلّا من سنن العرب وعاداتهم كما يقولون!^(٢)، ولعلّ كثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح في الغالب أصالته^(٣).

ويرى البحث أن تفضيل نشرَ على نشرَ ربّما لا يكون للهجة معينة، وقد يكون تابعاً لتطور صوتيٍّ معيّن جعلهما يتبادلان معاً، ويتناوبان فيما بينهما؛ فالراء، والزاي صوتان لثويّان، ومجهوران، وهذا يجعلهما قريبين في تأدية كلٍّ منهما المعنى.

(١) ابن السكّيت، القلب والإبدال، الطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٣م، ص ٢٨.

(٢) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ص ٦٦.

(٣) السابق، ص ٦٦، وانظر: وافي، علي عبدالواحد، فقه اللغة، دار نهضة مصر، الطبعة الرابعة،

القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٤٣.

(يا بنؤم، ويا بنؤم)

- اختُلِفَ في (يا بنؤم)^(١)؛ فقرأ: ابن كثير ونافع وأبو عمرو عن عاصم - في رواية أبي بكر-: (يا بَنَ أُمَّ) بفتح الميم، وحمزة والكسائي وابن عامر: (يا بَنَ أُمَّ) بكسر الميم^(٢). وقال مكِّي: "والفتح هو الاختيار، عن تأويل الوجه الأول في البناء"^(٣)، وبيان ذلك كما ذكر عندهم بالآتي:
- أن يكون أراد: يا بَنَ أُمَّا، فحذف الألف كما تحذف الياء من غلامي في النداء.
- أن يكون قد جعل "ابن" و"أُمَّ" بمنزلة اسم واحد، فبنى الآخر على الفتح، بمنزلة العدد المركَّب.
- أن يكون قد أضاف "ابن" إلى "أُمَّ"، وحذف الياء من الثاني، وكان الوجه إثباتها مثل: "يا غلام غلامي"
- جعل الأول مع الثاني اسماً واحداً، وأضافه إلى نفسه، مثل: "يا خمسة عشر أقبِلوا"، فحذف الياء كما تحذف من أواخر المفردة نحو: "يا غلام"^(٤).

(١) طه، ٩٤، والأعراف، ١٥٠.

(٢) الفارسي، أبو علي، الحجة، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد المعوض، الجزء الثالث، ص ٥٤١.

(٣) مكِّي، الكشف، الجزء الثاني، ص ٥٨.

(٤) انظر: الحجة ج ٣/٥٤١، والكشف ج ٢/٥٨، والحجة لابن خالويه ص ٩٠-٩١، وحجة القراءات ص ٢٩٧.

ولقد اختلف الكوفيون والبصريون في ترخيم المضاف بحذف آخر المضاف إليه؛ فذهب الكوفيون إلى أنه جائز، ولم يجزه البصريون^(١)، وذكر الأشموني أن الأصل في (يا بن أم) هو (أما) بقلب الياء ألفاً فحذفت الألف وبقيت الفتحة دليلاً عليها، أو جعلهما اسماً واحداً مركباً وبني على الفتح^(٢)، وقال أبو حيان: "وَقَالَ سَيِّبَوِيهِ هُوَ مَبْنِيٌّ أَضِيفَ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ كَمَا قَالُوا يَا أَحَدَ عَشَرَ أَقْبَلُوا وَحَذَفْتُ الْيَاءَ وَاجْتَزَّوْا بِالْكَسْرِ عَنْهَا كَمَا اجْتَزَّوْا فِي يَا قَوْمٍ وَلَوْ كَانَا بَاقِيَيْنِ عَلَى الْإِضَافَةِ لَمْ يَجْزُ حَذْفُ الْيَاءِ لِأَنَّ الْإِسْمَ لَيْسَ بِمُنَادَى وَلَكِنَّهُ مُضَافٌ إِلَيْهِ الْمُنَادَى فَلَا يَجُوزُ حَذْفُ الْيَاءِ مِنْهُ، وَقَرِئَ بِإِثْبَاتِ يَاءِ الْإِضَافَةِ"^(٣). وتقف الباحثة إلى جانب البصريين في عدم جواز الترخيم.

ويذكر الأشموني أن الكسر أجود من الفتح؛ قال: "وقد قرئ 'قال يا ابن أم' بالوجهين (وفي النداء) قولهم يا (أبت) ويا (أمت) بالتاء (عرض) والأصل يا أبي ويا أمي (واكسر أو افتح ومن اليا التاء عوض) ومن ثم لا يكادان يجتمعان"^(٤)، فالتاء عوض عن الياء المحذوفة، وإذا كانت كذلك فمن أين أتت أنت حركة الميم (الفتح)؟

(١) حمدان، محمود موسى، مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين في ضوء النظر البلاغي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٨.

(٢) الأشموني، شرح ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الجزء الثاني، ص ١٥٧.

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحیط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م، الجزء الخامس، ص ١٨٢.

(٤) الأشموني، شرح ألفية ابن مالك، الجزء الثاني، ص ١٥٩.

ويرى البحث أن الأصل في (أُمّ) بكسر الميم هو أُمِّي بالحركة الطويلة، ثمَّ قَصُرَتِ الحركةُ فَآلَت إلى ما هي عليه.

ʔummi _____ ʔummii

وكلمة (أُمّ) هي ناتجةٌ عن (أُمِّي):

وقعت شبه الحركة بين حركتين _____ ʔummiyā

سقطت شبه الحركة — فنتج من هذا الحذف تتابع حركتين uʔomā

مطلت الفتحة عوضاً عن الياء المحذوفة _____ uʔummii

تحدف الكسرة _____ dāomm

(أُمّا)

وهذا ما ذكر آنفاً من أنَّ أصل (أُمّ) هو (أُمّا)، ثمَّ قَصُرَتِ الحركة الطويلة؛ لضرورة النداء، كي تصبح (أُمّ) مع ما قبلها كلمةً واحدةً؛ للترخيم.

(لِيَحْزَنُكَ، وَلِيَحْزَنُكَ)

- وقرأ نافع وحده: (قد نعلم إنه ليَحْزَنُكَ الذي تقولون)^(١) بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباكون: (لِيَحْزَنُكَ) بفتح الياء وضم الزاي^(٢). ولم يرجح أبو علي قراءةً على أخرى؛ إلّا أنه ذكر أنَّ "حَزَنَتَه" أكثر في الاستعمال^(٣)؛ بينما فضّل مكي قراءة من فتح الياء، وضم الزاي؛ قال: "وما عليه الجماعة،

(١) الأنعام، ٣٣.

(٢) الفارسي، أبو علي، الجزء الثاني، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، الجزء الثاني، ص ٤٧٣.

(٣) السابق، ص ٤٧٣.

من فتح الياء وضم الزاي، أحب إلي لأنها اللغة الفاشية المستعملة المجمع عليها^(١). وأحزنته تعني أدخلته في الحزن، وحزنته أوصلت إليه الحزن^(٢).

وهما لغتان، وقراءة من قرأ بالضم أشهر، لكثرة محزون، والفتح على الجمع بين اللغتين^(٣)، وجاء في (حزن) : "قال [يونس عن أبي عمرو] وفي استعمال الفعل منه لغتان، تقول: حَزَنِي يَحْزُنُنِي حُزْنًا فأنا محزون، ويقولون: أَحْزَنُنِي فأنا مُحْزَنٌ وهو مُحْزَنٌ، وقال غيره: اللغة العالية حَزَن يَحْزُنُ، وأكثر القراءة قرؤوا: "فلا يَحْزُنُكَ قولهم"، وكذلك قوله: "قد نعلم إنه لَيَحْزُنُكَ الذي يقولون"^(٤)، وحزَنه الأمر فهو محزون وأحزنه، لغتان فصيحتان. وأكثر كلامهم رأيت فلاناً محزوناً، ولا يكادون يقولون مُحْزَنًا. وقد قرئ: "لَيَحْزُنُنِي" و"لَيَحْزُنُنِي"^(٥).

وما يراه البحث هو توافق المعنيين كلاهما، واتحادهما في تأدية المعنى؛ فالحزن يكون نتيجة شيء محزن، وحزن وأحزن كلاهما في المعنى نفسه، والغرض نفسه.

(١) مكي، الكشف، الجزء الأول، ص ٤٠٦.

(٢) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٤٦.

(٣) الطبري، كتاب الحجج، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ص ٦٩، وصحح المحقق عبارة: (وقراءة من قرأ بالضم أشهر) من الضم إلى الفتح.

(٤) نقلًا عن: بدران، حمدي، عبدالفتاح، النقد اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري، ١٩٩٩م، رسالة ماجستير.

(٥) ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ص ١٠٠.

الخلاصة

خلاصة هذه الدراسة أنَّ القراءات القرآنية السَّبْع هي قراءات متواترة نزلت بالوحي، ولا يجوز تخطئتها، أو وصفها بالرداءة، أو التشكيك في صحة روايتها، أو صدق راويها، فمهما كانت آراء أصحاب الاحتجاج، فإنَّ القراءات في نهاية الأمر تعبّر عن لهجات كانت قائمة، وما زالت، وقد جاءت تيسيراً على الأمة؛ لتعدد اللغات.

وقد سعت الدراسة إلى المقارنة بين القراءات في الصّوامت المتاحة لدينا في البحث، وتحليلها تحليلًا صوتيًا؛ للوصول إلى رأي بين كل رأي من آراء أصحاب الاحتجاج، بعد الترجيح بينها.

وأخيرًا؛ فإنَّ أهمَّ ما توصلت إليه الدراسة الآتي:

١. القراءات القرآنية كلّها متواترة، وكلُّها حجة.
٢. لا يجوز لنا تخطئة قراءة سبعية، والقدح بها، أو التقليل من شأنها، تبعاً لرأي معيّن، أو انقياداً إلى قارئ معيّن.
٣. القراءات القرآنية كلّها متكاملة ولا يجوز لنا تخطئة أيٍّ منها، والتفضيل بينها.
٤. تمثّل كل قراءة من القراءات السَّبْع لغة من لغات القبائل التي نزلت القراءة بها.
٥. اتفاق بعض الكلمات المتقاربة في الصّوامت؛ لتأدية معنى واحد.
٦. التحليل الصوتي للكلمات المحتوية الصّوامت والصّوائت يساعدنا على فهم المعنى، وتوضيح وظيفته اللغوي، ووظيفته في المعنى.
٧. علم الصّرف، وعلم الأصوات علّمان متمّان بعضهما البعض، ولا غنى لأحدهما عن الآخر.

المصادر والمراجع

١. الأزهرى، محمد بن أحمد، معاني القراءات، مركز البحوث في كلية الآداب، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعود- السعودية، ١٩٩١م.
٢. الإستراباذي، رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزقزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٧٥م.
٣. استيتية، سمير، علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، دار وائل، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، ٢٠١٢م.
٤. استيتية، سمير، الأصوات اللغوية، دار وائل، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، ٢٠٠٣م.
٥. استيتية، سمير، من محاضرات مساق: ندوة في الصوتيات، جامعة اليرموك، ٢٠١٣م.
٦. استيتية، سمير، القراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٥م.
٧. الأشموني، شرح ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٨. الأعشى، الديوان، تحقيق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميز، المطبعة النموذجية، مصر.
٩. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٠. أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٠م.
١١. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر.
١٢. بدران، حمدي، عبدالفتاح، النقد اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري، ١٩٩٩م، رسالة ماجستير.

١٣. بروكلمان، كارل، **فقه اللغات السامية**، ترجمة: رمضان عبدالنوّاب، جامعة الرياض.
١٤. بشر، كمال، **علم الأصوات**، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٥. البغدادي، أبو القاسم، **سراج القارئ**، شركة مكتبة مصطفى الحلبي، الطبعة الثالثة، مصر، ١٩٥٤م.
١٦. بلقاسم، دفة، **نماذج من الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم - دراسة دلالية**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جوان، ٢٠٠٩م، بحث منشور.
١٧. البناء، أحمد بن محمد، **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٧م.
١٨. عبدالنوّاب، رمضان، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٩. الثعالبي، **فقه اللغة وسرّ العربية**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٢٠. الجمل، محمد أحمد، **الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة**، جامعة اليرموك، إربد - الأردن، ٢٠٠٥م، أطروحة دكتوراه.
٢١. ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢٢. ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هنداي، دار القلم، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٣م.

٢٣. حداد، حنا، **شذرات من النحو واللغة والتراجم**، حمادة للدراسات، إربد، ٢٠٠٦م.
٢٤. الحمد، غانم قدوري، **المدخل إلى علم أصوات العربية**، دار عمّار، الطبعة الثانية، عمّان-الأردن، ٢٠١٥.
٢٥. حمدان، أكرم علي، **كتب الاحتجاج والصراع بين القراء والنحاة**، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، ٢٠٠٦م.
٢٦. حمدان، محمود موسى، **مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين في ضوء النظر البلاغي**، مكتبة وهبة، طبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١م.
٢٧. أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م.
٢٨. ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧م.
٢٩. ابن دريد، **الاشتقاق**، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة.
٣٠. الذهبي، محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١م.
٣١. الرّازي، فخر الدّين، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٩٩م.
٣٢. الرضي، **شرح كافية ابن الحاجب**، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣٣. رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣٤. الزَّجَّاج، معاني القرآن، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٥. ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، ٢٠١٤م.
٣٦. ابن السكيت، القلب والإبدال، الطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٣م.
٣٧. السمين، الحلبي، الدر المصون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٣٨. سيوييه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٨م.
٣٩. ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسن الطيّان، ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
٤٠. شاهين، عبدالصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٠م.
٤١. الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب، الطبعة الأولى، إربد-الأردن، ٢٠٠٤م.
٤٢. الشايب، فوزي، قراءات وأصوات، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٤٣. الصيغ، عبدالعزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٧م.
٤٤. الطبري، جامع البيان، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ٢٠٠١م.

٤٥. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٤٦. الطبري، الحجج في توجيه القراءات، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمّار، الطبعة الأولى، عمّان، ٢٠١٠م.
٤٧. ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٤٨. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٠م.
٤٩. العمادي، أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٠. عمرو بن كلثوم، الديوان، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩١م.
٥١. العكبري، التبيان، دار الفكر، بيروت-لبنان، ٢٠٠٥م.
٥٢. الفارسي، أبو علي، الحجّة، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م.
٥٣. الفراء، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار، دار السرور.
٥٤. تحقيق: عبدالصّبّور شاهين، مكتبة الشباب.
٥٥. فليش، هنري، العربية الفصحى.

٥٦. فندريس، جوزيف، **اللغة**، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.
٥٧. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٤م.
٥٨. ابن القطاع الصقلي، **الأفعال والأسماء والمصادر**، تحقيق: أحمد محمد عبد الدائم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.
٥٩. الكسائي، **معاني القرآن**، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.
٦٠. الكميت، **الديوان**، تحقيق: محمد نبيل الطريفي، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٠م.
٦١. المبرد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب.
٦٢. ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠١٠م.
٦٣. امرئ القيس، **الديوان**، تحقيق: حسن السندوبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الخامسة، لبنان، ٢٠٠٤م.
٦٤. ابن أبي مريم، **الموضح في وجوه القراءات وعللها**، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، رسالة دكتوراه، ١٩٨٨م.
٦٥. أبو مغلي، عماد عادل، **أسباب التّرجيح بين القراءات المتواترة**، جامعة الإسراء، عمّان-الأردن، ٢٠١٢، بحث منشور.
٦٦. مكّي القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٦٧. النَّحَّاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، تحقيق: خالد العلي، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨م، وتحقيق: عبدالمنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٦٨. النَّيرباني، عبدالبديع، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، الطبعة الأولى، دمشق- سورية، ٢٠٠٦م.
٦٩. ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحמיד، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ٢٠٠٥م.
٧٠. ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الجيل، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٧٩م.
٧١. وافي، علي عبدالواحد، فقه اللغة، دار نهضة مصر، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

Sources and references

1. Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed, Meanings of Reading, Research Center in the Faculty of Arts, First Edition, King Saud University, Saudi Arabia, 1991
2. Al-Istraibhi, Radiy Al-Din, Sharafah Ibn al-Hajib, Muhammad Nur al-Hasan, Muhammad al-Zafzaf and Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid, Dar al-Kuttab al-ilami, Beirut-Lebanon, Dalalah, Dar Wael, First Edition, Amman-Jordan, 2012 AD
4. Istithieh, Samir, The Sounds of Language, Dar Wa'el, First Edition, Amman-Jordan, 2003
5. Istithieh, Samir, from the lectures of the course: Symposium in Acoustics, Yarmouk University, 2013
6. Istithieh, Samir, Quranic Readings, The World of Modern Books, Irbid, 2005
7. Al-Ashmouni, Explanation of Alfiat Ibn Malik, House of Arabic Books Revival, Cairo
8. Al-A'asha, Al-Diwan, Investigation: Mohamed Mohamed Hussein, Library of Arts, Gammaiz, Model Printing Press, Egypt
9. Anees, Ibrahim, in Arabic Dialects, The Anglo Egyptian Library, Cairo, 2003

10. Anis, Ibrahim, The Secrets of Language, The Anglo–Egyptian Library, 2010
11. Anis, Ibrahim, the linguistic sounds, library of Nahdet Misr
12. Badran, Hamdi, Abdel–Fattah, Language Criticism in the Language of Azhari, 1999, Master's Thesis
13. Bruchelman, Carl, Jurisprudence of Semitic Languages, Cairo, 2000
14. Bishr, Kamal, Phonology, Dar Gharib, Cairo, 2000
15. Al–Baghdadi, Abu Al–Qasim, Siraj Al–Karee, Mustafa Al–Halabi Book Company, Third Edition, Egypt, 1954
16. Balqasem, Dafah, Models of the Holy Miracles of the Holy Quran – A Dokke Study, Faculty of Arts and Sciences, Human and Social Sciences, June, 2009, published research
17. Al–Banna, Ahmed bin Mohammed, The Controversy of the Virtues of Humans in the Four Four Readings, by Shaaban Muhammad Ismail, World of Books, First Edition, Beirut
18. Abd al–Tawab, Ramadan, Introduction to Linguistics and Language Research Methods, Al–Khanji Library, Third Edition, Cairo, 1997

19. Al-Atha'alibi, Jurisprudence and the Mystery of Arabic, Achievement: Abdul Razzaq Al-Mahdi, Revival of Arab Heritage, First Edition, 2002
20. Al-Jamal, Muhammad Ahmad, The rhetorical faces in the direction of frequent Qur'anic readings, Yarmouk University, Irbid-Jordan, 2005, Ph.D.
21. Ibn Jinnie, Characteristics, Investigation: Mohamed Ali Al-Najjar, General Authority of Culture Palaces, Cairo, 2006
22. The son of Jani, the secret of the expression industry, by: Hassan Hindawi, Dar Al-Qalam, second edition, Damascus, 1993
23. Haddad, Hanna, Nuggets of grammar, language and translation, Hamada Studies, Irbid, 2006
24. Al-Hamad, Ghanem Kadouri, The Income to Aswat Al-Arabiya, Dar Ammar, Second Edition, Amman-Jordan, 2015
25. Hamdan, Akram Ali, Books of Protest and Conflict between Readers and Banisters, Journal of the Islamic University, Volume Fourteenth, No. 2, 2006
26. Hamdan, Mahmoud Musa, Issues of Controversy between the Grammar, the Visigoths and the Kufis in light of the rhetorical view, Wahba Library, First Edition, Cairo, 2001

27. Abu Hayyan Al-Andalusi, AL-Bahr Al-Moheet, Investigation: Sidqi Mohammed Jamil, Dar Al Fikr, Beirut, 1999
28. Ibn Khalifeh, Al-Hajjah in the Seven Readings, by Ahmed Farid Al-Mezidi, Dar al-Kut al-Sultari, Beirut, Lebanon, 2007
29. Ibn Duraid, derivation, investigation: Abd al-Salam Harun, Al-Khanji Library, third edition, Cairo
30. Al-Thahabi, Mohammed bin Ahmed, The Biography of the Prophets, The Foundation of the Message 2001
31. Al-Razi, Fakhr Al-Din, The Great Interpretation, Dar Al-Arabiya Revival, 3rd edition, Beirut, 1999
32. Al-Radiy, Sharh Kafiya Ibn Al-Hajib, Investigation: Abdel-Aal Salem Makram, World of Books, First Edition, Cairo, 2000
33. Reda, Mohamed Rashid, Interpretation of Manar, Egyptian General Book Organization, 1990
34. Al-Zajjaj, Meanings of the Qur'an, by: Abdul Jalil Abdo Shalabi, World of Books, Beirut, 1988
35. Ibn Zanjalah, Hujjat Al-Qiraa'at, Achievement: Said al-Afghani, Al-Resala Foundation, First Edition, Beirut-Lebanon, 2014
36. Ibn Al-Sikeit, Heart and Change, Catholic Edition, Beirut, 1903

37. Al-Qasimi, Al-Halabi, Al-Durr Al-Masoun, Ahmad Ahmad Al-Kharrat, Dar Al-Qalam, Damascus.
39. Ibn Sina, letter of reasons for the occurrence of letters, investigation: Mohammed Hassan Tayan, and Yehia Mir Alam, publications compound Arabic language in Damascus
40. Shaheen, AbdAl-Sabour, The Phonological Approach of the Arab Structure, Al-Resala-Beirut, 1980
41. Al-Shaieb, Fawzi, The Effect of Phonetic Laws in Building the Arabic Word, World of Books, First Edition, Irbid-Jordan, 2004
- 42- Al-Shaieb, Fawzi, Readings and Voices, The World of Modern Books, Irbid-Jordan, First Edition, 2012 AD
43. Al-Seeg, AbdAl- Aziz, The Phonological Term in Arabic Studies, Dar Al-Fikr, First Edition, Damascus, 2007
44. Al-Tabari, Jami'a Al-Bayan, investigation: Abdullah bin Mohsen Turki, Dar Hajar, 2001
45. Al-Tabari, Jami'a Al-Bayan in the Interpretation of the Qur'an, Ahmed Ahmed Shaker, Al-Resala Foundation, First Edition, 2000
46. Al-Tabari, Arguments in Directing Readings, by: Ghanim Kadouri Al-Hamad, Dar Ammar, First Edition, Amman, 2010

47. Ibn Asfour Al-Ishbaily, Al-Momti'a, Lebanon Library, First Edition, 1996
48. Ibn Attiyah, Editor in Brief Interpretation of the Book Dear, Achievement: Abdul Salam Abdul Shafi Mohammed, Dar al-Kuttab Al-Ulami, First Edition, Beirut
49. Al-Amadi, Abu Al-Saud, guidance of the sound mind to the merits of the Holy Book, Revival of Arab Heritage, Beirut
50. Amr IBen Kalthoum, AL-Diwan, Investigation: Emile Badi Yaqub, Dar Al Kitab Al Arabi, First Edition, Beirut, 1991
51. Al-Okbori, Al-Tibian, Dar al-Fikr, Beirut-Lebanon, 2005
52. Al-Farisi, Abu Ali, Al-Hujjah, Investigation: Adel Ahmed Abdul-Muqem, Dar al-Kitab al-Alimi, First Edition, Beirut-Lebanon, 2007
53. Fur, meanings of the Koran, investigation: Mohammed Ali Najjar, Dar Sorour
54. Flish, Henry, Standard Arabic, Achievement: Abdel Sabour Shahin, Youth Library
55. Vandarees, Joseph, The Language, Arabization: Abdul Hamid Al-Dahawali, Muhammad Al-Qassas, The Anglo-Egyptian Library, 1950

56. Al-Qurtubi, The Collective of the Rulings of the Qur'an, by Ahmed El-Bardouni, Ibrahim Etfish, Egyptian Book House, Second Edition, Cairo, 1964
57. AL-Siqilli, Ibn Al-Gatta'a, Verbs, Names and Sources, Investigation: Ahmed Mohamed Abdel Dayem, Egyptian Book House, Cairo, 1999
58. Al-Kisaie, Meanings Of Al-Qura'an, Investigation: Muhammad Nabil Tarifi, Dar Sader, First Edition, Beirut, 2000.
59. Al-Kumait, Al-Diwan, Investigation: Mohammad Nabil Tarifi, Dar Sader, First Edition, Beirut, 2000
60. Al-Qaisi, Al-Diwan, Achieving: Hassan Al-Sindoubi, Al-Qais, Dar Al- Kitab Al-ilami, Fifth Edition, Lebanon, 2004
63. Ibn Abi Maryam, explained in the faces of the readings and reasoning, investigation: Omar Hamdan al-Kubaisi, Ph.D., 1988
64. Abu Moghli, Imad Adel, Reasons for Weighting between Frequent Reading, Al-Isra University, Amman-Jordan, 2012, published research
65. Makki Al-Qaisi, Revealing the Object of Readings, by: Abd Al-Rahim Tarhouni, Dar Al-Hadiith, Cairo, 2007

66. Al-Nahas, Abu Jaafar, The Interpretation of the Qur'an, by Khaled Al-Ali, Dar Al-Maarifah, Second Edition, Beirut-Lebanon, 2008, edited by Abdel Moneim Khalil Ibrahim.
67. Al-Nairabani, Abd al-Badi'a, The Phonological Aspects of the Protest Books for the Readings, First Edition, Damascus-Syria, 2006
68. Ibn Hisham, Mogne Al-Labiib, Investigation: Mohamed Mohieddin Abdel Hamid, Modern Library, Sidon-Beirut, 2005
69. Ibn Hisham, The Path to the Millennium of Ibn Malik, Dar al-Jeel, Fifth Edition, Beirut, 1979
70. Wafi, Ali Abd Al- Wahid, Jurisprudence, Dar Nahdet Misr, Fourth Edition, Cairo, 2005

مسالك الترجيح في مسائل الخلاف النحوي

* أ.م.د. هادي أحمد فرحان الشجيري

الخلاصة:

إنّ المسائل الخلافية بين النحاة قادتهم إلى إبداع الكثير من المسالك من أجل الانتصار لمذهبهم، وهذه المسالك على قسمين، فمنها ما يناصرون بها مذهبهم من جهة، ومنها ما يوهّنون بها مذهب المخالف من جهة أخرى، وهذه القواعد علل مستنبطة من مصادر شتى، قد تكون لغوية، أو نحوية، أو منطقية، وهي قواعد مستوحاة من المسائل التي تعالجها، فكل مسألة تحكمها قواعد خاصة؛ لذا هي متنوعة وعامة.

وإنما بنيت هذا البحث بعد التأمل في كلّ مسألة خلافية على حدة، لأخرج منها بمسلك الترجيح بعد النظر في أدلة الفريقين. فهذا البحث ليس سرداً لمسائل الخلاف النحوي، وإنما تجميع لمسالك النحاة النظرية والعملية في أسباب الترجيح في مسائل الخلاف استنبطتها من طريقة أصحاب الخلاف في ذكر المسائل والانتصار لها، ولا يخلو من أمثلة نحوية متنوعة من مسائل الخلاف؛ لتتضح بها المسالك مقصد البحث.

* الجامعة العراقية/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

Weighting methods in grammatical issues

The controversial issues between the women led them to invent a lot of ways in order to triumph for their doctrine, and these two tracts, some of them are advocating their doctrine on the one hand, including the attaching to them the doctrine of the violator on the other hand, and these rules derived from various sources, , Grammatical, or logical, rules inspired by the issues it addresses, each matter governed by its own rules; therefore, it is diverse and general

But this research was built after meditating on each controversial issue separately, to get out of the course of weighting after considering the evidence of the two teams. This research is not an account of the issues of grammatical controversy, but rather a synthesis of the theoretical and practical methods of weighting in the causes of weighting in the issues of disagreement, which were devised by the method of disagreement in the mention of issues and the victory of them. It is not without grammatical examples.

Keywords: grammar, controversy, weighting.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

إن كثرة الدراسة والاهتمام في أي علم من العلوم الإنسانية يكون من ثمارها كثرة الفروع واختلاف الآراء؛ لاختلاف العقول والنقول، وعلم العربية عموماً والنحو خصوصاً كثر علماءه وطلابه، وتتوَّعت مدارسه، واختلفت مناهجها في بناء القواعد والأحكام، فاختلف علماءه في كثير من الفروع والقواعد، فكانت الحصيلة مؤلفات في مسائل الخلاف، كالإنصاف، والتبيين، والائتلاف^(١).

إن المسائل الخلافية بين النحاة قادتهم إلى إبداع الكثير من المسالك من أجل الانتصار لمذهبهم، وهذه المسالك على قسمين: فمنها ما يناصرون به مذهبهم من جهة، ومنها ما يوهَّنون به مذهب المخالف من جهة أخرى، وهذه المسالك عللٌ مستنبطة من مصادر شتى، قد تكون لغوية، أو منطقية، أو طبيعية، وهي مستوحاة من المسائل التي تعالجها، فكل مسألة تحكمها عللها الخاصة؛ لذا هي متنوعة وعامة.

موضوع البحث:

هذا البحث محاولة لجمع المسالك التي انتهجها النحاة في خلافهم النحوي على الصعيدين، صعيد الاحتجاج بالأدلة لنصرة المسألة، وصعيد توهين أدلة الخصم بكل ما أمكن من أدلة نقلية أو عقلية أو طبيعية أو غيرها، وذلك لأن الترجيح في مسائل الخلاف لا يكتمل إلّا بعد التوقف في الموضوعين، أولهما: تحقيق المذهب

(١) الإنصاف: للأنباري، والتبيين: للعكبري، والائتلاف: للزبيدي، وسيأتي النقل عنها كثيراً في هذا البحث.

بالاحتجاج له بكلّ السُّلِّ والمسالِك المقنعة، وثانِيهما: إبطالُ مذهب المخالف بتوهين ما جمعه من أدلّة^(١).

الدراسات السابقة:

ذكر أصحاب التراجم أنّ أبا البركات الأنباري له كتاب في هذا الموضوع عنوانه بـ(التنقيح في مسلك الترجيح)^(٢)، ولكنّه لم يصل إلينا، فعلاً قابلَ الأيام يكشفُ عن مخبئه من خزائن التراث!

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت التأصيل لمسالِك التّرجيح في مسائل الخلاف النحوي رسالة دكتوراه بعنوان (أسس التّرجيح في كتب الخلاف النحويّ) للباحثة فاطمة محمد طاهر حامد مقدمة إلى كلية اللغة العربية في جامعة أم القرى، وعنوانها يوحي بأنّها مخصّصة لاستنباط الأسس التي بنى عليها النّحاة خلافهم النحوي، ولكنها في الواقع أقربُ إلى دراسة الأصول النّحويّة التي ذكرها مؤلفو كتب أصول النّحو، مع أمثلة تطبيقية لمسائل الخلاف النحويّ.

ومن الدراسات الحديثة أيضاً رسالة ماجستير بعنوان (منهج ابن الأنباري في الاحتجاج من خلال كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف)) للباحثة جريد سهيلة

(١) ينظر: العكبري، عبدالله بن الحسين، (ت٦١٦هـ=١٢١٩م): التبيين عن مذاهب النحويين البصريين

والكوفيين، تحقيق: د. عبدالرحمن العثيمين، ط١، مكتبة العيكان، ٢٠٠٠م، ص٤٢٣.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، عبدالرحمن بن محمد، (ت٥٧٧هـ=١١٨١م): الإنصاف في مسائل

الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق ودراسة: د.جودة مبروك محمد مبروك، راجعه:

د.رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٠٠٢م، (مقدمة المحقق)، ص٢٠، والسيوطي،

عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت٩١١هـ=١٥٠٥م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م، ج٢، ص٨٧، والبغداد،

إسماعيل باشا، (ت١٣٣٩هـ=١٩٢٠م): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة

المعارف، استانبول، ١٩٥١م، وأعيد طبعه بالأوفست في دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،

(د.ت)، ج١، ص٥١٩.

مقدمة إلى كلية الآداب واللغات في جامعة قاصدي مرباح ورقلة، وهي دراسة ابتدأت بالإشارة إلى المدارس النحويّة، ثم عرّجت على مناهج الاحتجاج عند نحاة مخصوصين، وختمت بأسس التّرجيح عند أبي البركات الأنباري فقد توزّعت مادتها أفكار متنوعة تاريخية، وتأصيلية، وأسّس تقرب من منهج دراسة الأصول النّحويّة المشهورة، مع الإشارة إلى بعض الأسس المعتمدة في الاحتجاج عند أبي البركات الأنباري خاصّة في كتابه الإنصاف دون استيعاب لتلك الأسس.

أمّا هذا البحث فهو دراسة تفصيلية لكلّ مسألة نحويّة خلافيّة بصورة مستقلة مشفوعاً بأدلة إحصائية، لاستنباط مسالك التّرجيح التي انتهجها النحاة، ثم تجميع تلك المسالك تحت أصول عامة مرتبة على حسب ما يقتضيه المنهج العلميّ.

أهداف البحث:

ليس غرضي في هذا البحث أن أجمع مسائل الخلاف النحوي، أو أن أنتصر لمذهب نحويّ معيّن في تلك المسائل، وإنّما سأسعى جاهداً لجمع كلّ ما يصلح أن يكون مسلكاً سلكه النّحاة بصريّهم وكوفيّهم من أجل الانتصار لآرائه النحوية، فليس هذا البحث سرداً لمسائل الخلاف النحويّ، وإنّما تجميع لمسالك النّحاة النظرية والعملية في أسباب التّرجيح في مسائل الخلاف، استنبطتها من طريقة أصحاب الخلاف في ذكر المسائل والانتصار لها، ولا يخلو من أمثلة نحوية متنوّعة من مسائل الخلاف؛ لتتضح بها المسالك مقصد البحث.

وإنّما بنيت هذا البحث بعد التأمل في كلّ مسألة خلافيّة بصورة مستقلة، لأخرج منها بمسلك التّرجيح بعد النظر في أدلة الفريقين.

خطة البحث:

وقد اقتضت مادة البحث أن تنتظم مفرداتها في ستة مباحث:

المبحث الأول: المسالك النقلية في الاستدلال في مسائل الخلاف.

المبحث الثاني: المسالك العقلية في الاستدلال في مسائل الخلاف.

المبحث الثالث: مسالك الحجاج بالفكر النحوي في مسائل الخلاف.

المبحث الرابع: المسالك المعنوية في الاستدلال في مسائل الخلاف.

المبحث الخامس: المسالك المنطقية في الاستدلال في مسائل الخلاف.

المبحث السادس: مسالك توهين الأدلة والآراء في مسائل الخلاف.

أسأله تعالى التوفيق في العمل، وأن يكون لبنة نافعة في صرح العربية الشامخ.

المبحث الأول: المسالك النقلية في الاستدلال في مسائل الخلاف**أولاً: الاستدلال بالمسموع من كلام العرب:**

استقراء المسموع من كلام العرب من الأدلة المعتبرة في مسائل الخلاف، وقد احتج به النحاة في كثير من المسائل الخلافية^(١).

بل هو أول أدلة مسائل الخلاف وأعلىها، وبه يبدأ أصحاب الخلاف في الانتصار لآرائهم، فمن ظفر بشيء منه لم يعدل إلى غيره إلا من باب الاستئناس، والتأكيد، وتضافر الأدلة^(٢).

وكل القواعد النحوية إنما مبناها على السماع؛ وإنما تشتد الحاجة إليه في مسائل الخلاف التي يجيزها قوم ويمنعها آخرون، وهي بطبيعة الحال قد قل فيها السماع، وإلا لكانت كأخواتها مما جرى عليه إجماع النحاة.

(١) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٤١٩.

(٢) السابق، ص ٢٥٢، ٣٤٣، ٢٤٥، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٧٤، ٣٨٣، ٤١٠، ٤٤٥، ٤٥٠، ٤٥٤.

وكثرة السماع لا يعارضها قياسٌ نحويٌّ أو غيره، يقول أبو البركات الأنباري في بيان سبب ترجيح رأي الكوفيين في مسألة (جواز ترك صرف ما ينصرف): ((والذي أذهب إليه في هذه المسألة مذهب الكوفيين؛ لكثرة النقل الذي خرج عن حكم الشذوذ والقلّة، لا لقوّته في القياس))^(١).

ويقول أبو حيّان في مسألة تقديم التمييز على الفعل: ((وقد بيّنا كثرة السماع في ذلك، وأقيسته مدخولة معارضة للنصوص الصحيحة الواردة في كلام العرب الفصيح، فلا التفات إليها))^(٢).

ومن أنكر ما جاءت به الشواهد عن العرب عدّ قوله من الهذيان، وإنّ علا شأنه، قال أبو حيّان: ((وأنكر ذلك المبرّد، أي: مجيء لولاي وأخواتها، وقال الأستاذ أبو عليّ: اتفق أئمة الكوفيين والبصريّين كالخليل، وسيبويه، والكسائيّ، والفراء على رواية (لولاك) عن العرب، فإنكار المبرّد هذيان))^(٣).

(١) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٤٠٥.

(٢) أبو حيّان، محمد بن يوسف، (ت ٧٤٥هـ = ١٣٤٤م) منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك. تحقيق: سيدني جلازر، ط ١، الجمعية الشرقية الأمريكية نيوهافنكونكتيكي، ١٩٤٧م، تصوير دار أضواء السلف، ص ٢٢٩، وينظر: بين النحو والمنطق، ص ١٥٩.

(٣) أبو حيّان، محمد بن يوسف، (ت ٧٤٥هـ = ١٣٤٤م): ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: د.رجب عثمان محمد، راجعه: د.رمضان عبدالنواب، ط ١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٤٧٠، وينظر: المبرّد، محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥هـ = ٨٩٨م): الكامل في اللغة والأدب. تحقيق: محمد أحمد الدالي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، ج ٣، ص ١٢٧٨، والناغوي، محمد طيب فانكا: حروف الجر وأثرها في الدلالات، ط ١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ٢٠٠٢م، ص ٥٨.

وعدم السماع ممّا يُستدلُّ به على منع الاستعمال، جاء في التبيين: ((وَحَجَّةُ الأوَّلِينَ، القائلين بعدم جمع ما فيه تاء التأنيث جمع مذكر سالماً، أنّه لم يسمع من العرب ذلك، ولو كان جائزاً لسمع، ولو على الشذوذ والنّدره))^(١). والمسموع الذي يحتج به عند النّحاة من الناحية النظرية في بناء قواعد النحو ثلاثة أنواع، وهي بحسب منزلتها في الاستدلال^(٢):

أولاً: القرآن الكريم وقراءاته.

ثانياً: الحديث النبوي الشريف.

ثالثاً: كلام العرب، بنوعيه المنظوم والمنثور.

والمسموع المستدلُّ به من الناحية التطبيقية في مسائل الخلاف يتصدّره المنظوم من كلام العرب، ثم يأتي بعده الآيات القرآنية، ويكاد يخلو من الأحاديث النبوية، وعلة ذلك ليس تقدماً للشعر على كلام الله ورسوله، وإنما العلة تكمن في أنّ مسائل الخلاف الجزئية إنّما تقع فيما لا نصّ واضح فيه، فنحتاج إلى تتبعها فيما قلّ ونَدَرَ من كلام العرب المحتجّ بهم، وليس بين أيدي النّحاة سجلّ أوسع من شعر العرب المحفوظ في الصّدور والسّطور؛ لذا كثر الاستدلالُ به في مسائل الخلاف.

(١) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٢٠، وينظر: الزبيدي، عبد اللطيف بن أبي بكر، (ت ٨٠٢هـ = ١٤٠٠م): ائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة. تحقيق: د. طارق الجناحي، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، ص ٣٠.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٥٧٧هـ = ١١٨١م): لمع الأدلة. تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص ٨١، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ = ١٥٠٥م): الاقتراح في علم أصول النحو، قدم له وضبطه د. أحمد سليم الحمصي، ود. محمد أحمد قاسم، ط ١، مكتبة الفيصلية، ١٩٨٨م، ص ٣٦.

والكوفيون متصدرون في هذا المسلك من مسالك الاحتجاج، ففي كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري) على سبيل التمثيل انتقيت (خمسة وعشرين) مسألة خلافيّة ورد فيها الاحتجاج المباشر بالنقل، وفي (إحدى وعشرين) مسألة منها احتجّ الكوفيون فيها بالشواهد المسموعة: فاحتجّوا بالشعر في (اثنتي عشرة) مسألة، وهي:

- ١- القول في أولى العاملين بالعمل في التنازع^(١).
- ٢- القول في نعم وبئس أفعال أم اسمان^(٢)؟
- ٣- جواز التعجب من السواد والبياض^(٣).
- ٤- دخول اللام في خبر (لكن)^(٤).
- ٥- القول في تقديم التمييز إذا كان العامل فعلاً متصرفاً^(٥).
- ٦- هل يجوز تقديم حرف الاستثناء في أول الكلام^(٦)؟
- ٧- الفصل بين كم في الخبر وبين الاسم^(٧).
- ٨- كلا وكلتا مثنيان لفظاً ومعنى أو معنى فقط^(٨).
- ٩- تأكيد النكرة^(٩).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٧٩.

(٢) السابق، ص ٨٦.

(٣) السابق، ص ١٢٤.

(٤) السابق، ص ١٧١.

(٥) السابق، ص ٢٢١.

(٦) السابق، ص ٢٣٧.

(٧) السابق، ص ٢٦١.

(٨) السابق، ص ٣٥٥.

(٩) السابق، ص ٣٦٢.

١٠- ترك صرف ما ينصرف^(١).

١١- إظهار أن بعد لكي^(٢).

١٢- جواز مدّ المقصور^(٣).

واحتجوا بالآيات القرآنية في (ثلاث) مسائل، وهي:

١- العطف على موضع (إنّ) قبل تمام الخبر^(٤).

٢- النّصب في الصفة إذا كرر الظرف التام^(٥).

٣- نقل حركة همزة الوصل^(٦).

وست مسائل تضافرت فيها الآيات القرآنية مع الأبيات الشعرية، وهي:

١- تقديم معمول الإغراء^(٧).

٢- وقوع الماضي حالاً^(٨).

٣- هل تكون إلّا بمعنى الواو^(٩)؟

٤- وقوع واو العطف زائدة^(١٠).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٣٩٧.

(٢) السابق، ص ٤٦٦.

(٣) السابق، ص ٦٠٥.

(٤) السابق، ص ١٥٨.

(٥) السابق، ص ٢١٧.

(٦) السابق، ص ٥٩٩.

(٧) السابق، ص ١٨٧.

(٨) السابق، ص ٢١٢.

(٩) السابق، ص ٢٣٢.

(١٠) السابق، ص ٣٦٦.

٥- العطف على الضمير المرفوع المتصل في اختيار الكلام^(١).

٦- إنَّ الخفيفة هل تُحذف وتعمل من غير بدل^(٢)؟

أمَّا البصريُّون فكان نصيبُهم من هذه المسائل المنتقاة أربع مسائل، استدلُّوا بالآيات القرآنيَّة في الأولى والثانية، وبمنثور العرب ومنظومهم في الثالثة، وبالمثل في الرابعة.

أمَّا الأولى فهي مسألة: (القول في أولى العاملين بالعمل في التنازع) فقد عارضوا شواهد الكوفيين بشواهد قرآنية، وقد تقدمت الإشارة إليها في استدلال الكوفيين.

وأمَّا الثانية فهي مسألة: (القول في عمل إنَّ المخففة النَّصب في الاسم)^(٣).
وأمَّا الثالثة فهي مسألة: (القول في تقديم الخبر على المبتدأ)، فقد ورد الاستدلال فيها بأمثال العرب وأشعارها^(٤).

وأمَّا الرابعة فهي مسألة: (تقديم الحال على العامل)، فقد استدلُّوا فيها بقول العرب في أمثالهم: (شتَّى تؤوب الحَلْبَةُ)^(٥)، فشتَّى حالٌ مقدَّمة على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر^(٦).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٣٨٠.

(٢) السابق، ص ٤٤٨.

(٣) السابق، ص ١٦٤.

(٤) السابق، ص ٦١.

(٥) مثل يضرب في اختلاف الناس وتفرقهم في الأخلاق، وذلك أنهم يوردون إبلهم وهم مجتمعون فإذا صعدوا تفرقوا، واشتغل كل واحد منهم بحلب ناقته، ثم يؤوب الأول فالأول. ينظر: الميداني، أحمد بن محمد، (ت ٥١٨هـ = ١١٢٤م): مجمع الأمثال. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م، ج ١، ص ٣٥٨.

(٦) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٢١٠.

المبحث الثاني: المسالك العقلية في الاستدلال في مسائل الخلاف

أولاً: القول بالقياس النحوي:

هذا مسلكٌ تكررَ سلوكُهُ في الانتصار لمسائل الخلاف، وهو غالباً ما يثني به المحتجّون في الانتصار لمذاهبهم^(١)؛ لأنّه بمنزلة المسموع في كثرة نظرائه وشيوعه في لسان العرب، ولكنّه ينحطُّ عن رتبته لعدم سماعه بذاته في محلّ النزاع.

وقد تكرّرت عبارة (لنقل والقياس) في معرض الاحتجاج في كثير من المسائل النحوية التي ورد ذكرها في كتب الخلاف النحويّ. فكلّ مذهب نقله الذي يعتدُّ به، وقياسه الذي يراه أئمتّه، وقد يستدلُّ الفرقاء للمسألة ذاتها بالنقل والقياس^(٢).

فما لا يسعده القياس ليس له قوّة في القبول، يقول مكي القيسي عن رأي للفراء في أصل (أناسي) الذي يرى أنّ أصلها (أناسين): ((ولا قياس يسعده في ذلك، ولو جاز لجاز في جمع سرحان أن يقال: سراحي، وذلك لا يُقال))^(٣). ويقول أبو البركات الأنباري في الردّ على رأي الكوفيّين القاضي بجواز جمع ما فيه تاء التانيث جمع مذكر سالماً: ((فإذا كان هذا الجمع مدفوعاً من جهة القياس، معدوماً من جهة النقل فوجب أن لا يجوز))^(٤).

(١) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٥٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٧٤، ٣٨٣، ٤٤٥، ٤١٠، ٤٥٠، ٤٥٤.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ٧٩، ١٢٤، ١٥٨، ١٧١، ١٨٧، ٢١٠، ٢١٢.

(٣) القيسي، مكي بن أبي طالب، (ت ٤٣٧هـ = ١٠٤٦م): مشكل إعراب القرآن. تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، ط ١، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م، ج ٢، ص ٧٦.

(٤) أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ٣٦.

ومن المشهور في كتب النحو أنَّ البصريين قد شددوا في القياس، فلم يُجيزوا بناء القواعد إلَّا على الكثير الشائع، وأنَّ الكوفيين قد توسَّعوا في القياس فأجازوا القياس على القليل والنَّادر^(١).

وفي مسائل الخلاف نوعٌ آخر من القياس، ليس قياساً على مسموع لبناء قاعدة، بل هو قياس الأشباه وإنَّ تباعدت، وهو قياسٌ أقربُ إلى الفلسفة العقلية منه إلى الاحتجاج النحوي، وقد توسَّع فيه الكوفيون أيضاً. وحدُّ هذا القياس: اعتبار الشيء بالشيء بجامع^(٢)، ولا بدَّ له من أربعة أركان، وهي:

الأول: أصلٌ، وهو المقيس عليه.

الثاني: فرعٌ، وهو المقيس.

الثالث: حكم ثابت للمقيس عليه، فيُعطى للمقيس.

الرابع: علَّةٌ جامعةٌ بين المقيس والمقيس عليه، تجلب الحكم للمقيس^(٣).

وقد انتقيتُ من (الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري) عشرَ مسائلٍ خلافيَّةٍ، ورد فيها الاحتجاجُ المباشر بالقياس، وقد كان للكوفيين منها النصيبُ الأوفر، وفيما يأتي إيضاحُ هذا الأمر حسب التفصيل الآتي الذي يتبين فيه نوعُ القياس، والجهة التي قالت به:

من مسائل القياس التي قال بها الكوفيون:

١ - قياس مسألة في باب التنازع على مسألة في باب ظنٍّ وكان بجامع

التقدّم:

(١) ينظر: السيوطي، الاقتراح، ص ١٢٨.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، لمع الأدلة، ص ٩٣.

(٣) ينظر: السيوطي، الاقتراح، ص ٧١.

ذهب الكوفيون إلى أنَّ أولى الفعلين في العمل في باب التنازع هو الفعل الأول، وكان أحد وجوه استدلالهم هو القياسُ على عدم جواز إلغاء عمل العامل المتقدم، والعلة الجامعة هو النقد.

فأفعال (الظن) لا يجوزُ فيها الإلغاء متقدِّمة بخلاف ما إذا وقعت متوسطة أو متأخرة، وكذلك لا يجوزُ إلغاء (كان) إذا كانت متقدِّمة بخلاف ما إذا كانت متوسطة، فبانَ بذلك أثرُ التقدّم في تقوية عملِ الفعل؛ لذا قلنا: بأولوية عمل الفعل المتقدم في باب تنازع الفعلين في العمل^(١).

٢ - قياس مسألة في باب (إنّ) على مسألة في باب (لا النافية) بجامع الحمل على الأضداد:

استدلَّ به الكوفيون على جواز العطف على معمول (إنّ) قبل تمام الخبر، قياساً على جوازه في باب (لا) النافية للجنس، وإنّ كانت (إنّ) للإثبات، و(لا) للنفي؛ لأنَّهم يحملون الشيء على ضده، كما يحملونه على نظيره^(٢).

٣ - قياس مسألة في باب (اسم الفعل) على مسألة في باب (الفعل) بجامع النياية:

ضابط هذا القياس أنَّ ما نابَ عن شيء أخذَ ما يستحقُّه من عملٍ وتصرفٍ، وبهذا القياسُ أجاز الكوفيون أن يتقدّم معمولُ اسمِ الفعل عليه، كما جاز ذلك في الفعل؛ لأنَّه قد قامَ مقام الفعل^(٣).

٤ - قياس مسألة في باب (لكنّ) على مسألة في باب (إنّ) بجامع الزيادة:

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ٧٩.

(٢) السابق، ص ١٥٩.

(٣) السابق، ص ١٨٨.

على أصل الكوفيّين فإنَّ (لكنَّ) هي (إنَّ) زيدت عليها (لا)، و(الكاف)، كما زيدَ عليها (اللّام) و(الهاء) في قول الشاعر:

لَهْنَكِ مِنْ عَبْسِيَّةٍ لَوْ سِمَةٌ عَلَى هَنَوَاتٍ كَاذِبٌ مَنْ يَقُولُهَا^(١)

فالزيادة في الحالتين لا تؤثر على تصرف إنَّ؛ لذا أجازوا زيادة اللام للتوكيد في خبر (لكنَّ)^(٢).

٥ - قياس مسألة في باب (الحال) على مسألة في باب (الصفة) بجامع الإعراب:

بهذا القياس استدلَّ الكوفيُّون على جواز مجيء الماضي حالاً؛ لأنَّ ما جاز أن يقع صفة للنكرة نحو: مررت برجل قاعد، جاز أن يكون حالاً من المعرفة، نحو: مررت بالرجل قاعداً، والفعل الماضي يجوز أن يعرب صفة للنكرة، فجاز أن يقع حالاً من المعرفة^(٣).

٦ - قياس مسائل في باب (المتنى) على بعضها بجامع القلب:

بهذا القياس رجَّح الكوفيُّون أنَّ (كلا، وكلتا) متنيان لفظاً ومعنى؛ لأنَّ الألف فيها كألف المتنى، وذلك لأنَّهما ينقلبان إلى الياء في حالتي النصب والجر عند إضافتهما إلى المضمر، فنقول: رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كلتيهما، فلما

(١) البيت بلا نسبة في عدة مصادر نحوية، ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ١٧١، والسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ = ١٥٠٥م): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ = ١٩٨٨م، ج ١، ص ٤٤٩، والبغدادي، عبدالقادر بن عمر، (ت ١٠٩٣هـ = ١٦٨٢م): خزنة الأدب. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، ج ١٠، ص ٣٤٠.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ١٧١.

(٣) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ٢١٣.

انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف (الزبدان) و(المران) دلّ على أنّ تثنيتهما لفظيّة ومعنويّة^(١).

من مسائل القياس التي قال بها البصريون:

١ - قياس لفظة (اسم) على لفظة (ابن) بجامع الحذف والتعويض:

ضابط هذا القياس أن ما حذف من آخره عوض عنه في أوله، وما حذف من أوله عوض عنه في آخره، ((ألا ترى أنّهم لمّا حذفوا اللّام التي هي الواو من (بنو) عوّضوا عنها الهمزة في أوله فقالوا: ابن.

ولمّا حذفوا الفاء التي هي الواو من (وعد) لم يعوضوا عنها الهمزة في أوله، فلم يقولوا (اعد) وإنّما عوضوا عنها الهاء في آخره، فقالوا: عدة؛ لأنّ القياس فيما حذف منه لامه أن يعوّض بالهمزة في أوله، وفيما حذف منه فاؤه أن يعوّض بالهاء في آخره.

والذي يدلّ على صحّة ذلك أنّه لا يوجد في كلامهم ما حُذِفَ فاؤه وعوّض بالهمزة في أوله، كما لا يوجد في كلامهم ما حُذِفَ لامه وعوّض بالهاء في آخره^(٢).

وبهذا القياس وغيره رجّح البصريون مذهبهم في أنّ الاسم مشتقّ من السموّ لا من الوسم كما هو مذهب الكوفيّين.

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٣٥٥.

(٢) السابق، ص ٧.

٢- قياس جمع المؤنث اللفظي على الحقيقي بجامع التأنيث:

وضابط هذا القياس أن اللفظ إنما يُجمع جمع مذكرٍ سالماً، أي: بالواو والنون رفعاً وبالياء والنون نصباً وجراً، إذا خلا من علامة التأنيث، أمّا ما كان فيه هذه العلامة فقياسه أن يجمع بالألف والتاء.

وبهذا القياس ردّ البصريون مذهب الكوفيّين القائل بجواز جمع ما فيه تاء التأنيث ممّا سمّي به المذكر جمع مذكرٍ سالماً، وقالوا: ((إذا وصفوا المذكر بالمؤنث، فقالوا: رجلٌ ربعةٌ، جمعوه بلا خلافٍ فقالوا: ربعاتٌ، ولم يقولوا: ربعون، والذي يدلُّ على صحّة هذا القياس أنه لم يُسمع من العرب في جمع هذا الاسم أو نحوه إلّا بزيادة الألف والتاء، كقولهم في جمع طلحة: طلحات، وفي جمع هبيرة: هبيرات))^(١).

٣- قياس مسألة في باب التنازع على مسائل في العطف والصفة بجامع

القرب:

ذهب البصريون إلى أن أولى الفعلين بالعمل في باب التنازع هو الثاني، وكان من وجوه استدلالهم على ذلك هو القياس، فقالوا: ((ألا ترى أنهم قالوا: خَشَنَتْ بِصَدْرِهِ وَصَدَرَ زَيْدٌ، فيختارون إعمال الباء في المعطوف، ولا يختارون إعمال الفعل فيه؛ لأنها أقرب إليه منه، وليس في إعماله نقضٌ معنى، فكان إعماله أولى.

(١) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٣٦.

والذي يدلُّ على أنَّ للقربِ أثراً أنَّه قد حملهم القربُ والجوارُ حتَّى قالوا: جُحِرُ ضبُّ خربٍ، فأجروا (خرب) على (ضبِّ)، وهو في الحقيقة صفة للجُحْرِ؛ لأنَّ الضبَّ لا يُوصفُ بالخراب، فهاهنا أولى^(١).

من مرجّحات القياس النحوي في مسائل الخلاف:

١ - القياس على المجمع عليه:

قد تتشابه بعض المسائل النحويّة في نظر النحاة، فينعقد الإجماع على جواز بعضها، ويتطرق الخلاف إلى مثيلاتها، فكان اللجوء إلى المجمع عليه مسلماً من المسالك التي سلكها النحاة في الانتصار لما ذهبوا إليه من آراء، ومن ذلك:

جواز تقديم الخبر:

ذهب الكوفيّون إلى منع تقديم الخبر مفرداً كان أو جملة، وكان حجتهم في ذلك المنع هو تقدم ضمير الاسم على ظاهره، ((ألا ترى أنك إذا قلت: قائم زيد، كان في قائم ضمير زيد؟ وكذلك إذا قلت: أبوه قائم زيد، كانت الهاء في أبوه ضمير زيد، فقد تقدم ضمير الاسم على ظاهره، ولا خلاف أن رتبة ضمير الاسم بعد ظاهره، فوجب أن لا يجوز تقديمه عليه))^(٢).

وكان رد البصريّين على هذا الرأي باللجوء إلى مسألة مماثلة حصل إجماع على جوازها، ((وذلك لأنَّ الخبر، وإن كان متقدماً في اللفظ، إلّا أنَّه متأخر في التقدير، وإذا كان متقدماً لفظاً متأخراً تقديراً فلا اعتبار بهذا التقديم في منع الإضمار؛ ولهذا جاز بالإجماع: ضرب غلامه زيد، إذا جعلت زيدا فاعلاً، وغلامه مفعولاً؛ لأنَّ غلامه، وإن كان متقدماً عليه في اللفظ إلّا أنَّه في تقدير

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٨٢.

(٢) السابق، ص ٤٣.

التأخير، فلم يمنع ذلك من تقديم الضمير، قال الله تعالى: **جَفَّ قَفْقَفٌ** (طه: ٦٧)، فالهاء عائدة إلى موسى، وإن كان متأخراً لفظاً؛ لأن موسى في تقدير التقديم، والضمير في تقدير التأخير^(١).

جواز جمع الاسم المذكر المختوم بالتاء جمع سلامة:

ذهب الكوفيون إلى جواز جمع الاسم المختوم بالتاء جمع سلامة، وكان من المسالك التي احتجوا بها لتأييد مذهبهم هو اللجوء إلى مسألة مشابهة مجمع عليها، يقول أبو البركات الأنباري في بيان مسلكتهم: ((والذي يدل على صحة مذهبنا أنا أجمعنا على أنك لو سميت رجلاً بـ(حمراء)، أو (حبلى) لجمعتة بالواو والنون، فقلت: حمراؤون، وحبلون، ولا خلاف أن ما في آخره ألف التانيث أشد تمكناً في التانيث مما في آخره تاء التانيث؛ لأن ألف التانيث صيغت الكلمة عليها، ولم تخرج الكلمة من تذكير إلى تانيث، وتاء التانيث ما صيغت الكلمة عليها، وأخرجت الكلمة من التذكير إلى التانيث، ولهذا المعنى قام التانيث بالألف في منع الصرف مقام شيئين، بخلاف التانيث بالتاء، فإذا جاز أن يجمع بالواو والنون ما في آخره ألف التانيث، وهي أوكد من التاء، فلأن يجوز ذلك فيما آخره التاء كان ذلك من طريق الأولى^(٢))).

(١) أبو البركات الأنباري، **الإتصاف في مسائل الخلاف**، ص ٦١. قال الباقولي في تفسير هذه الآية: ((أي: أوجس موسى في نفسه، فقدم الكناية على المكنى عليه، كما كان في نية التأخير، فدل على جواز ضرب غلامه زيد)) ينظر: **إعراب القرآن**، ج ٢، ص ٦٧٦.

(٢) السابق، ص ٣٤.

٢- حطّ الفروع عن الأصول في القياس^(١):

بهذا الأصل استدلّ الكوفيون على عدم إعمال (إنّ) وأخواتها في الخبر؛ لأنّ هذه الحروف إنّما نصبت الاسم لأنها أشبهت الفعل، فإذا كانت إنّما عملت لأنها أشبهت الفعل فهي فرع عليه، وإذا كانت فرعاً عليه فهي أضعف منه؛ لأنّ الفرع أبداً يكون أضعف من الأصل، فينبغي أن لا يعمل في الخبر، جرياً على القياس في حطّ الأصول عن الفروع؛ لأنّا لو أعملناه عمله لأدى ذلك إلى التسوية بينهما، وذلك لا يجوز، فوجب أن يكون باقياً على رفعه قبل دخولها^(٢).

وبه أيضاً استدلّ نحاة البصرة على أنّه لا يجوز تقديم معمولات (عليك، ودونك، وعندك) في الإغراء، لأنّ هذه الألفاظ فرعٌ على الفعل في العمل؛ لأنّها إنّما عملت عمله لقيامها مقامه، فينبغي أن لا تتصرف تصرفه، فوجب أن لا يجوز تقديم معمولاتها عليها؛ إذ لو قلنا: إنه يتصرف عملها، ويجوز تقديم معمولاتها عليها لأدى ذلك إلى التسوية بين الفرع والأصل، وذلك لا يجوز؛ لأنّ الفروع أبداً تنحطّ عن درجات الأصول^(٣).

(١) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٦٠، وأبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٥٧. ابن هشام، عبدالله بن يوسف، (ت ٧٦١هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ٦، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٣٢٨، والأشموني، علي بن محمد، (ت نحو ٩٠٠هـ = نحو ١٤٩٥م): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. طبع مع حاشية الصبان، ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، ج ١، ص ٤٢٥.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص ١٥٣، وائتلاف النصر، ص ١٦٧.

(٣) السابق، ص ١٨٨.

٣- الاستئناس بالحمل على النظائر أو النقااض:

الحمل على النقيض^(١):

استئناس غريب قال به النُّحاة في مسائل شتّى من مسائل الخلاف، فقد حملوا على النظر، وهذا له وجه مقبول، ولكنهم أيضاً حملوا على النقيض، ولا أرى له مسوغاً إلا فلسفة منطقية قال بها نحاة، وسلّم بها آخرون.

ويبرر ابن الشجري مثل هذا الحمل بالتناسب، ولو كان بالنقيض، فقال: ((ومن شأن العرب أن تحمل الشيء على الشيء مع حصول أدنى تناسب بينهما، حتى إنهم قد حملوا على أشياء على نقائضها))^(٢).

ومن مسائل هذا الباب:

حمل بناء (كم) التي تفيد التكثير، على بناء (رُبّ) التي تفيد التقليل^(٣).

الحمل على النظر:

مما يؤنس به في مسائل الترجيح مراعاة النظر^(٤)، فالحمل على ما له نظير أولى من الحمل على ما ليس له نظير^(٥).

ومن مسائل هذا الباب:

(١) ينظر: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري: ج ٢، ص ١٣٨.

(٢) السابق، ج ٢، ص ٣٦٨، وينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٥٩.

(٣) ينظر: أبو البركات الأنباري، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٥٧٧هـ = ١١٨١م): البيان في غريب إعراب القرآن. تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، ج ١، ص ١٦٧.

(٤) ينظر: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري: ج ٢، ص ١٣٨، وأبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٢٦٣، والسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ = ١٥٠٥م)، الأشباه والنظائر في النحو. راجعه: د. فائز ترحيني، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٦٩.

(٥) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٧، والسيوطي، الأشباه والنظائر، ج ١، ص ١١٩، الصاعدي، أدلة الاحتجاج العقلية، ص ١٠٦.

إعراب الأسماء الستة:

ذهب الكوفيون إلى أن الأسماء الستة المعتلة، وهي: أبوك، وأخوك، وحموك، وهنوك، وفوك، وذو مال، معربة من مكانين، هما الضمة والواو، والفتحة والألف، والكسرة والياء.

وذهب البصريون إلى أنها معربة من مكان واحد، والألف والواو والياء هي حروف الإعراب^(١).

ومن مسالك البصريين في الانتصار هو أن مذهبهم له نظير في الكلام، يقول أبو البركات الأنباري في بيان هذا المسلك: ((والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه، وفساد ما ذهبوا إليه أن ما ذهبنا إليه له نظير في كلام العرب، فإن كل معرب في كلام العرب ليس له إلّا إعراب واحد، وما ذهبوا إليه ليس له نظير في كلامهم، فإنه ليس في كلامهم معرب له إعرابان، فبان أن ما ذهبنا إليه له نظير في كلامهم، وما ذهبوا إليه لا نظير له في كلامهم، والمصير إلى ما له نظير أولى من المصير إلى ما ليس له نظير))^(٢).

الضمير بعد لولا:

وبهذا الأصل رد البصريون مذهب الكوفيين القائل بأن الضمير بعد (لولا) وضع في موضع المرفوع، وقالوا: ((إنما قلنا: إن المكني في (لولاي) و(لولاك) في موضع جر؛ لأن الياء والكاف لا تكونان علامة مرفوع، والمصير إلى ما لا نظير له في كلامهم محال))^(٣).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٣.

(٢) السابق، ص ١٧، وينظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج ١، ص ٢٢٠.

(٣) السابق، ص ٥٤٨.

ثانياً: الاستئناس بالقياس الفقهي:

مسلك تفرد به الأئمة في الانتصار لرأي نحوي بقياسه على رأي فقهي مع الفارق بين المقيسين، ولكنها رغبة الانتصار بكل وسيلة^(١).

من مسائل هذا الباب:

حذف الفاء مع القول في جواب (أما):

جاء في المغني: ((فيقال لهم: أكفرتم، فحذف القول استغناء عنه بالمقول، فتبعته الفاء في الحذف، وربّ شيء يصح تبعاً ولا يصح استقلالاً، كالحاج عن غيره يصلي ركعتي الطواف، ولو صلى أحد عن غيره ابتداء لم يصحّ على الصحيح، هذا قول الجمهور))^(٢).

ثالثاً: الاستئناس بالقياس الحسي:

دليل أقرب إلى الفلسفة وإظهار الخيال النحوي منه إلى دليل معتبر مقنع، وهو مما استأنس به النحاة في تأييد ما ذهبوا إليه، ولم يأتوا به على أنه مسلك معتبر في الاحتجاج؛ ولكنهم يؤيدون آراءهم بالمحسوس المشاهد لتقريب الرأي المجرد؛ ((لأنّ العلل النحويّة مشبهة بالعلل الحسيّة))^(٣). ومن أنواعه التي وردت في مسائل الخلاف:

(١) وقد عقد ابن جني باباً في الخصائص بعنوان ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية؟ وهذه الموازنة تدل على مسالك المقارنة عند المتقدمين بين علل النحاة وغيره من فقهاء الشريعة. ينظر: الخصائص: ج ١، ص ٤٨.

(٢) ابن هشام، عبدالله بن يوسف، (ت ٧٦١هـ = ١٣٦٠م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٥٦.

(٣) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٢٠٥.

١ - قياس عمل بعض العوامل النحويّة على عمل النار:

استأنس أبو البركات الأنباري بهذا القياس في الانتصار لمذهب من قال إنّ الابتداء يرفع الخبر بوجود المبتدأ لا به، فقال: ((والتحقيق فيه عندي أن يقال: إنّ الابتداء هو العامل في الخبر بواسطة المبتدأ؛ لأنّه لا ينفك عنه ورتبته أن لا يقع إلّا بعده، فالابتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ لا به، كما أن النار تُسخّن الماء بواسطة القدر والحطب، فالتسخين إنّما حصل عند وجودهما لا بهما؛ لأنّ التسخين إنّما حصل بالنار وحدها، فكذلك هاهنا، الابتداء وحده هو العامل في الخبر عند وجود المبتدأ))^(١).

وبهذا القياس أيضاً استأنس لنصرة مذهب من رأى أن العامل في جواب الشرط هو حرف الشرط بوجود فعل الشرط لا معه، فقال: ((والتحقيق فيه عندي أن يقال: إنّ (إن) هو العامل في جواب الشرط بواسطة فعل الشرط؛ لأنّه لا ينفك عنه، فحرف الشرط يعمل في جواب الشرط عند وجود فعل الشرط لا به، كما أن النار تُسخّن الماء بواسطة القدر والحطب، فالتسخين إنّما حصل عند وجودهما لا بهما؛ لأنّ التسخين إنّما حصل بالنار وحدها، فكذلك هاهنا، (إن) هو العامل في جواب الشرط عند وجود فعل الشرط، لا أنّه عامل معه))^(٢).

(١) أبو البركات الأنباري، الإنباف في مسائل الخلاف، ص ٤٢، وينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٣٢.

(٢) السابق، ص ٤٨٥.

٢ - قياس المفردات المركبة على الأدوية المركبة:

استأنس أبو البركات الأنباري بهذا القياس في ردّ مذهب الفراء القائل بأنّ (إلا) مركبة من (إنّ)، و(لا)، ((فلماً ركّبوا (إنّ) مع (لا) أعملوها عملين، عمل (إنّ) فنصبوا بها في الإيجاب، وعمل (لا) فجعلوها عطفاً في النفي))^(١). والذي يبطل هذا المذهب أنّ ((كلّ حرفين ركّب أحدهما مع الآخر فإنّه يبطل حكم كلّ واحد منهما عمّا كان عليه في حالة الإفراد، ويحدث لهما بالتركيب حكم آخر، وصار هذا بمنزلة الأدوية المركبة من أشياء مختلفة، فإنّه يبطل حكم كلّ واحد منهما عمّا كان عليه في حالة الإفراد، ويحدث لها بالتركيب حكم آخر))^(٢).

٣ - قياس المصدر على الفضة الخام:

فالمصدر عند نحاة البصرة أشبه بالمادة الخام، وما تفرع عنه من المشتقات أشبه بالصور المتنوعة المتشكلة من تلك المادة، ومما يستأنس به لتقريب هذا الأمر الفضة الخام، يقول العكبري: ((وقد مثّل ذلك بالנקرة من الفضة، فإنها كالمادة المجردة عن الصورة، فالفضة من حيث هي فضة لا صورة لها، فإذا صيغ منها: جام، أو مرآة، أو قارورة كانت تلك الصورة مادة مخصوصة فهي فرع على المادة المجردة، كذلك الفعل هو دليل الحدث وغيره، والمصدر دليل الحدث وحده، فبهذا يتحقق كون الفعل فرعاً لهذا الأصل))^(٣).

(١) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٢٢٦، وينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٤٠٠.

(٢) السابق، ص ٢٣٠، وينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٩٤.

(٣) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ١٤٥.

٤ - قياس تقدم المعمول على تقدم الغلام على سيده:

ذهب البصريُّون إلى جواز تقديم الخبر على المبتدأ، وقد وردت شواهد فصيحة بتقديم معمول الخبر، فاستنبطوا منها جواز تقدم الخبر؛ واستأنسوا بقياس حسيّ يعضدهم في الاستدلال؛ إذ لو جاز تقديم المعمول دون تقديم العامل لكان في ذلك خروج عن الحكمة، ((ومثال ذلك أن يجلس الغلام حيث لا يجلس السيد، فتجعل مرتبته فوق مرتبة السيد، وذلك عدول عن الحكمة وخروج عن قضية المعدلة، وإذا ثبت بهذا جواز تقديم معمول خبر المبتدأ على المبتدأ، فلأن يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه أولى؛ لأنَّ رتبة العامل قبل رتبة المعمول))^(١).

المبحث الثالث: مسالك الحجاج بالفكر النحويّ في مسائل الخلاف

ويندرج تحت هذا العنوان ثلاثة مسالك، أولها مسلك الحجاج بالأصول المفترضة، وثانيها: مسلك الحجاج بالقواعد المستنبطة، وثالثها: مسلك الحجاج بالعلل المعتمدة، وفيما يأتي تفصيل هذه المسالك^(٢):

المسلك الأول: الحجاج بالأصول المفترضة:

جرى غالب كلام العرب على سنن مشهور يدركه من تأمل كلامهم، والنحاة أكثر الناس اهتماماً وتأملاً لما قاله العرب؛ لذا بانّت لهم أصول مفترضة متصورة اعتبروها في الاحتجاج في المسائل التي جرى فيها الخلاف بينهم.

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٦٣.

(٢) عنيت بالأصول في هذا المبحث ما تصوره النحاة عن بعض المفردات والتراكيب اللغوية، وهذا التصور قد يبنى على أسس منطقية واجتهادات خاصة لا علاقة لها بالواقع اللغوي المستعمل بل قد يشهد بما لا يوافقها في بعض الأحيان، أما القواعد فقد عنيت بها ما بناه النحاة على أساس استقراءهم للواقع اللغوي لتلك المفردات والتراكيب، أما العلل فهي اجتهادات النحاة لتفسير استعمال العرب في كلامهم.

فمن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل، ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل^(١)، لذا لا يسوغ العدول عن الأصل ما وُجد عنه مندوحة^(٢)، وبذا كان التمسك بالأصل دليلاً معتبراً عند النحاة.

أولاً: من أصول النظرية النحوية التي رآها البصريون:

الأصل الأول: الأصل في كل حرف ألا يدل إلّا على ما وضع له:

استدلّ البصريون بهذا الأصل على أنّ (أو) لا تأتي بمعنى الواو، ومعنى بل، وقالوا: ((الأصل في أو أن تكون لأحد الشئيين على الإبهام، بخلاف الواو و بل؛ لأنّ الواو معناها الجمع بين الشئيين، وبل معناها الإضراب، وكلاهما مخالف لمعنى (أو)، والأصل في كل حرف أن لا يدلّ إلّا على ما وُضع له، ولا يدلّ على معنى حرف آخر، فنحن تمسكنا بالأصل، ومن تمسك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل، ومن عدل عن الأصل بقي مرتتها بإقامة الدليل، ولا دليل على صحة ما ادعوه))^(٣).

الأصل الثاني: الأصل في حروف الجر ألا تعمل مع الحذف:

وبهذا الأصل استدلّ البصريون على عدم إعمال حرف القسم محذوفاً، وقالوا: ((أجمعنا على أنّ الأصل في حروف الجر ألا تعمل مع الحذف، وإنّما تعمل مع الحذف في بعض المواضع إذا كان لها عوض، ولم يوجد هاهنا، فبقينا فيما عداه على الأصل، والتمسك بالأصل تمسك باستصحاب الحال، وهو من الأدلة

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١، ٢٥٧-٢٥٨، ٣٠٠، ٣٨٤، والنجار، د. لطيفة إبراهيم: منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، ط ١، دار العالم العربي، دبي، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م، ص ٨٧.

(٢) ينظر: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٣) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٣٨٤، وينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٤٠٣.

المعتبرة، ويخرج على هذا الجر إذا دخلت ألف الاستفهام وها التثنية، نحو: الله ما فعل، وها الله ما فعلت، لأنَّ ألف الاستفهام وها صارتا عوضاً عن حرف القسم^(١).

وبه استدلوا أيضاً على أنَّ الفعل المضارع المنصوب بعد الفاء منصوب بـ(أنَّ) المقدرة، ((وذلك لأنَّ الأصل في الفاء أن يكون حرف عطف، والأصل في حروف العطف أن لا تعمل))^(٢).

الأصل الثالث: الأصل في حروف العطف ألّا تعمل:

استدلَّ البصريُّون بهذا الأصل للتدليل على أنَّ الفعل الواقع بعد واو المعية منصوب بـ(أن) مقدرة، وقالوا: ((إنما قلنا: إنه منصوب بتقدير أن؛ وذلك لأنَّ الأصل في الواو أن تكون حرف عطف، والأصل في حروف العطف أن لا تعمل؛ لأنها لا تختص؛ لأنها تدخل تارة على الاسم وتارة على الفعل))^(٣).

الأصل الرابع: الأصل في (كم) الإفراد:

استدلَّ البصريُّون بهذا الأصل لردِّ مذهب الكوفيِّين القائل بأنَّ (كم) مركبة من (الكاف، وما)، وقالوا: ((إنما قلنا إنها مفردة؛ لأنَّ الأصل فيها هو الإفراد، والتركيب فرع. ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل، ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة))^(٤).

(١) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٣٣٦.

(٢) السابق، ص ٤٤٦.

(٣) السابق، ص ٤٤٣.

(٤) السابق، ص ٢٥٧-٢٥٨، وينظر: الزبيدي، انتلاف النصره، ص ٤١.

الأصل الخامس: الأصل في العمل للأفعال^(١):

استدلَّ البصريُّون بهذا الأصل في تقدير العامل في الظرف، فقدره معظم البصريِّين بـ(استقر)، ووجهه أنَّ ((الأصل عمل الفعل في الظرف وغيره، ولفظ النصب باق، وهو عمل، ولا بد للعمل من عامل، والعامل في الأصل هو الفعل، وقد صح معناه هاهنا، فوجب أن يكون هو العامل))^(٢).

واستدلوا به أيضاً على جواز تقديم معمول ليس عليها، وقالوا: ((والذي يدل على ذلك أنَّ الأصل في العمل للأفعال، وهي فعل بدليل إلحاق الضمائر وتاء التانيث الساكنة بها، وهي تعمل في الأسماء المعرفة والنكرة والظاهرة والمضمرة كالأفعال المتصرفة فوجب أن يجوز تقديم معمولها عليها))^(٣).

الأصل السادس: الأصل في الأسماء ألا تعمل^(٤):

استدلَّ البصريُّون بهذا الأصل لردِّ مذهب الكوفيِّين القائل بأنَّ العامل في المفعول هو الفعل والفاعل، وقالوا: ((إنما قلنا إن الناصب للمفعول هو الفعل وحده، دون الفاعل؛ وذلك لأننا أجمعنا على أنَّ الفعل له تأثير في العمل، أمَّا الفاعل فلا تأثير له في العمل؛ لأنه اسم؛ والأصل في الأسماء أن لا تعمل، وهو باق على أصله في الاسمية، فوجب أن لا يكون له تأثير في العمل، وإضافة ما لا تأثير له في العمل إلى ما له تأثير ينبغي أن يكون لا تأثير له))^(٥).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٤٢، وابن هشام، مغني اللبيب، ج ٢، ص ٤٤٧، والناغوي، حروف الجر، ص ١٢٤.

(٢) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٣٧٧، وينظر: الناغوي، حروف الجر، ص ١٢٤.

(٣) السابق، ص ١٤٠.

(٤) السابق، ص ٤٢، ٧٥.

(٥) السابق، ص ٧٥.

وبهذا الأصل أيضاً ضعف رأي من ذهب إلى أن العامل في الخبر هو الابتداء والمبتدأ؛ ((وذلك لأنَّ المبتدأ اسم، والأصل في الأسماء ألا تعمل))^(١).

الأصل السابع: الأصل في الأسماء الصرف:

استدلَّ البصريُّون بهذا الأصل في رد مذهب الكوفيِّين القائل بجواز ترك صرف ما لا ينصرف، وقالوا ((إنما قلنا: إنه لا يجوز ترك صرف ما ينصرف؛ لأنَّ الأصل في الأسماء الصرف، فلو أننا جوزنا ترك صرف ما ينصرف لأدَّى ذلك إلى ردِّه عن الأصل إلى غير أصل، ولكان أيضاً يؤدِّي إلى أن يلتبس ما ينصرف بما لا ينصرف))^(٢).

ثانياً: من أصول النظرية النحويَّة التي رآها الكوفيُّون:

الأصل الأول: الأصل في الحروف المشبهة ألا تعمل:

استدلَّ الكوفيُّون بهذا الأصل للتدليل على أنَّ (إنَّ وأخواتها) لا ترفع الخبر، واحتجوا ((بأنَّ قالوا أجمعنا على أنَّ الأصل في هذه الأحرف ألا تنصب الاسم، وإنما نصبته لأنها أشبهت الفعل، فإذا كانت إنما عملت لأنها أشبهت الفعل فهي فرع عليه، وإذا كانت فرعاً عليه فهي أضعف منه؛ لأنَّ الفرع أبداً يكون أضعف من الأصل، فينبغي أن لا يعمل في الخبر جرياً على القياس في حطِّ الفروع عن الأصول؛ لأنَّا لو أعملناه عمله لأدَّى ذلك إلى التسوية بينهما، وذلك لا يجوز، فوجب أن يكون باقياً على رفعه قبل دخولها))^(٣).

(١) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٤٢.

(٢) السابق، ص ٤٠٥، وينظر: رضي الدين الأسترابادي، شرح الرضي على الكافية، ج ١، ص ١٧٣.

(٣) السابق، ص ١٥٣.

الأصل الثاني: الأصل في (لكنّ): (إنّ)، وزيدت عليها (لا)، و(الكاف):

استدلّ الكوفيّون بهذا الأصل للتدليل على جواز زيادة اللام في خبر (لكنّ)، لأنّها في الأصل (إنّ) زيدت عليها (لا)، فلمّا جاز زيادتها في خبر (إنّ) جاز زيادتها فيما هي فرعه وهي (لكنّ)؛ لأنّ (لكنّ) عندهم فرع، و(إنّ) أصل^(١).

الأصل الثالث: الأصل في (أمامك زيد): حلّ أمامك زيد:

استدلّ الكوفيّون بهذا الأصل للتدليل على أنّ الاسم المرفوع بعد الظرف يرتفع بالظرف ذاته لا بالابتداء كما هو مذهب البصريين، وإنّما حذف الفعل واكتفي بالظرف منه، فارتفع الاسم به كما يرتفع بالفعل^(٢).

الأصل الرابع: الأصل في (ما زيد قائماً): ما زيد بقائم:

استدلّ الكوفيّون بهذا الأصل للتدليل على أنّ (ما) الحجازية لا تعمل في الخبر، وإنّما هو منصوب بنزع الخافض، وقالوا: ((إنّما أعملها أهل الحجاز لأنّهم شبهوها بليس من جهة المعنى، وهو شبه ضعيف فلم يقوّ على العمل في الخبر، كما عملت ليس؛ لأنّ ليس فعل وما حرف، والحرف أضعف من الفعل، فبطل أن يكون منصوباً بـ(ما)، ووجب أن يكون منصوباً بحذف حرف الخفض؛ لأنّ الأصل: ما زيد بقائم، فلمّا حذف حرف الخفض وجب أن يكون منصوباً؛ لأنّ الصفات منتصبات الأنفس، فلمّا ذهبت أبقت خلفاً منها))^(٣).

الأصل الخامس: الأصل في (اللهم): يا الله أمّا بخير:

استدلّ الكوفيّون بهذا الأصل للتدليل على أنّ الميم المشدّدة ليست عوضاً من يا النداء، وقالوا: ((إنّما قلنا ذلك لأنّ الأصل فيه يا الله أمّا بخير إلّا أنّه لما كثر في

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ١٧١.

(٢) السابق، ص ٤٨.

(٣) السابق، ص ١٤٥.

كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا بعض الكلام طلباً للخفة، والحذف في كلام العرب لطلب الخفة كثيراً^(١).

الأصل السادس: الأصل في الجزاء أن يكون مقدماً:

استدلّ الكوفيون بهذا الأصل للتدليل على جواز تقديم المنصوب بالجزاء، وقالوا ((إنما قلنا: إنه يجوز تقديم المنصوب بالجزاء على حرف الشرط؛ لأنّ الأصل في الجزاء أن يكون مقدماً على إن، كقولك: أضرب إن تضرب، وكان ينبغي أن يكون مرفوعاً إلّا أنه لما أخر انجزم بالجوار))^(٢).

الأصل السابع: الأصل في الأمر للمواجهة أن يكون باللام:

استدلّ الكوفيون بهذا الأصل للتدليل على أنّ فعل الأمر معرب مجزوم، وقالوا: ((ثبت أنّ الأصل في الأمر للمواجهة في نحو (افعل) أن يكون باللام، نحو: لتفعل، كالأمر للغائب إلّا أنه لما كثر استعمال الأمر للمواجهة في كلامهم، وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استنقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال، فحذفوها مع حرف المضارعة طلباً للتخفيف... وذلك لا يكون مزيلاً لها عن أصلها ولا مبطلاً لعملها))^(٣).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٢٩٠، والعكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٤٤٩.

(٢) السابق، ص ٤٩٦، وينظر: الزبيدي، ائتلاف النصر، ص ١٣٠.

(٣) السابق، ص ٤١٥.

المسلك الثاني: الحجاج بالقواعد المستنبطة:**أولاً: من القواعد النحويّة التي رآها البصريّون:****القاعدة الأولى: الحروف غير المختصّة لا تعمل:**

استدلّ البصريّون بهذه القاعدة للتدليل على أنّ (واو) ربّ لا تعمل الخفض، وإنّما العمل لـ(ربّ) مقدرة بعدها، وذلك لأنّ الواو حرف عطف، وحرف العطف لا يعمل شيئاً؛ لأنّ الحرف إنّما يعمل إذا كان مختصّاً، وحرف العطف غير مختص، فوجب أن يكون غير عامل، وإذا لم يكن عاملاً وجب أن يكون العامل (ربّ) مقدرة^(١).

القاعدة الثانية: لا يُجمع بين علامتي تعريف:

استدلّ البصريّون بهذه القاعدة للتدليل على أنّ الألف واللام لا تدخل إلّا على أوّل العدد المركب في التعريف، وقالوا: ((إنّما قلنا: إنّ لا يجوز دخول الألف واللام إلّا على الاسم الأول؛ لأنّ الاسمين لما رُكّب أحدهما مع الآخر تنزلاً منزلة اسم واحد، وإذا تنزلاً منزلة اسم واحد فينبغي أن لا يجمع فيه بين علامتي تعريف، وأنّ يلحق الاسم الأول منهما؛ لأنّ الثاني يتنزّل منزلة بعض حروفه، وكذلك عرفت العرب الاسم المركب))^(٢).

واستدلوا بها أيضاً على عدم جواز نداء ما فيه (أل) مباشرة؛ لأنّ الألف واللام تفيد التعريف، و(يا) في النداء تفيد التعريف، وتعريفان في كلمة لا يجتمعان^(٣).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإتيان في مسائل الخلاف، ص ٣٢٣، والزبيدي، انتلاف النصرية، ص ١٤٥.

(٢) السابق، ص ٢٧٠، وينظر: الزبيدي، انتلاف النصرية، ص ٤٤.

(٣) السابق، ص ٢٨٧، والعكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٤٤٤، والزبيدي، انتلاف النصرية، ص ٤٦.

القاعدة الثالثة: عوامل الأسماء لا تكون عوامل الأفعال:

احتج بهذا الأصل نحاة البصرة على أن حتى لا تكون حرف نصب، كما هو مذهب نحاة الكوفة، وقالوا: ((إنما قلنا: إنَّ الناصب للفعل (أنَّ) المقدرة دون حتَّى أنا أجمعنا على أن حتَّى من عوامل الأسماء، وإذا كانت من عوامل الأسماء فلا يجوز أن تجعل من عوامل الأفعال؛ لأنَّ عوامل الأسماء لا تكون عوامل الأفعال، كما أنَّ عوامل الأفعال لا تكون عوامل الأسماء))^(١).

القاعدة الرابعة: العامل لا يدخل على عامل(٢):

استدل البصريون بهذه القاعدة في ردِّ مذهب الكوفيين القائل بأنَّ الظرف يرفع الاسم الواقع بعده، وقالوا: لو كان الظرف عاملاً ((لما جاز أن تدخل عليه العوامل، فنقول: إنَّ أمانك زيدا، وظننت خلفك عمراً وما أشبه ذلك؛ لأنَّ عاملاً لا يدخل على عامل، فلو كان الظرف رافعاً لزيد لما جاز ذلك، ولما كان العامل يتعداه إلى الاسم ويبطل عمله))^(٣).

وبهذه القاعدة أيضاً ردَّ مذهب من جعل المبتدأ عاملاً في الخبر، وهو مذهب الكوفيين وبعض البصريين، وقالوا: ((إن العامل في الشيء ما دام موجوداً لا يدخل عليه عامل غيره، لأنَّ عاملاً لا يدخل على عامل، فلما جاز أن يقال: كان زيداً أخاك... بطل أن يكون أحدهما عاملاً في الآخر))^(٤).

(١) أبو البركات الأنباري، الإتيان في مسائل الخلاف، ص ٤٧٦، وينظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج ١، ص ٢٩٤، وائتلاف النصرة، ص ١٥٤.

(٢) السابق، ص ٤٤، ٤٩.

(٣) السابق، ص ٤٩.

(٤) السابق، ص ٤٤.

القاعدة الخامسة: لا يعمل العامل في معمولين:

ردّ البصريُّون بهذه القاعدة مذهب الكوفيِّين القائل بأنَّ الاسم المشغول عنه بالضمير، في نحو: زيدا ضربته، منصوب بالفعل المتصل بالهاء الواقع عليها. قال عبداللطيف الزبيدي: ((وما قاله الكوفيُّون مردود بأنَّ العامل لا يعملُ بمعمولين))^(١).

القاعدة السادسة: المعمول لا يقع إلّا حيث يقع العامل:

استدلَّ نحاة البصرة بهذه القاعدة لردّ مذهب الكوفيِّين القائل بعدم جواز تقديم الخبر على المبتدأ، فقد جاء عن العرب شواهد فصيحة بتقديم معمول الخبر على المبتدأ، وذلك يؤذن بجواز تقديم الخبر، ((لأنَّ المعمول لا يقع إلّا حيث يقع العامل؛ لأنَّ المعمول تبع للعامل، فلا يفوقه في التصرف، بل أجمل أحواله أن يقع موقعه؛ إذ لو قلنا: إنه يقع حيث لا يقع العامل لقدمنا التابع على المتبوع، ومثال ذلك أن يجلس الغلام حيث لا يجلس السيد، فتجعل مرتبته فوق مرتبة السيد، وذلك عدول عن الحكمة وخروج عن قضية المعدلة، وإذا ثبت بهذا جواز تقديم معمول خبر المبتدأ على المبتدأ، فلأنَّ يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه أولى؛ لأنَّ رتبة العامل قبل رتبة المعمول))^(٢).

استدلوا بها أيضاً للتدليل على جواز تقديم خبر ليس عليها، وشاهدهم على ذلك قوله تعالى: (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ) (هود: ٨)، ووجه الدليل من هذه الآية أن قُدِّمَ معمول خبر (ليس) على (ليس)، فإن قوله: (يوم يأتيهم) متعلق

(١) الزبيدي، ائتلاف النصرة، ص ١١٣.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٦٣.

بـ(مصرف)، وقد قدمه على (ليس)^(١)، ولو لم يجز تقديم خبر (ليس) على (ليس) لما جاز تقديم معمول خبرها عليها؛ لأنَّ المعمول لا يقع إلَّا حيث يقع العامل^(٢).

القاعدة السابعة: لا اعتبار بالتقديم إذا كان في تقدير التأخير:

استدلَّ البصريُّون بهذه القاعدة لردِّ مذهب الكوفيِّين المانع من تقديم الخبر بحجة تقديم الضمير على الظاهر، وقالوا عن احتجاجهم: ((هذا فاسد، وذلك لأنَّ الخبر، وإن كان مقدماً في اللفظ إلَّا أنَّه متأخر في التقدير، وإذا كان مقدماً لفظاً متأخراً تقديرًا فلا اعتبار بهذا التقديم في منع الإضمار، ولهذا جاز بالإجماع: ضرب غلامه زيد، إذا جعلت زيدا فاعلاً، وغلامه مفعولاً؛ لأنَّ غلامه، وإن كان متقدماً عليه في اللفظ، إلَّا أنَّه في تقدير التأخير، فلم يمنع ذلك من تقديم الضمير))^(٣).

ثانياً: من القواعد النحويَّة التي رآها الكوفيون:

القاعدة الأولى: عوامل الأفعال لا تكون عوامل الأسماء:

احتج بهذه القاعدة نحاة الكوفة على أنَّ (كي) لا تكون إلَّا حرف نصب، ولا يجوز أن تكون حرف خفض، كما هو مذهب البصريين، وقالوا: ((إنما قلنا: إنَّ (كي) لا يجوز أن تكون حرف خفض؛ لأنَّ (كي) من عوامل الأفعال، وما كان

(١) قال الباقر: ((التقدير: ألا ليس العذاب مصروفاً عنهم يوم يأتيهم)). ينظر: إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٧٧.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإتيان في مسائل الخلاف، ص ١٤٠، والزبيدي، انتلاف النصر، ص ١٢٣.

(٣) السابق، ص ٦٣، وينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٤٨.

من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف خفض؛ لأنَّه من عوامل الأسماء، وعوامل الأفعال لا يجوز أن تكون من عوامل الأسماء))^(١).

القاعدة الثانية: لا يجوز الابتداء بحرف العطف:

استدلَّ الكوفيُّون بهذه القاعدة للتدليل على أنَّ (واو) ربّ تعمل في النكرة الخفض بنفسها، وأنها ليست عاطفة؛ وقالوا: إنها ((لما نابت عن ربّ عملت الخفض، كما تعمل ربّ، والذي يدل على أنها ليست عاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به، ونحن نرى الشاعر يبتدئ بالواو في أول القصيدة كقوله^(٢):

وبلَدٍ عاميةٍ أعمَّأوه

وكقول الآخر^(٣):

وبلَدَةٍ ليسَ بها أنيسُ

وما أشبه ذلك فدل على أنها ليست عاطفة))^(٤).

القاعدة الثالثة: إنّما يتصرف الفعل في عمله إذا تصرف في نفسه:

استدلَّ الكوفيُّون بهذه القاعدة للتدليل على منع تقديم خبر ليس عليها، وذلك لأنَّ (ليس) فعل غير متصرف، فلا يجري مجرى الفعل المتصرف، فوجب أن لا يجوز تقديم خبره عليه، كما كان ذلك في الفعل المتصرف؛ لأنَّ الفعل إنّما

(١) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٤٥٥.

(٢) الرجز لرؤية، ينظر: رؤية بن العجاج، (ت ١٤٥هـ = ٧٦٢م): الديوان. تحقيق: وليم بن الورد، ط ٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣.

(٣) الرجز لجران العود، ورواية الديوان:

الذئب أو ذو لبد هموس بسابساً ليس بها أنيس

ينظر: أبو جعفر، محمد بن حبيب، (٢٤٥هـ = ٨٦٠م)، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، (٢٧٥هـ = ٨٨٨م): ديوان جران العود النميري. تحقيق وتذييل: دنوري حمودي القيسي، منشورات

وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد، ١٩٨٢م، ص ٩٧.

(٤) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٣٢٢.

يتصرف عمله إذا كان متصرفاً في نفسه، فأمّا إذا كان غير متصرف في نفسه، فينبغي ألا يتصرف في عمله^(١).

القاعدة الرابعة: الضمير لا يتقدم على الظاهر:

استدلّ الكوفيون بهذه القاعدة للتدليل على عدم جواز تقديم الخبر، مفرداً كان أو جملة، على المبتدأ؛ لأنه يؤدي إلى تقديم ضمير الاسم على ظاهره، ألا ترى أنك: إذا قلت: قائم زيد، كان في قائم ضمير زيد، وقد تقدم عليه، ولا خلاف أن رتبة ضمير الاسم بعد ظاهره، فوجب ألا يجوز تقديمه^(٢).

وبها أيضاً منع الكوفيون تقديم الحال على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر، نحو: ركباً جاء زيد، وذلك لأنه يؤدي إلى تقديم المضمّر على المظهر وذلك لا يجوز^(٣).

القاعدة الخامسة: التصغير من خصائص الأسماء^(٤):

استدلّ نحاة الكوفة بهذه القاعدة للتدليل على أن (أفعل) في التعجب اسم، لأنه يصغر، والتصغير من خصائص الأسماء، قال الشاعر^(٥):

يَا مَا أُمْلِحَ غَزَلَانَا شَدَنَّا لَنَا مِنْ هَوْلِيَاكُنَّ الضَّالِّ وَالسَّمْرِ
فـ(أُمْلِحَ) تصغير (أَمْلَحَ)، وقد جاء ذلك كثيراً في الشعر وسعة الكلام^(٦).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٣٨.

(٢) السابق، ص ٦١.

(٣) السابق، ص ٢١٠.

(٤) السابق، ص ٤٦، ٦٤.

(٥) اختلف في نسبته فقيل: للعرجي أو للمجنون أو لذي الرمة، وغيرهم. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج ١، ص ٩٣.

(٦) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٠٥.

القاعدة السادسة: التصرف من خصائص الأفعال:

استدلَّ الكوفيُّون بهذه القاعدة للتدليل على أنَّ (أفعل) في التعجب اسم، وقالوا: ((الدليل على أنه اسم أنه جامد لا يتصرف، ولو كان فعلاً لوجب أن يتصرف؛ لأنَّ التصرف من خصائص الأفعال، فلما لم يتصرف وكان جامداً وجب أن يلحق بالأسماء))^(١).

وبهذه القاعدة احتجوا أيضاً على اسمية (نعم)، و(بئس)^(٢).

القاعدة السابعة: حروف الحروف كلها أصلية:

استدلَّ الكوفيُّون بهذه القاعدة لردِّ مذهب البصريِّين القائل بأنَّ اللام الأولى في (لعل) زائدة، وقالوا: ((إنَّما قلنا: إنَّ اللام أصلية؛ لأنَّ لعل حرف، وحروف الحروف كلها أصلية؛ لأنَّ حروف الزيادة التي هي: الهمزة، والألف، والياء، والواو، والميم، والتاء، والنون، والسين، والهاء، واللام، والتي يجمعها قولك: (اليوم تنساه)، و(لا أنسيتموه)، و(سألتمونيها) إنما تختص بالأسماء والأفعال، فأما الحروف فلا يدخلها شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية في كلِّ مكان على كلِّ حال))^(٣).

(١) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٠٥.

(٢) السابق، ص ٩٠.

(٣) السابق، ص ١٧٩، وينظر: الزبيدي، ائتلاف النصرة، ص ١٧٣.

المسلك الثالث: الحجاج بالعلل المعتمدة:

لقد تشكّلت مجموعة من العلل التي رأى فيها النحاة أنّ العرب اعتبروها في كلامهم، فاستدلوا بها في مسائل الخلاف النحويّ بينهم، وفيما يأتي بعضُ العلل التي احتج بها الفريقان في ما جرى بينهم من مسائل الخلاف^(١):

أولاً: كثرة الاستعمال:

كثرة الاستعمال قد اتخذها اللغويون دليلاً على الحقيقة، جاء في الإرشاد: ((دليل الحقيقة أكثرية الاستعمال))^(٢).

كما أن الكثرة والاطراد قد اتخذهما النحاة مقياساً لتقدير المحذوفات في كثير من التراكيب^(٣).

وكثره الاستعمال أيضاً علّة مرجّحة شهرها النحاة بوجه الأساليب التي رأوا أنها قليلة في الاستعمال، وهي من الوجوه التي يرجح بها في مسائل الخلاف. وقد اتخذ العكبري علّة كثرة الاستعمال وجهاً مقدماً في ترجيح رأي البصريين القائل بزيادة اللام الأولى في (لعل). جاء في التبيين: ((وجه قول الأولين من ثلاثة أوجه: أحدها: أنّها قد استعملت بغير لام كثيراً في أشعارهم...))^(٤).

ثانياً: حرمة التصدر:

للتصدر حرمة فلا يذهب بها سدى، فما تصدّر في الكلام فهو أولى بالأصالة من غيره، ولذا رجح بعضهم أنّ الزائد من حرفي العطف في نحو: (فثم)، هو

(١) هناك علل أشهر من العلل التي اخترتها، ولكنني أثرت سبيل الاستنباط للعلل التي ضمنتها بحثي فأعرضت عن المشهور منها، واجتهد في اختيار العنوان المناسب للعلل التي ذكرتها استنباطاً مما كتبه النحاة في تلك المسائل.

(٢) الكيشي، الإرشاد إلى علم الإعراب، ص ٢٦١.

(٣) ينظر: الناعوي، حروف الجر، ص ١٢٣.

(٤) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٣٥٩.

الثاني لحرمة التصدر، جاء في الأشباه: ((فثم... قال صاحب البسيط: زاد الفاء مع ثم، وقيل: ثم هي الزائدة دون الفاء لحرمة التصدر))^(١).
وقد استدللّ نحاة البصرة بهذه العلة على منع تقديم خبر (ما زال) عليها؛ لأنّ (ما) نافية، والنفي له صدر الكلام، فجرى مجرى حرف الاستفهام في أن له صدر الكلام^(٢).

وبهذه العلة أيضاً استدلّوا على منع تقديم معمول الشرط والجزاء على حرف الشرط؛ لأنّ الشرط بمنزلة الاستفهام، والاستفهام له صدر الكلام^(٣).
ثالثاً: قلّة الإضمار:

تقليل المقدر ما أمكن من المرجحات في مسائل الخلاف، فكلما قلّ الإضمار كان أحسن^(٤).

قال أبو البركات الأنباري راداً رأي الكوفيّين في توجه نصب (ملة إبراهيم): ((وزعم الكوفيّون أنّ تقديره: بل نكون أهل ملة إبراهيم، والوجه الأول، نصبه بفعل مقدر، أوجه الوجهين؛ لأنّك تفتقر في هذا الوجه إلى إضمار بعد إضمار، إضمار الفعل، وإضمار المضاف، والإضمار على هذا الحد من المتناولات البعيدة، فلا يصار إليها ما وجد عنها مندوحة))^(٥).

(١) السيوطي، الأشباه والنظائر، ج ١، ص ٧١.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٣٦.

(٣) السابق، ص ٤٩٧.

(٤) ينظر: القيسي، مشكل إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٨٥، وأبو البركات الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج ١، ص ٤٧، ٣١٥، وج ٢، ص ١١٧، والعكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٥٠، وابن يعيش، يعيش بن علي، (ت ٦٤٣هـ = ١٢٤٥م): شرح المفصل. عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج ١، ص ٩٠.

(٥) أبو البركات الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج ١، ص ١٢٤.

رابعاً: قلّة التغيّر:

علّة مرجحة في مسائل الخلاف، فما يؤدي إلى قلّة التغيّر أولى ممّا يؤدي إلى تغيّر كثير، قال أبو البركات الأنباري: ((المصير إلى ما يؤدي إلى تغيّر واحد أولى من المصير إلى ما يؤدي إلى تغيّرين))^(١). وبهذه العلّة رُجِحَ مذهب البصريين القائل بأنّ لولا حرف جر، وذلك لأنّ ((التغير في اعتبار لولا حرف جر تغير واحد... وأما التغير في الضمير المتصل بعد لولا، فإنّه تلزم فيه تغيرات كثيرة))^(٢).

خامساً: طلب الخفة:

استدلّ الكوفيون بهذه العلّة في عدة مسائل، منها:

١ - حذف الفعل في النداء:

قال الكوفيون: إنّ الأصل في (اللهم): يا الله أمّنا بخير، إلّا أنّه لما كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا بعض الكلام طلباً للخفة، والحذف في كلام العرب لطلب الخفة كثير^(٣).

٢ - حذف اللّام من فعل الأمر:

أصل فعل الأمر في المواجهة عندهم أن يكون باللام كالغائب، إلّا أنّه لما كثر استعمال الأمر للمواجهة في كلامهم أكثر من الغائب استتقلوا مجيء اللّام فيه، مع كثرة الاستعمال، فحذفوها طلباً للخفة^(٤).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج ١، ص ٤٧.

(٢) الناعوي، حروف الجر، ص ٥٩، وينظر: أبو البركات الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٨٩.

(٣) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ٢٩٠.

(٤) السابق، ص ٤١٥، والزبيدي، اتّلاف النصرة، ص ١٢٦.

٣- حذف الفعل بعد لولا:

إنَّ التقدير عند النحاة في قولنا: لولا زيد لأكرمته، لو لم يمنعني زيدٌ من إكرامك لأكرمته، إلّا أنَّهم حذفوا الفعل تخفيفاً، وزادوا (لا) على (لو) فصار بمنزلة حرفٍ واحدٍ^(١).

المبحث الرابع: المسالك المعنوية في الاستدلال في مسائل الخلاف

أولاً: المعنى اللغوي:

مما يرجح الرأي النحويّ قربه من المعنى المقصود، وقوته في بابه، وقد كان هذا المسلك مرجحاً شائعاً في كثير من الأوجه النحويّة التي اختلف فيها النحاة^(٢). جاء في معاني النحو، وهو يعلل سبب ترجيحه لقول من الأقوال: ((وهذا القول أقرب إلى المعنى من القولين الأولين، كما هو ظاهر))^(٣). وقد يؤدي المذهب النحويُّ إلى إبطال معنى المتكلم، فيكون ذلك سبباً في تضعيفه واستبعاده^(٤).

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٦٦.

(٢) ينظر: ابن جني: عثمان بن جني، (ت ٣٩٢هـ = ١٠٠٢م): الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ج ٣، ص ٢٥٥، والعكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٤٠، والكيشي، الإرشاد إلى علم الإعراب، ص ١٤٠، والنجار، منزلة المعنى، ص ٢٠٦، والناغوي، حروف الجر، ص ٢٨٥.

(٣) السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو. ط ٣، دار الفكر، عمان، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ج ٣، ص ٣٢٦، وينظر: ج ١، ص ٣٣٦.

(٤) الخوارزمي، القاسم بن الحسين، (ت ٦١٧هـ = ١٢٢٠م): ترشيح العلل في شرح الجمل. إعداد عادل محسن سالم العميري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ص ١١٩، وينظر: الإعراب الكامل، ص ٥٤.

جاء في الأماليّ مبيناً أثر المعنى في اختيار الوجه الإعرابي: ((وإعطاء الكلام حقّه من المعنى والإعراب إنّما هو بنصب (الرئمان)^(١)، وللنحاة الكوفيّين في أكثر كلامهم تهاويل فارغة من حقيقة))^(٢).
وقد لجأ النحاة إلى المعنى لترجيح ما ذهبوا إليه، ويتجلى ذلك الأمر بوضوح في مسألة اشتقاق الاسم.

فقد ذهب الكوفيّون إلى أن الاسم مشتق من الوسم؛ اعتماداً على المعنى اللغوي لدلالة (اسم)؛ لأنّ الوسم في اللغة هو العلامة، والاسم وسم على المسمى، وعلامة له يعرف به، فإذا قلت: زيد، أو عمرو، دل على المسمى، فصار كالوسم عليه؛ ولذلك قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: الاسم سمة توضع على الشيء يعرف بها^(٣).

وقد سلك البصريّون المسلك ذاته في التدليل على مذهبهم في اشتقاق الاسم من السمو، فقالوا: إنّ السمو في اللغة هو العلو، يقال: سما يسمو سموّاً إذا علا، ومنه سمّيت السماء سماءً لعلوها، والاسمُ يعلو على المسمى، ويدلُّ على ما تحته من المعنى.

يقول العكبري في ترجيح مذهب البصريّين في اشتقاق الاسم: ((إنّ اشتقاق الاسم من السمو مطابق للمعنى))^(٤)، بيانه: أنّ الاسم ينوّه بالمسمّى ويرفعه للأذهان بعد خفائه، وهذا معنى السمو^(٥).

(١) يشير إلى قول الشاعر:

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رئمان أنف إذا ما ضن باللبن.

(٢) ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، ج ١، ص ٥٦.

(٣) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٤.

(٤) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ١٣٦.

(٥) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ١٣٧.

ثانياً: العبرة بالمعنى لا باللفظ:

ذهب الكوفيون إلى جواز جمع الاسم الذي فيه علامة تأنيث جمع سلامة، مثل طلحة، اعتباراً بالمعنى، لأنَّ ((طلحة لفظ فيه علامة تأنيث سمي به مذكراً يعقل فجمع بالواو والنون، كالذي آخره ألف التأنيث، نحو: موسى وعيسى، فإنك تقول في جمعه: موسون، وعيسون، فكانت العلة في ذلك أن العبرة فيه بالمعنى، والمعنى على التذكير، فوجب أن يذكر بعلامة التذكير، وهو الواو والنون))^(١).

ثالثاً: ما دلّ على معنى لا يُحذف:

بهذا الأصل استدلّ البصريون على أنَّ المضارع الذي في أوله تاءان، تاء المضارعة وتاء أصلية، نحو: تتناول، فإن المحذوف منهما هو التاء الثانية، أي: التاء الأصلية دون تاء المضارعة؛ لأنَّ الأولى دالة على معنى، وهي المضارعة، وما دلّ على معنى لا يحذف^(٢).

وقالوا: ((إنما قلنا: إنَّ حذف الأصلية أولى من الزائدة؛ لأنَّ الزائدة دخلت لمعنى، وهو المضارعة، والأصلية ما دخلت لمعنى؛ فلما وجب حذف إحداها كان حذف ما لم يدخل لمعنى أولى))^(٣).

وإبقاء ما دلّ على المعنى، وإن كان زائداً ضعيفاً يفوق إبقاء الأصلي، وإن كان أصلياً قوياً؛ جاء في البيان: ((حذف الأضعف أولى من حذف الأقوى، والأصلي قوي والزائد ضعيف، لكن حذف ما لم يجئ لمعنى أولى من حذف ما جاء لمعنى))^(٤).

(١) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٢١.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٥١٦، والأشباه والنظائر في النحو: السيوطي، ج ١، ص ٦٠.

(٣) السابق، ص ٥١٦.

(٤) أبو البركات الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج ١، ص ٥٨، ٤٦، ٦٥، ١٠٤.

رابعاً: الزيادة لمعنى:

حكم مشهور مألوف، فكلُّ زيادةٍ في لفظ لا بدَّ أنْ يصحبها زيادةٌ في المعنى، وهذا القانون كان من المسالك التي سلكها النُّحاة في التَّرجيح في مسائل الخلاف. وتمسك البصريُّون بهذا المسلك في نصرة مذهب القائل بأنَّ الأسماء الستة معربة من جهة واحدة؛ لأنَّ الإعراب إنَّما دخل في الكلام للفصل وإزالة اللبس، وللفرق بين المعاني المختلفة من الفاعليَّة والمفعوليَّة وغير ذلك، وهو يحصل بإعراب واحد من جهة واحدة فلا حاجة للجمع بين إعرابين من جهتين كما ذهب إلى ذلك الكوفيون^(١).

فالحكيم لا يزيد شيئاً لغير فائدة، وبهذا القانون رد أبو البركات الأنباري على من قال: إن الأسماء الستة معربة من مكانين، ليزيدوا بالإعراب في الإيضاح والبيان: ((قلنا: الإيضاح والبيان قد حصل بإعراب واحد، فصار الإعراب الزائد لغير فائدة، والحكيم لا يزيد شيئاً لغير فائدة، فوجب أنْ تكونَ معربةً من مكانٍ واحدٍ كسائر ما أُعربَ من الكلام))^(٢).

خامساً: الاستدلال بمقاصد التعبير:

بعض الآراء النَّحويَّة في مسائل الخلاف قد يؤول أمرها إلى تفويت مقصد التعبير؛ لذا كان مقصد الكلام حاضراً في التَّرجيح في تلك المسائل. وقد استدلَّ البصريُّون بهذا المسلك في الذهاب إلى عدم جواز ندبة الاسم النكرة وما شابهه؛ لأنه مبهم لا يخص واحداً بعينه، ((والمقصود بالندبة أن يظهر النادب عذره في تفجعه فيحصل التأسّي بذلك، فيخف ما به من المصيبة، وذلك إنَّما يحصل بندبة المعرفة لا بندبة النكرة، وإذا كان ندبة النكرة ليس فيها فائدة

(١) ينظر: الزبيدي، ائتلاف النصرة، ص ٢٨.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ٢٤.

وجب أن تكون غير جائزة، وأما الأسماء الموصولة فإنها مبهمه، فأشبهت النكرة؛ فوجب أن لا تجوز ندبتها كالنكرة^(١).

واستدلوا به أيضاً على عدم جواز إضافة الشيء إلى نفسه، وإن اختلف لفظه، وقالوا: ((إنما قلنا: إنه لا يجوز؛ لأنَّ الإضافة إنما يراد بها التعريف والتخصيص، والشيء لا يتعرف بنفسه؛ لأنه لو كان فيه تعريف كان مستغنياً عن الإضافة، وإن لم يكن فيه تعريف كان بإضافته إلى اسمه أبعد عن التعريف؛ إذ يستحيل أن يصير شيئاً آخر بإضافة اسمه إلى اسمه، فوجب أن لا يجوز، كما لو كان لفظهما متفقاً))^(٢).

واستدلوا به أيضاً على عدم جواز ترخيم الثلاثي سوى ما فيه هاء التأنيث، وذلك لأنَّ الترخيم في عرف النحاة إنما هو حذف دخل في الاسم المنادى إذا كثرت حروفه طلباً للخفة، فإذا كان كذلك، فهذا الحذف في الثلاثي لا حاجة بنا إليه؛ لأنَّ الثلاثي في غاية الخفة^(٣).

سادساً: فقدان التناسب المعنوي:

من العلل التي اعتمدها نحاة البصرة في عدم جواز دخول (اللام) في خبر (لكنّ) علة عدم التوافق المعنوي، بيانها أن (اللام) تفيد التوكيد، في هذا الباب، والتوكيد مع (لكنّ) غير مراد، فليس هناك مناسبة معنوية بين معنى (لكنّ)، الذي هو الاستدراك، و(اللام) التي تفيد التوكيد^(٤).

(١) أبو البركات الأنباري، الإتيان في مسائل الخلاف، ص ٣٠٧، وينظر: الزبيدي، ائتلاف النصرة، ص ٤٩.

(٢) السابق، ص ٣٥٣، وينظر: الزبيدي، ائتلاف النصرة، ص ٥٤.

(٣) ينظر: الزبيدي، ائتلاف النصرة، ص ٤٨.

(٤) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٣٥٤.

يقول أبو البركات الأنباري مبيناً عدم الاستقامة المعنوية في دخول اللام في خبر (لكن): ((وذلك لأنها إن كانت لام التأكيد فلام التأكيد إنما حسنت مع إن لاتفاقهما في المعنى؛ لأن كل واحدة منهما للتأكيد، وأما لكن فمخالفة لها في المعنى))^(١).

وبهذا المسلك أيضاً منع البصريون وقوع الفعل الماضي حالاً، وذلك لأن الفعل الماضي لا يدل على الحال فينبغي أن لا يقوم مقامه^(٢).

المبحث الخامس: المسالك المنطقية في الاستدلال في مسائل الخلاف

لقد تشكلت مجموعة كبيرة من القواعد المنطقية التي استتبطها النحاة من الواقع أو البديهة أو من علم المنطق، واستدلوا بها في مسائل الخلاف النحوي، وقد كان للبصريين النصيب الأوفى من هذه القواعد، ومنها:

أولاً: كل معمول لا بد له من عامل:

بهذه القاعدة أوجب نحاة البصرة أن يكون عامل المبتدأ عاملاً معنوياً هو الابتداء؛ لأنه معمول كسائر معمولات النحوية، وكل معمول لا بد له من عامل، وبعد أن ردوا كل العوامل التي قالها المخالفون أوجدوا له عاملاً معنوياً هو الابتداء^(٣).

(١) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٧٣.

(٢) السابق، ص ٢١٣.

(٣) العكبري، التبیین عن مذاهب النحويين، ص ٢٠٥.

ثانياً: العدم لا يعمل:

بهذه القاعدة المنطقية ردّ البصريُّون مذهب الكوفيِّين القائل بأنّ المبتدأ مرفوع بالتعري من العوامل، يقول العكبري: ((وأما التعري من العوامل فإنّه غير عامل؛ لأنّ ذلك عدم، والعدم لا يعمل))^(١).

وبهذا الأصل أيضاً ردّ مذهب أبي العباس ثعلب القائل بأنّ الظرف الواقع خبراً ينتصب بفعل محذوف غير مقدر، وذلك لأنه يؤدي إلى أنه يكون منصوباً بفعل معدوم من كل وجه لفظاً وتقديراً، والفعل لا يخلو إمّا أن يكون مظهراً موجوداً، أو مقدّراً في حكم الموجود، فأماً إذا لم يكن مظهراً موجوداً ولا مقدّراً في حكم الموجود، كان معدوماً من كل وجه، والمعدوم لا يكون عاملاً^(٢).

ويستأنس في توضيح هذا الأمر بالقياس الحسي، فكما يستحيل في الحسيّات المشي برجلٍ معدومة، والقطعُ بسيفٍ معدومٍ، والإحراقُ بنارٍ معدومة، فكذلك يستحيل في هذه الصنّاعة النصبُ بعاملٍ معدومٍ، لأنّ العللَ النحويّة مشبّهة بالعلل الحسيّة^(٣).

ثالثاً: ما يؤدي إلى المُحال مُحال:

بهذه القاعدة المنطقية ردّ البصريُّون مذهب الكوفيِّين القائل بأنّ المبتدأ والخبر يترافعان، يقول أبو البركات الأنباري: ((إن ما ذكرتموه يؤدي إلى محال؛ وذلك لأنّ العامل سبيله أن يقدر قبل المعمول، وإذا قلنا: إنهما يترافعان وجب أن يكون كل منهما قبل الآخر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال محال))^(٤).

(١) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٢٦.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ٢٠٥.

(٣) السابق، ص ٢٠٥.

(٤) السابق، ص ٤٤.

ويقول العكبري: ((وأما نفس إسناد الخبر فغير عامل، لأنَّ حكم العامل أن يكون قبل المعمول، وحكم الخبر أن يكون بعد المبتدأ، فهما يتنافيان))^(١).

رابعاً: الاحتجاج بالأقوى على الأضعف:

بهذه القاعدة المنطقية استدلل البصريُّون على منع إعمال (أنَّ) المصدرية محذوفة من غير بدل، وذلك لأنَّ (أنَّ) المشددة لا تعمل مع الحذف، وهي أقوى لأنها من عوامل الأسماء، و(أن) المصدرية من عوامل الأفعال، وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال، ((وإذا كانت (أنَّ) المشددة لا تعمل مع الحذف وهي الأقوى فإن لا تعمل (أن) الخفيفة مع الحذف وهي الأضعف كان ذلك من طريق الأولى)).

وبهذه القاعدة أيضاً استدلوا على زيادة اللام الأولى في (لعل)، وإن كانت حرفاً؛ لأنَّ الحذف يقع في الحروف وهو تصرف قويّ، فوقع الزيادة في الحروف أولى وهي تصرف ضعيف، جاء في التبيين: ((إنَّ الحروف قد وقع فيها حذف، والحذف تصرف، كما أن الزيادة تصرف بل التصرف بالحذف أقوى وبالزيادة أضعف، فإذا جوزوا الحذف مع قوته فالزيادة أولى))^(٢).

خامساً: لا يثبت حكمٌ بغير علة^(٣):

بهذه العلة المنطقية انتصر العكبري لمذهب البصريِّين القائل بأنَّ المنادى المفرد المعرفة مبني على الضم، لأنَّ إعرابه يقتضي ثبوت الحكم بغير علة، قال

(١) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٢٦.

(٢) السابق، ص ٣٦٠.

(٣) السابق، ص ٣٤٢، ٣٧٧، ٤٠٠.

في التبيين: ((ولا يصح كونه مرفوعاً بغير رافع، لما في ذلك من ثبوت الحكم بغير علة))^(١).

سادساً: العرضُ لا يقوم بنفسه:

بهذه العلة المنطقية ردّ العكبري على رأي الأخفش القائل بأنّ حروف الأسماء الستة دوال على الإعراب؛ لأنّ ((دلالة الشيء على الإعراب يحتاج إلى محل، فإذا لم يكن له حرف إعراب بقي الإعراب عرضاً قائماً بنفسه، والعرض لا يقوم بنفسه))^(٢).

سابعاً: الضّدان لا يجتمعان^(٣).

بهذه القاعدة المنطقية احتج البصريّون على إبطال مذهب خصومهم القائلين بجواز جمع ما فيه تاء التأنيث جمع سلامة، يقول أبو البركات الأنباري: ((وأما البصريّون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على امتناع جواز هذا الجمع بالواو والنون، وذلك لأنّ في الواحد علامة التأنيث، والواو والنون علامة التذكير، فلو قلنا: إنه يجوز أن يجمع بالواو والنون لأدى ذلك إلى أن يجتمع في اسم واحد علامتان متضادتان، وذلك لا يجوز))^(٤).

((وقال البصريون: لا يجوز أن يجمع ذلك بالواو والنون، وهو الأصح، لأنّ في واحده علامة التأنيث، والواو والنون علامة التذكير، فتجوز به يؤدي إلى جمع علامتين متضادتين في اسم واحد، وذلك ممتنع))^(٥).

(١) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٤٣٩.

(٢) السابق، ص ١٩٧.

(٣) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإحصاف في مسائل الخلاف، ص ٣٩٥.

(٤) السابق، ص ٣٦، وينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٢٠.

(٥) الزبيدي، ائتلاف النصرة، ص ٣٠.

ثامناً: المؤثر أقوى من المؤثر فيه:

هذه القاعدة المنطقية مسلك من المسالك التي استدل بها نحاة الكوفة على أن الفعل أصل المشتقات، وذلك لأنه يعمل في المصدر، نحو: ضربته ضرباً، ((والعامل مؤثر في المعمول، والمؤثر أقوى من المؤثر فيه، والقوة تجعل القوي أصل لغيره))^(١).

وهذه القاعدة ذاتها كانت من مسالك البصريين في ردّ مذهب الكوفيين القائل بأنّ المبتدأ والخبر يترافعان، وذلك لأنّ ((عمل كل واحد منهما في صاحبه تأثير فيه، والمؤثر يجب أن يكون أقوى من المؤثر فيه، وذلك مستحيل هنا؛ لأنّ اشتراكهما في التأثير يدل على استوائهما في القوة، فيمتنع تأثير أحدهما في الآخر))^(٢).

تاسعاً: العوض والمُعوض لا يجتمعان:

بهذه القاعدة المنطقية استدل الكوفيون على أنّ الميم المشددة في (اللهم) ليست عوضاً عن ياء النداء بدليل قول الشاعر:

وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَقُولِي كَلِمًا سَبَّحْتَ أَوْ هَلَّلْتَ يَا اللَّهُمَّ مَا
ارْدُدْ عَلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلِّمًا فَإِنَّا مِنْ حَيْرَةٍ لَنْ نَعْدَمَا

فجمع بين الميم، و(يا)، وجمعه بينهما دليل على أنّ الميم ليس عوضاً عن (يا) النداء^(٣).

(١) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ١٤٧.

(٢) السابق، ص ٢٢٨.

(٣) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإتيان في مسائل الخلاف، ص ٢٩١، والزبيدي، انتلاف النصرة، ص ٤٧.

عاشراً: لا وجود لمؤثر بلا أثر:

اختلف النحاة في النون المحذوفة من (أتَحَاجُونِي) في قوله تعالى: (قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ) (الأنعام: ٨٠) على قراءة نافع وابن عامر بتخفيف النون^(١)، هل هي نون الرفع أم نون الوقاية؟

فمذهب سيبويه أنَّ المحذوف نون الرفع، ورجَّحه ابن مالك^(٢)، وذهب نحاة آخرون إلى أنَّ المحذوف (نون الوقاية) واستدلوا على ذلك بحجة منطقية مفادها أنَّ حذف (نون الرفع) يؤدي إلى وجود المؤثر (عامل الرفع) بلا أثر (نون الرفع)، وتبعاً لذلك ترجَّح عند من قال بهذه العلة أنَّ المحذوف (نون الوقاية)^(٣). ويعضد هذه العلة المنطقية علة أخرى من جنسها، إذ قال من رجَّح حذف الثانية التي هي (نون الوقاية): إِنَّ الثَّقْلَ نَشَأَ فِي الثَّانِيَةِ، فَهِيَ أَحَقُّ بِالْحَذْفِ^(٤).

المبحث السادس: مسالك توهين الأدلة والآراء في مسائل الخلاف

دأب النحاة في مسائل الخلاف على سلوك سبيلين من أجل إقناع القارئ بصحة ما ذهبوا إليه، الأول: حشد الأدلة المتنوعة في الانتصار لما ذهبوا إليه، وقد تقدم شرح ذلك مفصلاً في المباحث السابقة. والسبيل الثاني: توهين الأدلة والآراء التي ساقها الخصم في مسائل الخلاف بما يروونه مطعناً مؤثراً فيها، وقد تنوعت المطاعن التي احتجوا بها في هذا السبيل، وفيما يأتي بيان لما تحصل لدي منها.

(١) ينظر: السرقسطي، إسماعيل بن خلف، (ت ٤٥٥هـ = ١٠٦٣م): العنوان في القراءات السبع، تحقيق: د. زهير زاهد، ود. خليل العطية، ص ٩١.

(٢) ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج ١، ص ١٧٢.

(٣) ينظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج ١، ص ٥٨.

(٤) السابق، ص ٥٨.

أولاً: توهين المسموع من كلام العرب بالعلل القاذحة:

الرواية الثابتة عن العرب لا يجوز ردّها، وإن ثبت غيرها، يقول الرّضي: ((والإنصاف أنّ الرواية لو ثبتت عن ثقة لم يجر ردّها، وإن ثبتت رواية أخرى))^(١)؛ ولكنّ ثبات الرواية في عرف النّحاة لا يعني التسليم لها، وبناء القواعد بمقتضاها، بل لا بدّ للشاهد الفصيح الذي يكمل الاحتجاج به في بناء القواعد، وتقوية الآراء والمذاهب، من أن يسلم من العلل القاذحة، ومن هذه العلل^(٢):

١ - التّهمة:

وأشهر مثال على ذلك ما اشتهر في كتب النحو باسم المسألة الزنبوريّة، فمذهب الكوفيّين فيما يأتي بعد (إذا) الفجائية في مثل قولهم: قد كنت أظنّ أنّ العقرب أشدّ لسعة من الزنبور فإذا هو إيّاها، أن يأتوا بالضّمير المنفصل المنصوب بعد مرفوعه؛ لأنّها ظرف للمفاجأة، فعملت عمل (وجدت) وشبهه. ومذهب البصريّين أنّه لا يجوز إلّا المرفوع، فيقال: فإذا هو هي ونحوه؛ لأنّ (هو) مرفوع بالابتداء، ولا بدّ له من خبر، فيتعيّن أن يكون ما بعده مرفوعاً على الخبر.

وقالوا عن مذهب الكوفيّين: إنّ خطأ قبيحٌ وغلطٌ صريحٌ، واتّهموا من عضدهم في نصرة مذهبهم، وقالوا: ((وما استدلوا به من الحكاية الجارية بين سيبويه

(١) رضي الدين الأسترايادي، محمد بن الحسن، (ت ٦٨٦هـ = ١٢٨٧م): شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، ج ١، ص ١٠٥.

(٢) ينظر في تفصيل هذه العلل: محمد السبيهي، مسائل الخلاف النحوية في ضوء الاعتراض على الدليل النقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ، ص ٢٩.

والكسائي، وموافقة العرب للكسائي غير مستبعد؛ لأنه جُعِلَ للعرب جُعِلَ على متابعة الكسائي، فلا تصدّقوا التّهمة))^(١).

٢ - الشّاهد المعارض:

ليس قولُ بعض الفصحاء أولى بالاحتجاج به من بعض؛ لذا فمن تمام الانتصار للمذهب النحويّ أو القاعدة النحويّة محلّ الخلاف أن تسلّم شواهدُها من الشواهد المعارضة، ومتى تعارضت الشواهد الفصيحة فلا بدّ من البحث عن مرجّحات أخرى في المسائل المبحوثة^(٢).

وممّا قالوا في التععيد لهذا الأمر: ((العلّة ما لم تسلّم من معارضة دليل لم يكن عليها تعويل))^(٣)

٣ - الضّرورة:

ففي العربية، وخصوصاً منظوم الشعراء، استعمالاتٌ جاءت مخالفة للكثير الشائع الذي عليه جمهور كلام العرب، ليس لدارس العربية أن يحملها على الخطأ؛ لأنها صادرة عن أئمة البيان، ولكن لقلّتها، ومخالفتها لجمهور الكلام، وخصوصيّة موضعها، حملها النّحاة على الضّرورة تارة، وعلى محامل أخرى سيأتي بيانها في موضعها تارة أخرى، والضرّورة تقدّرُ بقدرها فهي تشفع للفصيح المتقدّم فلا يجرؤ أحدٌ على تخطئته، وتمنحُ التابع المقلّد حقّ النّسج على

(١) ينظر: الزبيدي، ائتلاف النّصرة، ص ٦٦.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإتيان في مسائل الخلاف، ص ٨٤، ورضي الدين الأسترابادي، شرح

الرضي على الكافية، ج ١، ص ٨٩.

(٣) أبو البركات الأنباري، لمع الأدلة، ص ٨١.

منواله، ولكن مع فصاحة من تكلم بشواهدا لم يعتدّ النُحاة بما جاء منها في بناء الأحكام أو القياس عليها^(١).

يقول أبو البركات الأنباري، وهو يردُّ شاهد الكوفيّين في جواز استعمال (أفعلَ) من اللّون: ((وإنما جاز هذا لضرورة الشعر، والضرورة لا يقاسُ عليها، كما لو اضطرَّ إلى قصر الممدود على أصلنا وأصلكم أو إلى مدِّ المقصور على أصلكم، وعلى ذلك سائر الضّرورات، ولا يدلُّ جوازه في الضرورة على جوازه في غير الضرورة، فذلك ههنا، فسقط الاحتجاجُ به))^(٢).

٤ - الشذوذ:

فالشاذُّ لا يثبت به أصلٌ، ولا يُحتجُّ به على الأصول الممهّدة، والشذوذ المطرَح كثير^(٣). ((وقد كان الأصمعيُّ لا يحتجُّ بشعر ذي الرّمة، ويقول: فيه أشياء خارجة عن طريقة العرب، كما كان يقول في الكميّة))^(٤).

قال ابن الشجريُّ عن بعض الشواهد: ((على أنّ هذه الكلم التي وضعوها مواضع الأحوال، وهي معارف، لو كانت خالية من تأويل يدخلها في حيّز النكرات لما ساغ الاحتجاج بها؛ لأنّ ذلك عدول عن العامّ الشائع إلى الشاذّ النادر))^(٥).

(١) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٣٠٧، ٤٤٦، ٤٥٢.

(٢) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٢٧، وينظر: الزبيدي، انتلاف النصره، ص ٤٠.

(٣) ينظر: أبو البركات الأنباري، لمع الأدلة، ص ٥٥، والعكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٨٦، ٢٩٣، ٣١١، ٤٣٣، ٤٤٦، وأبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ١٣٣.

(٤) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٣٠٦.

(٥) ابن الشجري، هبة الله بن علي، (ت ٥٤٢هـ = ١١٤٨م): أمالي ابن الشجري، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ج ١، ص ٢٣٧.

وقال أبو البركات الأنباري في ردّ بعض شواهد الكوفيين في جواز وقوع اللام في خبر (لكنّ): ((أمّا قوله: ولكنني من حبّها لكميد^(١)) فهو شاذّ لا يؤخذ به؛ لقلّته وشذوذه، ولهذا لا يكاد يُعرف له نظير في كلامهم وأشعارهم، ولو كان قياساً مطّرداً لكان ينبغي أن يكثر في كلامهم وأشعارهم، كما جاء في خبر (إنّ)، وفي عدم ذلك دليل على أنّه شاذّ لا يُقاس عليه^(٢)). وقال الدماميني معقّباً على بعض الشواهد: ((ولا حجة لهم فيما أوردوه من الشعر لشذوذه، ولا يعرف له تنمّة، ولا قائل له، ولا نظير، ولا رواه عدل يقول: سمعته ممّن يوثق بلغته^(٣))).

٥ - جهالة القائل:

من العلل القادحة التي غمز بها الأئمة بعض الشواهد جهالة قائلها^(٤). فمن الأجوبة التي ساقها النحاة في توهين الشواهد قولهم: ((إنّ البيت لا يعرف قائله^(٥)))، وقولهم: ((هذا الشعر لا يعرف قائله، فلا يكون فيه حجة^(٦)))، وقولهم:

(١) وفي رواية أخرى: لعميد، وهو بلا نسبة كثير من المصادر النحوية، ينظر: يعقوب، د. إميل بديع: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ج٢، ص٣١٦.

(٢) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص١٧٤.

(٣) الدماميني، شرح التسهيل: ١/١١٦، مخطوطة الحرم المكي رقم (١٨٦ نحو)، أفدت هذا النص من محقّق التبيين عن مذاهب النحويين، ص٣٥٥، هامش ٣.

(٤) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص٤٥٢.

(٥) السابق، ص٤٣٣.

(٦) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص٢٩٤.

((أما ما أنشدوه، فهو مع قلته، لا يعرف قائله، فلا يجوز الاحتجاج به))^(١).
وقولهم: ((الآبيات إلى آخرها، فلا حجة فيها؛ لأنها لا تعرف، ولا يعرف قائلها،
فلا يجوز الاحتجاج بها))^(٢).

٦- احتمال التأويل:

من تمام اكتمال الاستدلال بالشاهد الفصيح أن يسلم من الاحتمال، فالشاهد متى
احتمل وجهاً آخر غير ما استدل به الخصم بطل به الاستدلال^(٣). ((ما طريقه
الاحتمال بطل به الاستدلال))^(٤).

وقال أبو البركات الأنباري: ((إذا جاز أن يحمل البيت على وجه سائغ في
العربية فقد سقط الاحتجاج به))^(٥). وقال أيضاً في إبطال الاحتجاج ببعض
الشواهد المحتملة: ((وإذا كان يحتمل هذه الوجوه من الاحتمالات بطل الاحتجاج
به، فلا يكون فيه حجة))^(٦).

(١) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٣٥٠.

(٢) السابق، ص ٦٠٤.

(٣) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٢٦٢، ٣٧٥، ومحمد محيي الدين عبد الحميد،
(ت ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م): منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، طبع مع الشرح، ط ٢٠، مكتبة التراث،
القاهرة، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٧٨، هامش ٩.

(٤) ينظر: ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم، (ت ٩٧١هـ = ١٥٦٣م): كحل العيون النجل في حل مسألة
الكحل، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، طبع ضمن عنوان: كتابان في النحو، ط ١، دار البشائر، دمشق،
١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م، ص ٥٠.

(٥) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٥٨.

(٦) السابق، ص ٥٨٦.

فالتسليم بالرواية إذا لا يكفي في قبولها بل لا بدّ أن يصحبها سلامة من الاحتمال، جاء في التبيين: ((نسلم أن الرواية كما ذكروا، ولكنها مخرجة من وجهين...))^(١).

وقد أبطل بالاحتمال بعض النحويين مذهب الكوفيّين القائل: بأنّ نعم وبئس اسمان مبتدآن لدخول حرف النداء عليهما في: يا نعم المولى. فقال المخالفون: ويبطله احتمال حذف المنادى^(٢).

وقال ابن الشجري في رد بعض الشواهد بالاحتمال: ((وليس فيما أورده من دخول حرف الجر على نعم، وبئس حجة؛ لأنه مقدّرة فيه الحكاية))^(٣).

ثانياً: توهين الأدلة بالعلل القادحة:

ومنها:

١ - كثرة التقديرات:

مما يضعف الأدلة النحويّة ويرجح غيرها كثرة ما فيها من التقديرات، فالمسلك الناجح في هذا الباب أن ((تقليل المقدّر أولى))^(٤). وبهذه العلة ضعّف الأشموني رأي الكوفيّين القائل بأنّ (كي) هي الناصبة للفعل المضارع. جاء في شرحه على الألفية: ((ما سبق من أنّ (كي) تكون

(١) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٣٩٧.

(٢) ينظر: الكيشي، محمد بن أحمد، (ت ٦٩٥هـ = ١٢٩٦م): الإرشاد إلى علم الإعراب. تحقيق: د. عبدالله علي الحسيني البركاتي، ود. محسن سالم العميري، ط ١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م، ص ١٣٦.

(٣) السابق، ص ٤٠٥.

(٤) ابن هشام، مغني اللبيب، ج ٢، ص ٤٤٧.

حرف جر ومصدرية هو مذهب سيبويه وجمهور البصريين، وذهب الكوفيون إلى أنها ناصبة للفعل دائماً، وتأولوا: كيمه، على تقدير: كي يفعل ماذا، ويلزمهم كثرة الحذف، وإخراج ما الاستفهامية عن الصدر، وحذف ألفها في غير الجر، وحذف الفعل المنصوب مع بقاء عامل النصب، وكل ذلك لم يثبت^(١).

٢ - عدم النظر:

مما يوهن الرأي النحوي هو أن ينتهي من تمسك به إلى القول بما لا نظير له في كلام العرب.

وبهذه العلة وهن البصريون مذهب الكوفيين القائل بأن الضمير في (إِيَّاكَ، وإِيَّاه، وإِيَّاي) هو الكاف والهاء والياء، وقالوا: ((إنما قلنا إن (إِيَّا) هي الضمير دون الكاف والهاء والياء؛ وذلك لأننا أجمعنا على أن أحدهما ضمير منفصل، والضمائر المنفصلة لا يجوز أن تكون على حرف واحد؛ لأنه لا نظير له في كلامهم، فوجب أن تكون (إِيَّا) هي الضمير؛ لأن لها نظيراً في كلامهم، والمصير إلى ماله نظير أولى من المصير إلى ما ليس له نظير))^(٢).

ثالثاً: توهين الآراء بنقضها للأوضاع اللغوية:

مما يوهن الرأي النحوي خروج من تمسك به عن الأوضاع العامة في اللغة، وبهذه العلة ردّ بعض النحاة رأي الكوفيين الذين رأوا أن المفعول لأجله هو مفعول مطلق للفعل المذكور؛ لأنّ هذا القول يؤدي إلى إخراج الأفعال عن معانيها المألوفة إلى معانٍ متعددة حسب التركيب الذي ترد فيه، يقول السامرائي:

(١) الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج ٣، ص ١٣٥٣.

(٢) أبو البركات الأنباري، الإتحاف في مسائل الخلاف، ص ٥٥٤.

((إن القول برأي الكوفيّين يفضي إلى إخراج الأفعال من معانيها إلى معانٍ أخرى قد تكون بعيدة عنها من دون موجب، وذلك نحو قولنا: (قلت ذلك خوفاً منه)، فيكون القول عندهم بمعنى الخوف، في حين أن القول حسيّ والخوف قلبي))^(١). وبهذه العلة أيضاً ردّ بعضهم مذهب الكوفيّين القائل بأنّ الفعل أصل الاشتقاق، والمصدر مشتق منه، لأنّ هذا الرأي مناقض لأصل الاشتقاق القائم على تكثير المعاني.

يقول العكبري: ((إنّ المصدر لو كان مشتقاً من الفعل لأدّى ذلك إلى نقض المعاني الأول، وذلك يُخلُّ بالأصول.

بيانه: أنّ لفظ الفعل يشتمل على حروف زائدة ومعانٍ زائدة، وهي دلّلته على الزّمان المخصوص، وعلى الفاعل الواحد، والجماعة والمؤنث والحاضر والغائب.

والمصدر يُذهبُ ذلك كلّهُ إلّا الدّلالة على الحَدَث، وهذا نقضٌ للأوضاع الأول، والاشتقاق ينبغي أن يُفيد تشييدَ الأصول وتوسعة المعاني، وهذا عكسُ اشتقاق المصدرِ من الفعل))^(٢).

(١) السامرائي، معاني النحو، ج ٢، ص ١٩٥.

(٢) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ١٤٦.

رابعاً: توهين الآراء بمخالفتها للأصول النحوية:
وتتجلى هذه المخالفة في العناوين الآتية^(١):

١ - الاشتراك خلاف الأصل:

قاعدة مهمة من القواعد اللغوية التي لجأ إليها النحاة في تضعيف آراء المخالف خصوصاً في معاني الحروف، إذ فتح هذا الباب يؤدي إلى اختلاط المعاني، فكل مسألة يؤول أمرها إلى الاشتراك واختلاط المعاني فإنها تحمل في طياتها علة توهينها^(٢).

يقول العكبري عن الاشتراك: ((إنه على خلاف الأصل؛ إذ كان يخل بالتفاهم، ألا ترى أنه إذا أطلق لفظة (العين) لم يفهم منه ما يصح بناء الأحكام عليه، والكلام إنما وضع للتفاهم، وإنما عرض الاشتراك من اختلاف اللغات))^(٣).

وبهذه المخالفة ردّ مذهب الكوفيّين القائل بجواز نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، وذلك لأنه يؤول إلى الاشتراك واختلاط المعاني، إذ الأصل أن ينفرد كل حرف بمعنى، ولا يقع حرف بمعنيين لما في ذلك من الاشتراك الملبس^(٤).

يقول أبو هلال العسكري: ((وإذا كان اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني، فاختلاف المعاني أنفسها أولى أن يكون كذلك؛ ولهذا المعنى قال المحققون من أهل العربية: إنّ حروف الجر لا تتعاقب، حتى قال ابن درستويه:

(١) للتوسع في هذا المبحث ينظر: الصاعدي، سامية بن صالح، أدلة الاحتجاج العقلية عند ابن مالك في

شرح التسهيل، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م، ص ٦٤.

(٢) ينظر: القيسي، مشكل إعراب القرآن، ج ٢، ص ٨٥.

(٣) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ١١٨.

(٤) السابق، ص ٤٠٣.

في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة، وإفساد الحكمة فيها، والقول بخلافه يوجبُه العقل والقياس^(١).

٢ - التركيب خلاف الأصل^(٢).

بهذه الحجة وهنّ العكبري رأي الفراء القائل بأنّ (إِلّا) في الاستثناء مركبة من (إنّ)، و(لا)، لأنّ التركيب خلاف الأصل، فلا يثبت إلّا بدليل ظاهر^(٣).
وبها أيضاً وهن رأي الكوفيّين القائل بأنّ (كم) مركبة من الكاف، وما؛ لأنّ الأصل عدم التركيب، لا سيما في كلمة لا يصح أن تجعل كلمتين، فإنّ (كم) حرفان، ولا يمكن أن يكون كل واحد منهما، ولا أحدهما كلمة تامة^(٤).

٣ - التركيب ينافي الإضافة:

بهذا الأصل رد مذهب الكوفيّين القائل بجواز إضافة النيف إلى العشرة، نحو: خمسة عشر، ووجه الرد: أنه اسم مركب، والتركيب ينافي الإضافة^(٥).

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله، (ت بعد ٣٩٥هـ = بعد ١٠٠٥م): الفروق اللغوية. تحقيق: حسام الدين القدسي دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص ١٣.

(٢) ينظر: العسكري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٤٢٣، ٤٥٢، وأبو البركات الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج ١، ص ٣٧١، والسيوطي، الأشباه والنظائر، ج ١، ص ١٢٦.

(٣) العسكري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٤٠١.

(٤) ينظر: العسكري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٤٢٣.

(٥) ينظر: الزبيدي، ائتلاف النصر، ص ٤٣.

٤- الإضمار خلاف الأصل^(١):

بهذا الأصل وهن الكوفيون مذهب البصريين القائل بأنَّ إعمال الفعل الثاني أولى من إعمال الفعل الأول في باب التنازع؛ قال أبو بكر الأنباري مبيناً مذهب الكوفيين: ((والذي يؤيد أن إعمال الأول أولى من الثاني أنك إذا أعملت الثاني أدى إلى الإضمار قبل الذكر، والإضمار قبل الذكر لا يجوز في كلام العرب))^(٢).

خامساً: توهين الآراء بفقدائها الأدلة المعتبرة:

فبعض الآراء التي طرقها النحاة في تفسير بعض التراكيب، ((لا يعلم إلّا بوحى، أو توقيف))^(٣)، وأنى لهم ذلك؟ لذا كانت مثل هذه الآراء تحمل وهنها في رحمها فلم يكتب لها الشيوع والذيع.

ومن تلك الآراء:

أصل (إلّا):

قال أبو البركات الأنباري: ((وأما قول الفراء إنَّ الأصل فيها إنَّ ولا ثم خففت إنَّ وركبت مع لا فمجرد دعوى يفتقر إلى دليل ولا يمكن الوقوف عليه إلّا بوحى وتنزيل، وليس إلى ذلك سبيل))^(٤).

(١) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٣١٧، والسيوطي، الأشباه والنظائر، ج ١، ص ١٠١.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٨٠.

(٣) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٣٥٨.

(٤) أبو البركات الأنباري، الإصناف في مسائل الخلاف، ص ٢٣٠.

أصل (لكنّ):

فرأى الكوفيّين القائل بأنّ (لكنّ)، مركبة من (لا)، و(إن)، وزيدت عليه الكاف، وحذفت الهمزة، ذلك مما لا يعلم إلّا بوحى أو توقيف^(١).

أصل (لن)، و(لم):

وعن الفراء أن (لن)، و(لم) أصلهما لا، والميم والنون مبدلتان من الألف، ولم نرَ له دليلاً^(٢).

أصل (الذي):

قال البكري صاحب إعراب أذكار الصلاة عن آراء النحاة في أصل (الذي): ((وكلُّ قريبٍ من دعوى علم الغيب))^(٣).

(١) ينظر: العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين، ص ٣٥٨.

(٢) ينظر: الكيشي، الإرشاد إلى قواعد الإعراب، ص ٤٤٥.

(٣) البكري، علي بن محمد، (٨٨٢هـ=١٤٧٧م)، إعراب أذكار الصلاة المكتوبة وكشف أسرارها المحجوبة، تحقيق: عبدالكريم مدليج، دار المنار، القاهرة، ص ٤٧.

الخاتمة:

يمكن أن أوجز نتائج البحث بالنقاط الآتية:

- ١- إن استقراء المسموع من كلام العرب من الأدلة المعتبرة في مسائل الخلاف، وقد احتج به النُحاة في كثير من المسائل الخلافية، بل هو أول أدلة مسائل الخلاف وأعلامها، وبه يبدأ أصحاب الخلاف في الانتصار لآرائهم، فمن ظفر بشيء منه لم يعدل إلى غيره إلّا من باب الاستئناس، والتأكيد، وتضافر الأدلة.
- ٢- إن ثبات الرواية في عرف النُحاة لا يعني التسليم لها وبناء القواعد بمقتضاها، بل لا بدّ للشاهد الفصيح الذي يكمل الاحتجاج به في بناء القواعد، وتقوية الآراء والمذاهب، أن يسلم من العلل القاذحة، وقد اشتمل البحث على أنواع من العلل القاذحة.
- ٣- دأب النُحاة في مسائل الخلاف على سلوك سبيلين من أجل إقناع القارئ بصحة ما ذهبوا إليه، الأول: حشد الأدلة المتنوعة في الانتصار لما ذهبوا إليه، عقلية وعقلية ومنطقية. والسبيل الثاني: توهين الأدلة التي ساقها الخصم في مسائل الخلاف بما يروونه مطعناً مؤثراً فيها، وقد تنوعت المطاعن التي احتجوا بها في هذا السبيل، وقد تقدمت مفصلة في ثنايا هذا البحث.
- ٤- جرى غالب كلام العرب على سنن مشهور يدركه من تأمل كلامهم، والنُحاة أكثر الناس اهتماماً وتأملاً لما قاله العرب؛ لذا بانّت لهم أصول وقواعد وعلل اعتبروها في الاحتجاج في المسائل التي جرى فيها الخلاف بينهم.

- ٥- لقد تشكلت مجموعة كبيرة من القواعد المنطقية التي استنبطها النُّحاة من الواقع أو البديهة استدلوا بها في مسائل الخلاف النحوي، وقد كان للبصريين النصيب الأوفى من هذه القواعد.
- ٦- أبدع النُّحاة أدلة أقرب إلى الفلسفة وإظهار الخيال النحوي منها إلى أدلة معتبرة مقنعة، كالقياس الحسي والفقهي، وهما من الأدلة استأنس بها النُّحاة في تأييد ما ذهبوا إليه، ولم يأتوا بها على أنها مسالك معتبرة في الاحتجاج؛ ولكنها رغبة الانتصار للمذهب.

مصادر البحث

- الأشموني، علي بن محمد، (ت نحو ٩٠٠هـ=١٤٩٥م)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج٤، طبع مع حاشية الصبان، ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر.
- د.إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- الأنباري، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٥٧٧هـ=١١٨١م): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق ودراسة: د.جودة مبروك محمد مبروك، راجعه: د.رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
- البيان في غريب إعراب القرآن، ج٢، تحقيق: د.طه عبدالحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- الباقرلي، علي بن الحسين، (ت نحو ٥٤٣هـ=نحو ١١٤٨م)، إعراب القرآن، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبنانية، بيروت، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- البغدادي، إسماعيل باشا الباباني، (ت ١٣٣٩هـ=١٩٢٠م)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥١م، وأعيد طبعه بالأوفسيت في دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- البغدادي، عبدالقادر بن عمر، (ت ١٠٩٣هـ=١٦٨٢م)، خزانة الأدب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- جران العود، عامر بن الحارث، النميري، الديوان، صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق وتذييل: د.نوري

- حمودي القيسي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد، ١٩٨٢م.
- ابن جني، عثمان بن جني، (ت٣٩٢هـ=١٠٠٢م)، الخصائص، ج٣، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت٧٤٥هـ=١٣٤٤م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج٤، تحقيق: د.رجب عثمان محمد، راجعه: د.رمضان عبدالنواب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- الخوارزمي، صدر الأفاضل القاسم بن الحسين، (ت٦١٧هـ=١٢٢٠م)، ترشيح العلل في شرح الجمل، إعداد عادل محسن سالم العميري، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- روبة بن العجاج، (ت١٤٥هـ=٧٦٢م)، ديوان روبة بن العجاج، تحقيق: وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- رضي الدين الأستراباذي، محمد بن الحسن، (ت٦٨٦هـ=١٢٨٧م)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تحقيق: د.عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- الزبيدي، عبداللطيف بن أبي بكر الشرجي، (ت٨٠٢هـ=١٤٠٠م)، ائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، تحقيق: د.طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، عمان، ط٣، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.
- السبيهي، محمد عبدالرحمن، مسائل الخلاف النحويّة في ضوء الاعتراض على الدليل النقل، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ.

- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ = ١٥٠٥م): **الأشباه والنظائر في النحو**، ج ٢، د.فائز ترحيني، دار الكتاب العربي، ط ٣، بيروت، ١٩٩٦م.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.
- ابن الشجري، هبة الله بن علي، (ت ٥٤٢هـ = ١١٤٨م)، **الأمالى الشجرية**، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- الصاعدي: سامية بنت صالح، **أدلة الاحتجاج العقلية عند ابن مالك في شرح التسهيل**، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
- أبو طاهر، إسماعيل بن خلف المقرئ، (ت ٤٥٥هـ)، **العنوان في القراءات السبع**، تحقيق: د.زهير زاهد، ود.خليل العطية.
- ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن القرشي، (ت ٧٦٩هـ = ١٣٦٨م)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: لمحمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٩٨٠م.
- العكبري، عبدالله بن الحسين، (ت ٦١٦هـ = ١٢١٩م)، **التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين**، تحقيق: د.عبدالرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، ط ١، ٢٠٠٠م.
- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، (ت ٤٣٧هـ = ١٠٤٦م)، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

- الكيشي، شمس الدين محمد بن أحمد، (ت ٦٩٥هـ = ١٢٩٦م)، الإرشاد إلى علم الإعراب، تحقيق: د. عبدالله علي الحسيني البركاتي، ود. محسن سالم العميري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م.
- المبرد، محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥هـ = ٨٩٨م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، (ت ٥١٨هـ = ١١٢٤م)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.
- الناغوي، محمد طيب فانكا، حروف الجر وأثرها في الدلالات، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط ١، ٢٠٠٢م.
- النجار، د. لطيفة إبراهيم، منزلة المعنى في نظرية النحو العربي: دار العالم العربي، دبي، ط ١، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- ابن هشام، عبدالله بن يوسف، (ت ٧٦١هـ = ١٣٦٠م):
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٣ ج، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط ٦، ١٩٨٠م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧م.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله، (ت بعد ٣٩٥هـ = بعد ١٠٠٥م)، الفروق اللغوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ابن يعيش، يعيش بن علي، (ت ٦٤٣هـ = ١٢٤٥م)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

Research sources

- Al-Ashmouni, Ali bin Muhammad, (c. 900 AH = 1495 AD), explained al-Ashmouni to Alfia Ibn Malik, 4 c, printed with the footnote of Sabban, And with the explanation of evidence for the eye:, investigation: Taha Abdel Raouf Saad, the library of conciliation, Egypt.
- Dr.. Emile Badi Yaqoub, The Detailed Dictionary in Arabic Language, Dar al-Kuttab al-'Ulami, Beirut, Lebanon, 1, 1417 AH, 1996.
- Anbari, Abdul Rahman bin Mohammed, (T 577 AH = 1181 AD)
- Fairness in matters of dispute between the visual and Kufian grammarians, investigation and study: d. The quality of Mabrouk Mohamed Mabrouk, reviewed by: Dr. Ramadan after Tawab, Al-Khanji Library in Cairo, 1, 2002.
- The statement in the strange expression of the Koran, 2 c, investigation: d. Taha Abdel Hamid Taha, and review of Mustafa El Sakka, the Egyptian General Book Organization, 1400 AH = 1980.
- Al-Baqouli, Ali ibn al-Hussein, (about 543 AH = about 1148 AD), the expression of the Koran, the Egyptian

Book House, Cairo, and the House of the Lebanese Book, Beirut, 4, 1420 AH.

- The Book of Knowledge, Istanbul, 1951, reprinted with the offset in the House of Revival of Arab Heritage, Beirut, Lebanon.
- Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Omar, (T 1093 AH = 1682 AD), the treasury of literature, investigation: Abdul Salam Mohammed Harun, the library of Al-Khanji in Cairo, I 3, 1409 AH = 1989 AD.
- Gran Oud, Amer bin Harith, Nimeiri, Diwan, work of Abu Jaafar Mohammed bin Habib, the novel of Abu Saeed Hassan bin Al Hussein diabetes, investigation and appendix: d. Nuri Hamoudi Al-Qaisi, Publications of the Ministry of Culture and Information, Republic of Iraq, Dar Al-Rasheed, 1982.
- Ibn Jinni, Othman Ibn Gnay, (c. 392 AH = 1002 AD), Characteristics, 3C, Investigation: Mohamed Ali Alnajjar, Dar Al Kitab Al Arabi, Beirut.
- Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf al-Andalusi, (v. 745 AH = 1344 AD), the reverberation of beatings from the tongue of the Arabs, 4 C, investigation: d. Ragab Osman Mohamed, reviewed by: Dr. Ramadan Abdul

Tawab, publisher of Al-Khanji Library in Cairo, 1, 1418 AH = 1998.

- Al-Khawarizmi, issued by Al-Qasim bin Al-Hussein, (617 AH = 1220 AD), the nomination of the ills in explaining the camel, prepared by Adel Mohsen Salim Al-Amiri, Umm Al-Qura University – Makkah, 1419 AH = 1998.
- Ruba ibn al-Ajaj, (d. 145 AH = 762 AD), Diwan Ruba bin al-Ajaj, investigation: William bin al-Ward, the new horizons, Beirut, I, 2, 1980.
- Radhi al-Din al-Astrabadi, Muhammad ibn al-Hasan, (d. 686 AH = 1287 AD), explaining al-Razi on sufficient Ibn al-Hajib, Abdel Aal Salem Makram, World of Books, Cairo, I 1, 1421 AH = 2000 AD.
- Al-Zubaidi, Abdul Latif bin Abi Bakr Al-Sharji, (802 H = 1400 AD), the coalition of victory in the difference of Kufa and Basra women. Tariq al-Janabi, World of Books, Beirut, 1, 1407 AH = 1987 AD.
- Samurai, Fadel Saleh, meanings of grammar, Dar Al-Fikr, Amman, I 3, 1429 H = 2008 AD.
- Al-Sabihin, Muhammad Abdul-Rahman, Issues of Grammar Controversy in the Light of Objection to the

Manual of Transport, Mohammed bin Saud Islamic University, 1425H.

- Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, (T 911 AH = 1505):
- Analogues and isotopes in syntax, 2c, d. Fayez Tarhini, Dar al-Kitab al-Arabi, 13, Beirut, 1996.
- In order to be aware of the layers of linguists and grammarians, the investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Fikr, Beirut, 2, 1399 AH = 1979 AD.
- Explaining the collection of mosques, the investigation of: Ahmed Shams al-Din, Dar al-Kuttab al-Sulti, Beirut, Lebanon, 1, 1418 AH = 1998.
- Ibn al-Shagari, Heba Allah ibn Ali, (d. 542 AH = 1148 AD), the amali of trees, Dar al-Maarifah, Beirut.
- Al - Saadi: Samia Bint Saleh, evidence of mental protest at Ibn Malik in explaining the facility, Umm Al - Qura University, 1429 AH = 2008.
- Abu Taher, Ismail bin Khalaf reciter, (p. 455 e), the title in the seven readings, investigation: d. Zuhair Zahed, Dr. Khalil Al-Attiyah.
- Ibn Aqeel, Abdullah bin Abdul Rahman al-Qurashi, (769 AH = 1368 AD), Ibn Aqil's commentary on Alfia Ibn

- Malik, and with him the grant of the Galilee to achieve the explanation of Ibn Aqil: Muhammad Mohieddin Abdul Hamid, Heritage Library, Cairo, 20 1980.
- Al-Akbari, Abdullah ibn al-Hussein, (616 AH = 1219 AD), the definition of the doctrines of grammarians, visual and Kufayn, investigation: d. Abdul Rahman Al-Othaimeen, Obeikan Library, 1, 2000.
 - Al-Qaisi, Abu Muhammad Makki ibn Abi Talib, (p. 437 AH = 1046 AD), the problem of the interpretation of the Koran, investigation: d. Hatem Saleh Al-Daman, Dar Al-Bashaer, Damascus, 1, 1424 AH = 2003 AD.
 - Al-Kishi, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad (d. 695 AH = 1296 AD), guidance to the science of expression, investigation: Dr. Abdullah Ali Al-Husseini Al-Barakati, Dr.Mohsen Salim Al-Amiri, Umm Al-Qura University, Makkah.
 - Al-Mursi, Muhammad ibn Yazid, (285 AH = 898 CE), full of language and literature, investigation: Muhammad Ahmad Al-Dali.
 - The Field, Abu al-Fadl Ahmad bin Mohammed, (v. 518 AH = 1124 AD), Complex of Proverbs, investigation: Mohammed Mohiuddin Abdul Hamid, the printing of the year Muhammadiyah, 1374 AH = 1955 AD.

- Nagu'i, Muhammad Tayyib Fanka, Prepositions and their Implications in Semantics, Publications of the Faculty of Islamic Call, Libya, 1, 2002.
- Najjar, d. Latifa Ibrahim, The Status of Meaning in Arabic Grammar Theory: Dar Al-Alam Al-Arabi, Dubai, 1, 1424 AH = 2003 AD.
- Ibn Hisham, Abdullah ibn Yusuf, (d. 761 AH = 1360 AD):
- The Path to the Millennium Ibn Malik, 3 C, Investigation: Mohamed Mohieddin Abdel Hamid, Dar Al Nadwa Al-Jadida, Beirut, I, 6, 1980.
- Al-Labib Singer for Al-A'areeb Books, Investigation: Muhammad Mohieddin Abdel Hamid, Modern Library, Sidon, 1987.
- Abu Hilal al-Askari, al-Hasan ibn Abdullah, (after 395 AH = after 1005 AD), linguistic differences, investigation: Hossam al-Din al-Qodsi, Dar al-Kuttab al-Alami, Beirut.
- Ibn Hayesh, Hayy ibn Ali, (d. 643 AH = 1245 AD), Explanation of the detailed, World of Books, Beirut.

"مضامين الموشحات النبوية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة"

* الدكتور علي پيرانی شال

* الدكتورة سودابة مظفری

* الدكتورة فاطمه كنج خانلو

الملخص

هذا البحث يتناول مضامين الموشحات النبوية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، حيث وقف عدد كثير من الشعراء إلى جانب الرسول عليه الصلاة والسلام مادحين و مدافعين وذاكرين فضله و عظمة الرسالة الإسلامية التي بعثه الله بها هداية للعالمين وبقي ذكره يتردد دوماً على ألسنة عامة المسلمين في عباداتهم و صلواتهم و أعيادهم الدينية ومناسبات أفراحهم وأحزانهم مسترحمين ومتوسلين به أن يكون لهم شفيعاً عند الله فاتحاً لهم سبحانه وتعالى أبواب رحمته الواسعة في الدنيا والآخرة.

تدور هذه الدراسة على أساس منهج وصفي وتحليلي واستنتاجي حول نشأة الموشحات النبوية وأشهر وشاحي الموشحات النبوية ومضامين الموشحات النبوية. في النهاية يمكن حصول هذه النتيجة من الدراسة: قدمت هذه الدراسة صورة صادقة لمدح النبي عليه الصلاة والسلام وهي العاطفة التي تقوم عليها الموشحات النبوية أساساً وإن الوشاحين حاولوا استقصاء فضائل النبي وصفاته الكريمة وحرصوا على ذكر معجزاته الباهرة وأظهروا حبهم العميق له.

الكلمات الرئيسية: مدح النبي، الموشحات النبوية، القرنين الحادي عشر والثاني

عشر.

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خوارزمي

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خوارزمي

* خريجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة خوارزمي

prophetic acrostic” in 11th and 12th centuries

Abstract:

Prophetic eulogies is a kind of eulogy that has come into being during the noble life of the Prophet Muhammad (pbuh), poet in this technique which is one of the oldest types of poetry describes prophetic traits (pbuh) and his virtues and miracles, resorting, intercede and...

This type of poem can be studied according to ages and different types and from one poet to other one. Among prophetic eulogy types we can note to the technique of "prophetic acrostic".

"Prophetic acrostic" reaches its peak of appearance and emergence in 11th and 12th centuries AH. A eloquent acrostic-writer poets of these two centuries outstripped from their fellows in praising **Khatam**-Al-Nabiyyin (pbuh).

This paper is intended to remove dust from the curtain of "prophetic acrostic" in 11th and 12th centuries AH and show a part of glitter of acrostic-writer poets' artistry, so in this opportunity it is tried to study the political.

Keywords: Prophetic Eulogies, Prophetic Acrostics, 11th and 12th Centuries

١. المقدمة

هدفت هذه الدراسة البحث في فترة زمنية من فترات تاريخ الأدب العربي لم يخدمها الدارسون بالشكل الذي يستحقه بالشعر الذي أنتجه شعراء هذه الحقبة ذات المكانة الدينية والتاريخية، أي عصر الضعف والركود للدولة العثمانية من الناحية السياسية، العصر الذي شهد تنازع أصحاب السلطات للسيطرة على مقاليد الأمور، والإضطرابات السياسية والفتن والحوادث شبه المستمرة.

في دواوين الشعر العربي أشعارٌ كثيرةٌ تختص بمدح النبي وتشكل هذه المدائح جانباً مهماً من تراث الأدب العربي، أنشدها الشعراء منذ صدر الإسلام إلى العصور التي تلتها، وقد تطور إلى يومنا هذا. حتى برز بعد ذلك فناً من فنون الشعر، وهو لون من التعبير الأدبي عن العواطف الدينية ومحور من الأدب الرفيع لأنه لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالإيمان مليئة بالإعجاب بشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام.

لم يحتف الشعر بشخصية من الشخصيات مثلما احتفى بشخصية الرسول، فكانت شخصيته عليه السلام يهتم بها جميع المسلمين وخاصة الشعراء، وإن مدّاحي النبي في كل عصر ومصر كثيرون لا يحصيهم عدّ ولا يحيط بهم حدّ، ولو جمعت مدائح أهل عصر واحد منهم لبلغت عدة مجلدات، وكثير منهم نظموا في ذلك دواوين كثيرة على أنحاء مختلفة.

بعد بزوغ شمس الإسلام في الأندلس وظهور فن الموشح فيها استطاع المسلمون أن يشيّدوا صرح حضارة فريدة امتزجت فيها مؤثرات الشرق بمؤثرات الغرب، وتميّزت بالابتكار والتجديد في كثير من المجالات، على هذا ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذا السؤال الواحد:

- ما هي أهم مضامين الموشحات النبوية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة؟

في هذا البحث سنحاول مناقشة الفرضية المقترحة التي تخطر ببالنا على أساس المنهج الذي اعتمدناه وهو المنهج التاريخي، الأدبي والتحليلي والاستنتاجي، ومن هذه الفروض:

- من أهم مضامين هذه الموشحات يمكن الإشارة إلى صفات النبي ومعجزاته والحب والمحبة وولادته ونبوته والنور المحمدي والخمريات العرفانية في الحضرة المحمدية...

وما يزيد من أهمية الموضوع أنه موضوع جديد ولم يتطرق إليه في الدراسات السابقة ولم يحظ بعناية الباحثين كما حقه، وكان بداية تجربة تخوض غمار البحث العلمي والمنهجي، لذلك يحتاج هذا البحث إلى تتبع كثير ودراسة معمقة تسهل الوصول إلى معرفة هؤلاء الشعراء وتطلع القارئ على دورهم في الأدب العربي. ولكن ثمة دراسات أنجزت حول القرنين الحادي عشر والثاني عشر والمدائح النبوية؛ منها: "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" لمحمد أمين المحبي، "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر" لمحمد خليل المرادي، "نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة" لمحمد أمين المحبي، "ديوان الحقائق و مجموع الرقائق" لعبد الغني النابلسي، "المجموعة النبهانية في المدائح النبوية" ليوסף بن إسماعيل النبهاني.

٢. ظهور الموشحات النبوية

ظهر فن الموشح في البيئة الأندلسية ولكن لم يكن مدح الرسول غرضاً من أغراض الموشحات الأندلسية قبل أن يكون غرضاً من أغراض الموشحات

المشرقية. فقد عرفت بلاد الشام هذا الغرض في الموشحات قبل منتصف القرن السابع على يد الششتري الذي ضم ديوانه عدة موشحات من هذا النوع قالها بعد زيارته لقبر الرسول، بينما لم تعرفه الأندلس إلا في النصف الثاني من القرن الثامن على يد عبدالله بن زمرك المتوفى في سنة ٧٩٥ هـ (رحيم، ١٩٨٧ م: ٢٥٥).

وفي العصر العثماني كثرت الموشحات التي تتناول المدائح النبوية كثرة بالغة. وربما كان لإغلاق الحكام أبوابهم في وجوه الناس وإغلاق آذانهم عن سمع شكاويهم، فلم يجد الشعراء أمامهم إلا أعظم البشر وأفضل الممدوحين صاحب الشفاعة، فمدحوه و توسّلوا إليه لرفع الضر وإزالة السوء (الأفندي، ١٩٩٩ م، ٦٦).

إنّ الششتري أول من نظم موشحات في المدائح النبوية، وقد أدّى فريضة الحج عدة مرات، و زار قبر النبي وهذا الأمر ظاهر في شعره ثم رحل إلى الشام عام ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ م)، واجتمع في دمشق بالنجم بن إسرائيل الصوفي المشهور وتبعه في الموشحات النبوية (الششتري، ١٩٦٠ م: ١٢) أما القرن الثاني عشر فهو ذروة الموشحات النبوية حيث شارك فيها أغلب الوشاحين في بلاد الشام، وتباروا في تحقيقها (رحيم، ١٩٨٧: ٦٨).

٣. أشهر ناظمي الموشحات النبوية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر

- أبوبكر بن منصور بن بركات العمري الدمشقي هو شيخ الأدب بدمشق، جمع شعره بين براعة الألفاظ وحسن المعاني وجودة التركيب (المحبي "خ"، (لا تا)، ج ١: ٩٩-١٠١).

- إسماعيل بن عبدالحق الحمصي الأصل الدمشقي الشافعي القاضي الفاضل الأديب الشاعر، الرقيق المكثر (المحبي "ن"، (لا تا): ١٦)، يقال عنه: «فلو

- أدركه أبو الفرج الإصبهاني لوشح بأصوات موشحاته كتاب الأغاني»
(المحبي "خ"، (لاتا)، ج ١: ٣٧٥-٣٧٦).
- عبدالكريم بن محمد الحسيني الشهير بابن حمزة الحنفي الدمشقي، ولد عام ١٠٥١ هـ، له موشح وديوان شعر فيه عدة مدائح نبوية (درنيقة، ١٩٩٦م: ٢٤١).
- محمد بن حسن وادي الصيادي (أبو الهدى) هو من أشهر علماء الدين في عصره ولد في خان شيخون بالقرب من حلب سنة ١٢٦٦ هـ (المصدر نفسه: ٣٤٤).
- زين العابدين بن أحمد بن زين العابدين (ق ١١) من السادات البكرية، يقال عنه: «لم تزل أخباره حظ القلوب والمسامع، و آثاره حلية الأفواه ورونق المجامع» (المحبي "ن"، (لاتا)، ج ٢: ١٥٤).
- معين الدين محمد الدماوندي (ق ١١-ق ١٢)، ورد في بابيه: «محمد بن عبدالرحيم بن قاضي خان الدماوندي، معين الدين عالم فاضل أديب منشئ جيد الإنشاء شاعر بالفارسية. له معرفة بالجفر والعلوم الغربية، من أعلام القرن الثاني عشر» (الحسيني، ١٤١٤ هـ: ٥١٧).
- عبدالحى بن علي الشهير بالخال الحنفي الدمشقي (ق ١٢)، ورد في ذكره: «كان أعجوبة وقته له مهارة في نظم الشعر والمواليا و الموشح والهزل وغالب هذه الفنون» (المرادي، ١٤٠٨)، ج ٢: ٢٤٤).
- أحمد بن عبدالحى (...-١١٢٠ هـ) الحلبي المنشأ رحل إلى الفاس وكان مذهبه الشافعي وصوفيا وأديبا وشاعرا، وتوفي في شهر جمادى الثانية (كحالة، ١٩٥٧م: ٢٦٣).

- عبدالرحيم بن علي المخللاتي الشافعي الدمشقي ولد بدمشق في سنة (٤٠٢ هـ ، ١٠١١ م) ، عالم أديب فاضل شاعر، يقال أن له من شعر «تنبئ عن قوة إقتداره وتفصح عن جولانه في النظم ومقداره» (المرادي، (١٤٠٨)، ج ٣: ٦-٧).
- الشيخ عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني الحنفي النابلسي الدمشقي النقشبندي القادري المولود سنة ١٠٥٠، المتوفى ١١٤٣ هـ (أميني، ١٩٧٧ م: ٤٨). ذكر في بابيه: «شاعر عالم بالدين والأدب، أكثر من التصنيف، متصوف» (الزركلي، ٢٠٠٢ م: ٢٧).

أما عن موشحاته فإنه يعد أبرز وشاحي هذا العصر أهمية، ليس من حيث إجادته أو إبداعه وخصوصيته فيما نظم فحسب بل لأن غزارة موشحاته أكثر من الوشاحين المشاركة في هذه الحقبة، وله خمس وسبعون موشحة (الأفندي، ١٩٩٩: ٢٢).

- سعدي بن عبدالقادر العمري الشافعي الدمشقي المعروف بابن عبدالهادي (ت ١١٤٧ هـ) «كان من محاسن أدباء دمشق، مفناً كاملاً ولد بدمشق بعد الثمانين وألف ونشأ بها» (المرادي، (١٤٠٨)، ج ٢: ١٥١).

- يوسف بن إسماعيل ناصرالدين النبهاني (١٢٦٥-١٣٥٠)، شاعر وأديب صوفي، من رجال القضاء، تعلم بالأزهر، ينتسب إلى بني نيهان من عرب البادية بفلسطين. (لا مؤلف، الوفيات و الأحداث، (لا تا)، ج ١: ٢٠١)

٤. مضامين الموشحات النبوية

تناولت المدائح النبوية موضوعات و مضامين متنوعة و على طرائق مختلفة، فبعض الشعراء مدحوه بصورة تقليدية كما جرت عليه العادة في مدح ساداتهم، و بعضهم مدحوا النبي مدحاً دينياً لمكانته السامية التي لا يدانيه فيها أحد، و بعضهم

مدحوه مدحاً خلقياً، و بعضهم أظهروا أثره في البشريه و بعضهم حرص على إظهار مناقبه و معجزاته و بيان مواطن العظمة في سيرته، و نظم الآخرون موشحات يتشوقون فيها إلى زيارة مقامه الكريم، و بعضهم نظموا موشحات يتبركون بآثاره الكريمة. ما يجلب الانتباه إلى أنَّ المادحين جميعاً يعترفون بتقصيرهم في مدحه و بعجزهم عن إيفاء حقه و من الموضوعات الرئيسية في هذا الغرض:

٤-١- صفات الرسول و فضائله

يحرص الشعراء بذكر خَلق النبي وخلقِهِ. حَبى الله نبيه صفات عظيمة جليلة، صفات خُلقية ظهرت على سلوكه القويم كما وصفه ربّه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/٤) و صفات خُلقية ظهرت على جسمه الشريف وجوارحه الطاهرة. ولم يكن مستغرباً أن تظفر صفات الرسول بحيز كبير بين موضوعات الموشحات النبوية، فذلك من الموضوعات الرئيسية في هذا الغرض. الجدير هنا ذكر رشفة من بحر فضائل النبي وصفاته التي ذكرت في الموشحات النبوية.

فهذا سعدي بن عبدالقادر المعروف بابن عبدالهادي؛ يعرفه بأنه أعلى من أطر الفكر والعقل ولم يقدر العقل على تحمل غاية فضائله وإن القلم يستعفي من ذكر صفاته ويعترف بأن تتعب الألسن من تصوير علو حضرته فيقول:

ضاقَ دَرْعُ اللَّبِّ و الفكرِ الصحيح عن مدى عُليّك و استعفى اليراع

وَتَحَامَى و صفّها كُلُّ فَصيح بعدما جَفَّتْ عُيُونُ الاختراع

هل يفِي بالقولِ مَنْ رام المديح والمنى لزمَنِ لا تُسْتَطَاع

فإذا المادحُ أثنى اعترفاً بعلأ تُعَيِّي جميعَ الألسُن^(١)
(النبهاني، (لا تا): ٤٢٩-٤٣٠)

يعترف الوشاحون أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعدّ صفات النبي، ويخاطبون النبي قائلين بأن محال أن يقصد حالك الأعلى ولا مثيل لصفاتك وعجزت الأفهام عن فهم عظمتك ويطلب الشعراء من النبي غض نظره والصفح الجميل الذي لا عتاب معه بسبب نظم هذه الأبيات ويشيرون إلى صفات النبي التي لن توصف ويشيرون إلى عجز الإنسان الذي هو شديد الذكاء وصادق الفراسة أمام هذه الأوصاف:

شأنك الأسنى مُحالٌ أن يُرامَ وَ الحَلَى بِالْعَزِّ تَعْلُو عَنْ مَثِيلِ
من بها الأفهامُ أَعِيَتْ وَالْأَنَامُ حَاشَ أَنْ يَسْطِيعَهَا إِلَّا الْجَلِيلُ
هَبْنِي الإِغْضَاءَ عَنْ هَذَا النِّظَامِ لَكَ يُتْلَى فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ
كم معانيك التي لَنْ تُوصَفَا أَفَحَمَتِ لِلْوَدْعِي الْفَطْنُ^(٢)
(المصدر نفسه: ٤٣٥)

ومن هذه الأوصاف:

حَبَّذَا مَنْ خُلِقَ الغُصْنُ الوَضِيّ

(١) معنى المفردات: ضاق ذرعه عن كذا: لم يقدر على تحمله، اللب: العقل، المدى: الغاية، اليراع: القلم،

الإختراع: الإبداع، الرّمن: المقعد، تعيي: تتعب.

(٢) معنى المفردات: الشأن: الحال، الأسنى: الأعلى. يرام: يقصد. الحلى: صفات. أعيّت: أعجزت. الصّفح: الصفح

الجميل: اذي لا عتاب معه. أفحمت: أعجزت. اللودعي: شديد الذكاء، صادق الفراسة.

حَبَّذَا مَنْ خُلِقَ الْغَضَّ الرَّضَى

حَبَّذَا مِنْ جِسْمِهِ الْبُضَّ الطَّرَى

حَبَّذَا مِنْهُ وَعَوْدٌ مِنْ جَفُونٍ غَيْرَ خَوَانَةٍ مَوَدَاتِ الْأَمَانَةِ

(المحبي "ن"، (لا تا)، ج ١: ١٦٥)

ناظمو الموشحات النبوية حاولوا قدر استطاعتهم قَدَمَ الفضل لرسول الله، وأن يوضحوا صفاته وميزاته فكرروها في جميع أشعارهم، حريصين على أن لا يفوتهم شيء منها ليظهروا ما كان عليه رسول الله من العظمة و السمو في الجانب الديني والجانب الإنساني.

٤-٢- الحب و المحبة

من المضامين التي توجد في كثير من الموشحات النبوية هو حب الرسول. فأظهر جميع مدّاحي النبي محبتهم لرسول الله وتشوقهم لزيارته وحنينهم إلى التقرب منه. كما يقول الشاعر الأديب يوسف بن إسماعيل النبهاني:

وَبِقَلْبِي مُسْتَقَرٌّ حُبُّهُ بِهِوَاهُ لَمْ أَزَلْ أَعْمُرُهُ
أَعْظَمُ النِّعَمَةِ أَنِّي صَبُّهُ دَائِمًا أَحْمَدُهُ أَشْكُرُهُ

(النبهاني، (لا تا): ٤٤٩)

و محبة المسلمين للنبي دفعتهم إلى محبة أهل البيت، كما يقول أحد تلاميذ عبدالغني النابلسي:

أَوَّلِي فَضلاً شَهِيدُ الدَّارِ وَالْمَنْزِلِ
وَأَنْقُلِ فَضَائِلَ الْأَفْضَلِ فَالْأَفْضَلِ

لَأَحُولَ مَا عِشْتُ عَنْ مَدْحِي لآلِ الرَّسُولِ
وَالْعَدُولِ فِي حُبِّهِمْ لَمْ أَدْرِ مَاذَا يَقُولُ
كَمْ فُصُولُ نَظْمُهَا فِي مَدْحِ زَوْجِ الْبَتُولِ^(١)
(النبهاني، (لا تا): ٤٤٧)

كما دفعت محبة الرسول السليمة المسلمين إلى محبة المهده الشريف، و قلوب المحبين تتطلع نحو طيبه، وأرواحهم تتشوق إلى زيارة البقاع المباركة وحج بيت الله الحرام. يشير يوسف النبهاني إلى أرض مكة وأعمال الحج وحنينه إلى هذه البقاع الشريفة و يشكر الله تعالى لحجه و شربه من سلاف زمزم، قبل مدحه للرسول فيقول:

لَسْتُ أَنْسَى زَمَنًا قَدْ سَلَفَا فَيْكَ يَا مَكَّةُ بِالْعَيْشِ الْهَنِيِّ
إِذْ مِنَ الْمَرَوَةِ أَسْعَى لِلصَّفَا وَبِذَاتِ الْخَالِ وَجِدِي عَمَنِي
حِينَ أَغْدُو طَائِفًا مِنْ حَوْلِهَا أَتَهَادَى مِثْلَ صَبٍّ ثَمَلٍ^(٢)
(المصدر نفسه: ٤٥٦-٤٥٧)

(١) معنى المفردات: البتول السيدة فاطمة سميت بذلك لأنها بُتلت أي قُطعت عن نساء زمانها و فاقتهم بالفضل.

(٢) معنى المفردات: ذات الخال المراد بها الكعبة زادها الله شرفا و خالها الحجر الأسود. الوجد: شدة الحب. تهادى: مشي متمائلاً مشياً غير قوي. الثمل: السكران.

٤-٣- الولادة و النبوة

كان مولد الرسول من الموضوعات التي عني بها الشعراء فوصفوها بما يستحق من الأوصاف، وأول ما يلفت النظر في تمجيد يوم مولده في المدائح النبوية هو الحديث عن الإرهاصات التي صحبت مولد النبي والتي جاءت في قصة مبعثه وقد روتها كتب الأدب وألمت بها كتب السيرة (العَمَّاري، ١٣٨١هـ: ٢٧٢-٢٧٤).

و قد أورد أصحاب الموشحات النبوية هذه الظواهر في أشعارهم، يشير أحدهم إلى بعضها، وما يمكن استقصائه، ومنها يمكن الإشارة إلى قول محمد سعيد أفندي:

حِينَ زَادَ الْوُجُودَ مِنْكَ ظُهُورٌ مَلَأَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ نُورٌ
وَعَلَا نَيْرَانُ كَسَرَى الْفُتُورِ وَتَدَاعَى الْإِيوَانُ وَالْدِيَّجُورُ
وَأَضَاءَتْ قُصُورَ بَصْرِ الْعِظَامِ فَعَلَيْكَ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
(الأفندي، ١٩٩٩م: ٦٧)

تغنّى الشعراء بمناسبة مولد منقذ البشرية، وبزوغ شمس النبوة مولد الخير والبركة، و صوروا ليلة مولده التي فاح فيها العود و غنى القمر و انتشى الكون فرحاً وهلل معه البشر وشق ظلام الليل، إضافة إلى هذا يلحظ الباحث أفراح الوشاحين في الموشحات النبوية بمناسبة مبعث رسول الله وشفيع الناس يوم القيامة والداعي إلى دار السلام. كما يقول عبدالغني النابلسي:

أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْنَا بِالْكَرَامَاتِ الْعِظَامِ
أَحْمَدَ الْمُخْتَارَ طَه سَيِّدَ الرُّسُلِ الْكَرَامِ
فَنَهْنُؤُا يَارْفَاقِي نَلْتُمُو كُلَّ الْمَرَامِ
بِالَّذِي قَدْ جَاءَكُمْ يَدُ غُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ
(النابلسي، ١٣٠٦هـ: ٣٤٤-٣٤٥)

يوجد في الموشحات النبوية حديث عن المعجزات التي ذُكرت إليها في كتب السيرة. وصار ذكر المعجزات سمة عامة في المدائح النبوية، وحاول الشعراء أن يحشدوا أكبر قدر من المعجزات في موشحاتهم النبوية. يقول يوسف النبهاني:

(النبهانی، (لا تا): (٤٦١)

الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى الثَّابِتَ الْجَنَّانَ ذِي السُّؤْمِي الْمِمْوَنَ
مَنْ حَبَاهُ اللَّهُ بِالْآيِ الْحَسَنِ وَالنَّبِيَّ الْمَكِينِ
(كَنُون، (لا تا): ٩٢٦)

وتحدث الشعراء عن الإسراء و المعراج و وصفوا كيفية إسرائه ومعرجه
وشددوا على مكانة الرسول عند ربه التي لا يدانيه فيها أحد و يقولون إنه تابع رحلته

واخترق سبع سموات طباقاً حتى بلغ مكاناً لم يصل إليه مخلوق غيره قط فحاز خلال ذلك كل عزّ وفخار. يشير عبدالرزاق الدمشقي إلى معجزات النبي قائلًا:

سَيِّدِ الرُّسُلِ وَمَنْ وَافَى خِتَامَ وَرَقَى مِعْرَاجَ قُرْبٍ وَشُـهُودِ
مَلَجًا الرَّاجِينَ طَهَ المصطفى أحمدُ الهادي لِخَيْرِ السُّنَنِ
مَنْ سَعَى شَوْقًا لَهُ صَلْدُ الصِّفَا ثُمَّ حَيَّاهُ بِصَوْتِ حَسَنِ
كَمْ لَدَيْهِ مُعْجَزَاتٌ بَهَرَتْ مِثْلَ نَبْعِ الْمَاءِ صَفَاءً كَزُلَالِ أَحَادِيثِ
وَأَحَادِيثُ لَهُ إِنْ نَثَرَتْ تَلَمَّسُ الْحَسَنَاءُ مَنْظُومَ اللَّالِ
يَا نَبِيَّاسَارَ حَتَّى ظَهَرَتْ حَضْرَةُ الذَّاتِ لَهُ جُنَحَ اللَّيَالِ^(١)
(النبهاني، (لا تا): ٤٤١-٤٤٢)

يمكن القول إنّه معجزة الإسراء والمعراج معجزة مشتركة بين المدائح النبوية، وأكثر الشعراء يذكرون هذه المعجزة وهنا لا مجال لإيراد إلى نماذج كثيرة منها.

٤-٥- التوسل والتشفع

أكثر الشعراء من التوسل إلى الرسول والتشفع به. ويشغل هذا الموضوع حيّزاً كبيراً في أدوار الموشحات النبوية. فذكر أكثر الشعراء في موشحاتهم النبوية طلب شفاعته النبي والتوسل به، فأضحى التوسل والتشفع أحد أركان المدحة النبوية، إن الشعراء يذكرون صفات النبي وسبب لجوئهم إليه في هذه الموشحة، لأن النبي لا

(١) معنى المفردات: وافى: أتى. السنن: أصل معناها الطرق ثم غلب استعمالها في الأحكام الشرعية التي

وردت عنه صلى الله عليه وسلم لأنها طرق الهدى والرّشاد. الصلد: الصعب. الصفا: الحجر الأملس.

التحية: أصل التحية أن يدعو له بطول الحياة. بهرت: غلبت. الزلال: الماء العذب.

يخيب من يلجأ إليه. ويشيرون إلى كثرة ذنوبهم و يطلبون من الرسول أن يشفع لهم في الموقف الأطول و أن يأخذ بيدهم بحق قلبهم المنكسر. كما يحرص الشيخ عبدالرحمن البهلول الدمشقي على التوسل بالرسول الكريم و يطلب اللجوء إليه والحماية عن كل ما يحزنه ويستغيث به:

عَلَّنِي أَدْرَجَ فِي سِلْكَ الْأَلَى	ظَفَرُوا مِنْكَ بِتَوْفِيقِ السَّدَادِ
رَاقِيًا بُحْبُوحَةَ الْفُوزِ بِلا	مِحْنَةً أَسْلُكَ فِي نَهْجِ الرَّشَادِ
سَيِّدِي اقْبَلْنِي وَكُنْ لِي مَوْلًا	لَيْسَ لِي غَيْرَكَ رُكْنٌ وَاسْتِنَادِ
لَنْ يَخَافَ الدَّهْرَ شَادٍ وَصَافَا	حُسْنٌ مَعَنَّاكَ الْبَهِيُّ الْحَسَنِ
فَأَغْنِنِي يَوْمَ آتِي الْمَوْقِفَا	وَاحْمِنِي مِنْ كُلِّ مَا يُحْزِنُنِي ^(١)

(النبهاني، (لا تا): ٤٣٥-٤٣٦)

وتزداد الموشحات في المديح النبوي كثرة في الملمات العامة والخاصة، ويلحظ التوسل بالمديح النبوي في أوقات المجاعات، والجفاف، وقلة المطر، والكوارث الجماعية كالفيضانات وهجوم الجراد والطواعية، والغلاء، وغيرها من المصائب الجماعية كما نجدها في الهموم والأحزان الفردية والكرب والمرض والسجن في حالة الظلم، والإحساس بألم الذنوب وكثرتها، وفي ذلك موشحة لموسى القليبي الأزهرى، يتوسل فيها إلى الرسول الكريم للشفاء من رمد أصابه ولم ينفعه فيه علاج (الأفندي، ١٩٩٩م: ٦٨) فيقول:

شافع الخلق إذا اشتدَّ الظَّما صافع الوسواس

(١) معنى المفردات: السلك: الخيط الذي ينظم به الدرر و نحوه، السداد: الصواب، البجوحة: الوسط،

النهج: وسط الطريق، شاد: صوت، البهي: الحسن.

قد توصلت به أرجو الفرج
فامح آثامي
وأزل عني عنائي والحر ج
واجل إجرامي
وبلطف منك برّد ما وهج
واشف أسقامي

(المحبي، "ن"، (لا تا)، ج ٢: ٢٠١)

وقال عنه المحبي: «فما اخترته من شعره المعسول، هذه القطعة من موشح قاله في التوسل بجاء الرسول. قد كان أصابه رمد، فزال عنه بلطف القادر الصمد» (المصدر نفسه: ٢٠١).

٤-٦- النور المحمدي

من المفاهيم التي شاعت في الموشحات النبوية فكرة النور المحمدي؛ أكثر من أشاع هذه الفكرة عقيدة الفاطمية و فكر التشيع، وهي نظرية دينية اختلف العلماء في مصدرها، فأعادها بعض منهم إلى الإسلام واتجاهاته المتعددة، وبعض آخر منهم يرجعونها إلى المسيحية والفلسفات اليونانية^(١).

أما الظروف التي دعت إلى شيوعها فمنها الصراع العقائدي مع أهل الكتاب ومحاولة مجاراتهم في صفة السيد المسيح وطبيعته، ومنها انتشار التصوف الذي يميل مريدوه إلى الغيبيات والمعجزات. إن ما يفهم من الحقيقة المحمدية في مجملها أن الله تعالى خلق الوجود بخلق نور، وهذا النور هو أفضل مخلوقات الله تعالى، وهو النور المحمدي أو هو النور الذي تجسّد فيما بعد بالنبي محمد (محمود سالم،

(١) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر: الشيخ محمد جعفر الكتاني. ج ١، ص ١٧٢. / تفسير الألوسي:

الألوسي. ج ١٣، ص ٧٧. / سبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي. ج ١، ص ٣٤١. / ذخيرة الدارين

فيما يتعلق بمصائب الحسين: جماعة من المؤلفين. ج ١، ص ٢٣. / و....

١٩٩٦م: ٢٤٧). كما يقول النبي: «أول ما خلق الله نوري المسمى بالرحيم» (المسعودي، ١٣٠٦هـ: ٢٣٥).

لذلك تقدم النور المحمدي على أساس الاعتقاد بأن أول ما خلق الله محمداً فبعثه نبياً وبشره بالنبوة، وقد تسرّبت هذه الفكرة إلى الموشحات النبوية. وقد لاقت الحقيقة المحمدية قبولاً عند الشعراء وحافظوا جميعاً على جوهرها القائم على قدم النور المحمدي الذي خلق قبل الكون والذي فاض عند المخلوقات كلها. كما يشير إليها سعدي بن عبدالقادر العمري بقوله:

واضح الآثار والوجه المنير ساطع النور لآفاق الوجود
جوهري الذات قدسي الضمير غائص الأفكار في بحر الشهود^(١)
(النبهاني، (لا تا): ٤٢٩)

يذكر الشعراء المتصوفون النور المحمدي ويدعون وراثته ويدعون أنه مطلع أنوارهم ويحرصون على أي نسبة بين الرسول وبينهم ولو كان في الأصل، يقول صادق بن محمد بن حسين الحنفي الدمشقي:

وبدت من فرقته شمس الوجود واحتسبناها من الثغر مُدام
وأعار الورد في الروض خُدود وغُصون البان لينا وقوام^(٢)
(المصدر نفسه: ٤٢٣)

(١) معنى المفردات: سطع النور: انتشر. الآفاق: النواحي. القدس: الطهر. الشهود: شهود الحق.

(٢) معنى المفردات: الفرق: محل فرق الشعر من الرأس. احتسبناها: شربناها.

٤-٧- الخمریات العرفانیة فی الحضرة المحمدية

نظم الوشاحون في موشحاتهم النبوية أبياتاً تتجلى فيها مجالس الأنس والشرب، ويصف الوشاحون فيها الخمر ويخاطبون الساقى والمغني ويستعملون فيها مصطلحات الخمریات ويريدون منها المعاني العرفانية. ويعبرون عن الحب الإلهي بالخمرة والمدامة، ووشوها بالرمزية الدالة على الأزلية، أرادوا بها الرمز لكي يكسروا ضيق المكان والزمان؛ ليعبروا عن تجربة لا تحدّها قيود الزمان والمكان. وإذا كانت المدامة رمز الحب الإلهي الأزلي، فإنّ الشعراء يغرقون السامع في نهر جار عذب من الرموز المرتبطة بالخمرة. كما يقول عبدالكريم أفندي الحمزاوي:

مَا احْتَسَاهَا غَيْرُ مَنْ قَدْ عَرَفَا وَغَدَا عَنْ حُبِّهَا لَا يَنْتَنِي
كَمْ بِهَا نَالَ الْأَمَانِي عَارِفُ مُذْ تَرَاءَتْ نَارُ لَيْلَاهُ فَمَالُ
وَالِي حَانَاتِهَا كَمْ وَاصِفٍ لِمَزَايَاهَا دَعَانَا بِاسْتِمَالِ
لَا عَدَانَا مِنْ سَنَاهَا عَاطِفُ أَبَدًا يُعْطِفُنَا نَحْوَ الْجَمَالِ
إِنَّمَا أَعْنِي جَمَالَ الْمُصْطَفَى وَالِدِ الزَّهْرَاءِ جَدِّ الْحَسَنِ^(١)

(النبهاني، (لا تا): ٤١٦)

في هذه الأوصاف لم يبق من الخمر إلا اسمها، إذ إن الشاعر نزع عن الخمر الثوب الحسي وجعله ينأى بجوهره عن دلالة الوضع. يذهب التركيب العرفاني في هذه الموشحات إلى ما يشرح عبدالغني النابلسي شعر ابن فارض: «فالأشباح هي الصور التي عليها الكائنات في عالم إمكانها وعالم إيجادها وقوله كرم متضمن

(٢) معنى المفردات: تراءى لك الشيء: اعترض لتراه. الحانة: محل بيع الخمر. المزايا: الفضائل. السنا:

الضوء. العاطف: المائل.

للعصير الروحاني الذي يكون خمراً، فيسكر العقول بما يلقي إليها من العلوم والحقائق» (البوريني، ١٣٠٦هـ: ١٥٠).

٥. أغراض المطلع و المقدمة

لقد عالج أكثر الوشاحين في مطالع موشحاتهم قصة الدار الدارسة وشببوا بمتنزهات دمشق فوصفوها وحددوا معالمها، وتفننوا في تحديد مواضعها والإشارة إلى ملامحها التي تدلّ على وجودها في الزمن الماضي ضمن بحث عن المدائح النبوية، يمكن فهم هذا الموضوع أن ذلك سنة في أكثر المدائح النبوية فليُقَيّد هنا أنهم نصوا على «أن الغزل الذي يصدر به المديح النبوي يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل، ويتشعب مطرباً بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعُذيب والغوير ولعلع وأكناف حاجر، ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل في ثقل الردف، ودقة الخصر، وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما أشبه ذلك» (مبارك، ١٩٩٢م: ٤٤).

ولا يخفى أن المقدمة الغزلية في هذه الموشحات تدل على أن الشاعر مهّد بها لتكون مقدمة مناسبة لمدائحه النبوية ويمكن فهم المعنى الرمزي لهذه المقدمات عندما يشير الشاعر في موشحته إلى الأماكن المقدسة وضريح النبي حين ذكر مقدمته الغزلية:

كَمْ ضَرِيحٍ لِنَبِيٍّ وَوَلِيٍّ صَارَ مِنْهُ النُّورُ يَبْدُو وَيَزِيدُ
وَالْفَتَى يُدْرِكُ كُلَّ الْأَمَلِ دَائِماً فِي ظِلِّهِ ذَاكَ الْمَدِيدِ

(النبهاني، (لا تا): ٤٠٧)

ومن الظواهر المتميزة للمطلع الغزلي في هذه الموشحات بُعدها عن الصفات الحسية والأوصاف الجسمية فيها، وأنّ الوشاحين يشيرون إلى محمد ضمن ذكر

الأماكن الماضية وذكر الأطلال وصبوتهم وغرامهم. فيطيب للشاعر شهود الحق ليلاً حين ينام الناس وتسكن حركة الأكوان، فيبصر بعين روحه وحبه وقلبه جمال الله الذي يتجلى فيذوب جسده ويخفق قلبه بحب الله تعالى ويصل إلى الله ويفهم أن الله هو حقيقة الحقائق (الأفندي، ١٩٩٩م: ٤٦)

٦. ميزات الخرجات

٦-١- الألفاظ

بملاحظة تناسب الموشحة وطبيعة المقام العام يمكن إنّه يقال أن الموشحة التي تقال في المدح تقتضي في الغالب خرجة تتناسب وحال الممدوح، فإذا كان الجد أغلب على العلاقة بين الممدوح ومادحه لم يستطع أن يتظرف باستعمال خرجة عامية أو عجمية (عباس، ١٩٧٤م: ٢٣٧). في الموشحات النبوية -في القرنين الحادي عشر و الثاني عشر- التي مضمونها هو المدح يجب أن تكون الخرجة مناسبة لتلك الحال، لا بد أن تكون الخرجات معربة. ولاتعرف الموشحات النبوية في الحقبة المذكورة الخرجة العامية أو الأعجمية.

٦-٢- المعاني

من المعاني التي حرص الوشاحون على إبرازها وتشتمل الخرجات عليها هي الصلاة على النبي. إن الصلاة على النبي من ألصق ما يقال بموضوع المدح النبوي، كما حثّ الله تعالى على الصلاة على نبيه بقوله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب/٥٦) وهي عبارة عن تكريم وتشريف لنبي الإسلام محمد، والمكثر من الصلاة والسلام على رسول الله يضرب البرهان الساطع والدليل القاطع على محبته لرسول الله، وإنها سبب لدوام محبة الرسول. وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لم

يتم إلا به، لأنَّ المحب كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسن حبيبهِ فيستضاعف حبّه له وتزايد شوقه إليه، ولذلك فإنّه خرجت الموشحات النبوية في تلك الحقبة مليئة بذكر الصلاة على النبي. كل مسلم يعلم أن أولى الناس بشفاعه الرسول وأحقهم بتقديره وأخصهم بعنايته يوم القيامة، أكثرهم صلاةً عليه ويجب عليه أن يعمل بشريعته ويتمسك بسنته وأن يكثر الصلاة والسلام عليه دائماً. يقول عبدالرزاق الدمشقي:

فصلاةُ اللهِ تَتَرَى كُلَّ حِينٍ وَكَذَا الْأَصْحَابُ أَهْلُ الْأَصْطِطَفَا
دَائِمًا تُهْدَى إِلَى طَه الْأَمِينِ مَا عُبِيدُ يَرْتَجِي حُسْنَ الْوَقَا
مَعَ سَلَامٍ فَاحٍ مِنْ رَوْضِ الْكَمَالِ مَنْ تَحَلُّوا فِي الْهُدَى أَسْنَى الْخِصَالِ
مَنْ أَعَارَ الْكَوْنَ أَنْوَارَ الْجَمَالِ أَنْجُمُ التَّقْوَى بُدُورُ اللَّسَنِ
وَدَوِيهِ الْأَلِ أَرْبَابِ الْيَقِينِ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ وَالْعَيْشِ الْهَنِيِّ^(١)
(النبهاني، (لا تا): ٤٤٢)

والصلاة على النبي مما حرص الوشاحون على ذكرها في موشحاتهم واعتادوا أن يختموا موشحاتهم بها، بوصفها أحد عناصر المديح النبوي. كما يقول الشاعر:

وَصَلَاةُ اللَّهِ وَالتَّسْلِيمُ تَتَرَى
لِلنَّبِيِّ الْمُجْتَبَى كَنْزًا وَدُخْرًا
وَالرِّضَا عَنْ صَحْبِهِ دُنْيَا وَآخِرَى
مَنْ لَهُ اللَّهُ بِجَبْرِيلِ الْأَمِينِ
زَادَ سُلْطَانَهُ وَقَوَى عُنْفُوَانَهُ

(١) معنى المفردات: تترى: متتابعة، أسنى: أعلى.

(المحبي "ن"، (لا تا): ١٦٥)

٧. النتائج

المضمون الأصلي في الموشحات النبوية هو مدح النبي الذي يتألف من الإشادة بأخلاقه وشمائله ومكانته بين الأنبياء، وإنّ الوشاحين استقصوا فضائله وصفاته الكريمة، وحرصوا كذلك على ذكر كثير من معجزاته الباهرة وأظهروا حبهم العميق والقلبي له، بعد ذلك اهتمّ الشعراء بمدح النبي بالحقيقة المحمدية وهي ظاهرة في الأبيات بأن الله خلق النور المحمّدي أولاً ثم خلق جميع المخلوقات. كما وصفوا في موشحاتهم النبوية الخمر وخاطبوا الساقى واستعملوا فيها المصطلحات الخمرية وأرادوا منها المعاني العرفانية. واعتاد الوشاحون أن يختموا موشحاتهم المدحية بالصلاة على النبي وآله غالباً، وورد الصلاة والسلام على الرسول وآله من معاني كثير من الأبيات الأخيرة من الموشحات، ويرددها من أجل التلذذ والتقرير والتأكيد. يعدّ التوسل و طلب الشفاعة أيضاً من الميزات الأساسية في الموشحات النبوية وظهر هذا المفهوم فيها كمؤشر على عمق العاطفة الدينية لدى الوشاحين ومدى اعتقادهم بالآخرة. كما أكثر الوشاحون في هذه الموشحات الإشارات التاريخية وأسماء المواضع والأماكن ذات الصلة بالسيرة وبيئاتها. إن عاطفة الشعراء القوية الصادقة الحارة وتجربتهم الجياشة في حب الرسول وآله، هي تجربة شعورية حقيقية مفعمة بالشوق الدّفاق والصدق الديني الذي لا تشوبه شائبة النفاق أو الرياء.

٨.المصادر

٨-١-الكتب

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الأفندي، مجد ، الموشحات في العصر العثماني، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٩٩.
- ٣- أميني، عبدالحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب: كتاب ديني، علمي، فني، تاريخي، أدبي، أخلاقي، ج٦، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٧.
- ٤- باشا، عمر موسى، تاريخ الأدب العربي العصر العثماني، لا ط، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٩.
- ٥- بكري، أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠.
- ٦- البوريني، حسن، شرح ديوان ابن الفارض، الطبعة الأولى، ج٢، القاهرة، المطبعة العامرة الشرفية، ١٣٠٦.
- ٧- حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تعريب: جورج حداد وغيره، الطبعة الأولى، ج٢، بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٠٠.
- ٨- الحسيني، السيد أحمد، تراجم الرجال، قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤١٤.
- ٩- حمود سالم، محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٦م.

- ١٠- الخراشي، سليمان بن صالح، كيف سقطت الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الرياض، دار القاسم للنشر، ١٤٢٠.
- ١١- درنيقة، محمد أحمد، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٦.
- ١٢- رحيم، مقداد، الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧.
- ١٣- الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ج ٤، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- ١٤- حسن، حسين، ثلاثية البردة بردة الرسول، الدوحة، دار الكتب القطرية (١٤٠٠).
- ١٥- الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي القديم، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.
- ١٦- الشاذلي، محمود ثابت، المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية (١٢٩٩م-١٩٢٣م)، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م.
- ١٧- الششتري، أبو الحسن، الديوان، تحقيق: علي سامي النشار، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦٠م.
- ١٨- الصباغ، ليلى، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول، الطبعة الأولى، سوريا، الشركة المتحدة للتوزيع، ١٩٨٦م.
- ١٩- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة التاسعة، القاهرة، دار المعارف، (لا تا).

- ٢٠- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الخامسة، ج ١، قم، دفتر انتشارات اسلامي جامعه مدرسين حوزة علميه قم، ١٤١٧ هـ.
- ٢١- عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، الطبعة الرابعة، ج ١، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٤ م.
- ٢٢- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج ١، بيروت: دار الإحياء التراث العربي، ١٩٥٧ م.
- ٢٣- كُتُون، عبدالله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج ٣. بيروت، دار الكتب العلمية في لبنان، (لا تا).
- ٢٤- قطب راوندي، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح، ج ٣، قم، مؤسسة الإمام المهدي(ع)، (لا تا).
- ٢٥- (لا مؤلف)، الوفيات والأحداث، ج ١، (لا تا).
- ٢٦- مبارك، زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢ م.
- ٢٧- المحبي، محمد أمين، ذيل نفحة الريحانة، الطبعة الأولى، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧١ م.
- ٢٨- -----، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، دارصادر، (لا تا).
- ٢٩- -----، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، (لا تا).

٣٠- مجاهد، سيد محمد، **مفاتيح الأصول**، ج ١، قم، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، (لا تا).

٣١- المرادي، محمد خليل، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ج ٢، دار ابن حزم، دار البشائر الإسلامية (١٤٠٨).

٣٢- المسعودي، محمد فاضل، **الأسرار الفاطمية**، الطبعة الأولى، ج ١، قم، زائر، رابطة الصداقة الإسلامية، ١٩٥٥م.

٣٣- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، بيروت، دار الفكر، (لا تا).

٣٤- النابلسي، عبدالغني، **ديوان الحقائق ومجموع الرقائق**، الطبعة الأولى، مصر، المطبعة الشرفية، ١٣٠٦هـ.

٣٥- القتال نيشابوري، محمد بن أحمد، **روضة الواعظين و بصيرة المتعظين**، ج ١، قم، رضي (١٤١٧).

٣٦- ياغي، إسماعيل أحمد، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٥.

٨-٢-المقالات

٣٧- جكلي، زينب محمد صبري بيره، "الصورة الفنية في الشعر العربي خلال العهد العثماني"، الأحمديّة، الإمارات العربية المتّحدة، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ٢٠١-٢٠٤٨، ٢٠٠١م.

٣٨- العمّاري، علي، "مولد الرسول في المدائح النبوية"، مجلة الأزهر، ٣٣٥-٣٤١، ١٣٨١هـ

8. Sources

8.1. Books

1. The Holy Quran
2. Al-Affendi, Majd, Al-Muvshshahat in the Ottoman Period, Damascus: Dar Al-Fikr for Printing, Distribution and Publishing, 1999.
3. Amini, Abdulhassein, Al-Ghadir in the Book, Sunnah and Literature: A Religious, Scientific, Historical, Literary, Literary, Literary, Moral, Book 6, Beirut: Arabic Book House, 1977.
4. Pasha, Omar Moussa, History of Arab Literature Ottoman Age, No., Damascus, Dar al-Fikr, 1999
5. Bakri, Ameen, Studies in Mamluk and Ottoman Poetry, First Edition, Beirut, New Horizons House, 1400
6. Al-Borini, Hassan, Explanation of Diwan Ibn al-Fard, First Edition, Volume 2, Cairo, Al-Amra Printing Press, 1306Ah.
7. Hatti, Philip, Syria, Lebanon and Palestine, Tariff: George Haddad and ..., First Edition, Volume 2, Beirut, House of Culture for Printing, Publishing and Distribution, 1900.

8. Al-Husayni, Mr. Ahmad, Men's Translations, Q: Library of the Great Goddess of Mara'shi Najafi, 1414.
9. Hamoud Salem, Muhammad, The Nabatean Prose until the End of the Mamluk Period, First Edition, Beirut, Contemporary Thought House, 1996.
10. Kharashi, Sulayman bin Saleh, How the Ottoman Empire, First Edition, Riyadh, Dar al-Qasim Publishers, 1420Ah.
11. Darnika, Mohamed Ahmed, Dictionary of the Poets of the Prophetic Poets, Beirut: Dar Al-Hilal Library and Library, 1996.
12. Rahim, Muqdad, Muashat in the Levant since its inception until the end of the twelfth century AH, Beirut: Book World, 1987.
13. Zirkali, Khairaldin, Flags: Dictionary of translations of the most famous Arab and Middle Eastern men and women. 4, Beirut, Dar Al-Elm for millions, 2002.
14. Hassan, Hassin, Thalathia al-Barda Burda al-Rasul (p), Doha, Qatar Library ,1400Ah.
15. Shayeb, Ahmad, History of Criticism in Ancient Arabic Poetry, Second Edition, Beirut, Scientific Research House, 1999.

16. Al-Shazly, Mahmoud Thabet, The Oriental Question Documentary Study on the Ottoman Caliphate (1299–1923), First Edition, Cairo, Wahba Library, 1989.
17. Shoshtari, Abulhassan, The Diwan, investigation: Ali Sami al-Nashar, Alexandria, knowledge facility, 1960.
18. Al-Sabbagh, Lilly, A Flags of Arab Thought in the First Ottoman Period, First Edition, Syria, United Company for Distribution, 1986.
19. Daif, Shawqi, Art and his Prose in Arabic Prose, 9th Edition, Cairo, Dar Al Ma'arif, (No date).
20. Al-Tabbayee, Mohammad Hussein, Al-Mizan, Tafsir Al-Quran, Al-Tiba al-Khamass, Volume 1, Qom, Islamic Publications Office of the Society of Teachers of Qom Seminary, 1417 AH.
21. Abbas, Ihsan, The history of Andalusian literature, the era of the sects and the Almoravids, Fourth edition, C1, Beirut, House of Culture, 1974.
22. Kohalat, Omar Reza, Dictionary of Authors, Volume 1, Beirut: Dar Al Ihia Arab Heritage, 1957 .

23. Kannoun, Abdullah, Moroccan prose in Arabic literature, c. Beirut, the Scientific Book House in Lebanon, (No date).
24. Qutb Rundi, Sa'id bin Heba Allah, Kharaj and Siraj, Volume 3, Qam, Imam Mahdi Foundation (p), (No date).
25. (Not author), deaths and events, Volume 1, (No date).
26. Mubarak, Zaki, The Prophetic Prose in Arabic Literature, First Edition, Beirut, Dar al-Jale, 1992.
27. Al-Mahabi, Muhammad Amin, Thal Nafha Al-Rayhana, First Edition, Cairo, Issa Al-Babi Al-Halabi & Co, 1971.
28. Al-Mahabi, Muhammad Amin, Abstract of the Archeology of the Eleventh Century, Beirut, Darasdar, (No date).
29. -----, Nafha al-Rihana and the paint of the bar, the investigation of Abdel Fattah Mohamed El-Helou, published by Mohamed Ali Bayson, scientific book house, (No date).
30. Mujahid, Sayyed Muhammad, The Keys to Assets, 1, Q, Al-Bayt Foundation (Peace be upon them)To revive the heritage, (No date).
31. Al-Muradi, Muhammad Khalil, The Wire of the Dwarr in the Twelfth Century, C2, Dar Ibn Hazm, Dar al-Bashaer al-Islamiyya (1408AH).

32. Masoudi, Muhammad Fadel, Fatimid Secrets, First Edition, Volume 1, Qom, visitor, Islamic Friendship League, 1955.
33. Nabhani, Yusuf ibn Isma'il, the Nabhian group in the Nabataeans, Beirut, Dar al-Fikr (No date).
34. Nabulsi, Abdelghani, The Facts and Total Diaries, First Edition, Egypt, The Honorary Press, 1306 AH.
35. Al-Fattal Nisabouri, Muhammad ibn Ahmad, Kindergarten of the Preacher and the Insight of the Mu'tazin, 1, Qum, 1417.
36. Yaghi, Isma'il Ahmad, The Ottoman State in Modern Islamic History, First Edition, Riyadh, Al-Obeikan Library, 1995.

8.2 Articles

37. Jekli, Zainab Mohammed Sabri Bireh, "The Artistic Image in the Arabic Poetry during the Ottoman Period", Ahmadiyya, United Arab Emirates, Dar Al-Resawat for Islamic Studies and Revival of Heritage, 201-248, 2001.
38. Al-Amari, Ali, "The Birth of the Prophet in the Prophetic Praises," Al-Azhar Journal, 335-341, 1381 AH.

تَعَالُقُ الْإِمْلَاءِ الْعَرَبِيِّ بِمُسْتَوِيَاتِ الدِّرَاسَةِ اللُّغَوِيَّةِ

* د. نصرالله الشاعر

* د. ناصر الدين أبو خضير

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ:

تَتَنَاوَلُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ قَضِيَّةَ أَثَرِ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَنْطُوقَةِ، بِمُسْتَوِيَّاتِهَا الْمُخْتَلَفَةِ: الصَّوْتِيَّ وَالصَّرْفِيَّ وَالنَّحْوِيَّ وَالذَّلَالِيَّ فِي قَوَاعِدِ الْإِمْلَاءِ الْعَرَبِيِّ.

وَتَأْتِي هَذِهِ الدِّرَاسَةُ فِي مُحَاوَلَةٍ لِلِقَاءِ مَزِيدٍ مِنَ الضَّوْءِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الظَّوَاهِرِ الْإِمْلَائِيَّةِ الْمُهِمَّةِ، مِنْ خِلَالِ بَحْثِ جُذُورِهَا التَّارِيخِيَّةِ؛ مِنْ أَجْلِ التَّغْلُبِ عَلَى الْمَشَاكِلِ الْعَوِصَةِ وَالصُّعُوبَاتِ الَّتِي تَعْتَرِضُ الْكِتَابَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْمُعَاصِرَةَ لَدَى الْمُعَلِّمِينَ وَالطُّلَبَةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ.

وَقَدْ تَنَاوَلَتِ الدِّرَاسَةُ أَمْتِلَةً مُخْتَارَةً، يُمَثِّلُ كُلُّ مِنْهَا مُسْتَوًى مُعَيَّنًا مِنْ مُسْتَوِيَّاتِ النَّظَامِ اللُّغَوِيِّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ بَدَأًا بِالْمُسْتَوَى الصَّوْتِيَّ وَالصَّرْفِيَّ، ثُمَّ الْمُسْتَوَى النَّحْوِيَّ، وَأَخِيرًا الْمُسْتَوَى الذَّلَالِيَّ.

* (دائرة اللغة العربية وآدابها - جامعة بيرزيت - فلسطين)

The relationship between Arabic orthography and rules in the different linguistic levels

Abstract:

This study discusses the effect of Arabic rules with its different levels: phonetic, morphological, syntactic and semantic on the Arabic spelling rules.

This study attempts to shed light on some significant spelling phenomena through examining their historical roots so that the obstacles facing teachers and students alike in contemporary writing could be overcome. This research uses selected samples that represent phonetic, morphological, syntactic and semantic levels.

المُقدِّمة

يَزَعُمُ بَعْضُ الدَّارِسِينَ أَنَّنَا، نَحْنُ الْعَرَبُ، الشَّعْبُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَفْهَمُ لِيَقْرَأَ، أَمَّا الشُّعُوبُ الْأُخْرَى فَهِيَ تَقْرَأُ لِتَفْهَمَ. وَتَأْتِي هَذِهِ الشَّكْوَى تَعْبِيرًا عَنْ صُعُوبَةِ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مُسْتَنَدِينَ فِي ذَلِكَ إِلَى وُجُودِ بَوْنٍ يَرَوْنَهُ شَاسِعًا بَيْنَ الْمَكْتُوبِ وَالْمَقْرُوءِ؛ وَإِلَى وُجُودِ صُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ لِلْحَرْفِ الْوَاحِدِ أحيانًا.^(١)

وهذا أمرٌ فيه حقٌّ، غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ الْحَقُّ الَّذِي مَا بَعْدَهُ بَاطِلٌ؛ فَهَذِهِ دِرَاسَةٌ تُحَاوِلُ الْإِجَابَةَ عَمَّا قَدْ يَرَاهُ النَّاسُ عَوِيصًا عَلَى أَفْهَامِهِمْ فِي إِمْلَاءِ الْعَرَبِيَّةِ؛ فَيَسْهَلُ فَهْمُهُ، كَمَا أَنَّ الدِّرَاسَةَ تُحَاوِلُ الْوُقُوفَ عَلَى مَدَى تَمَاسُكِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَسَاوُقِ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ مَعَ قَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ فِي صَوْتِهَا وَصَرْفِهَا وَنَحْوِهَا وَدِلَالَتِهَا.

وَلَعَلَّ أَسْئَلَةً كَثِيرَةً تَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ الدَّارِسِينَ وَالْمُدْرَسِينَ لِلْعَرَبِيَّةِ عَنْ بَعْضِ مَسَائِلِ الْإِمْلَاءِ، وَتَكُونُ الْإِجَابَاتُ عَنْهَا مُبْتَسِرَةً فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ قَلَّةُ الدِّرَاسَاتِ الْمُعَمَّقَةِ فِي الْإِمْلَاءِ الْعَرَبِيِّ، إِذْ إِنَّ أَغْلَبَ الْمُؤَلَّفَاتِ الْمُعَاصِرَةِ فِي الْإِمْلَاءِ الْعَرَبِيِّ هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْمُلَخَّصَاتِ مِنْهَا إِلَى الْأَبْحَاثِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُعَمَّقَةِ؛ وَقَدْ يَكُونُ لِأَصْحَابِهَا أَعْذَارٌ أَهْمُهَا دَافِعُهُمْ فِي التَّأْلِيفِ؛ إِذْ فَعَلُوا ذَلِكَ لِلتَّدْرِيسِ وَالتَّلْقِينِ لَا لِلْبَحْثِ وَالتَّمْحِصِ.^(٢)

(١) هذا الزعم تلقاه أنيس فريحة من قاسم أمين، انظر: فريحة، أنيس: نظريات في اللغة. ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣، ص ٨٨؛ فريحة، أنيس: نحو عربية ميسرة. دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥، ص ٢٦.

(٢) هارون، عبد السلام: قواعد الإملاء العربي. ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥؛ إبراهيم، عبد العليم: الإملاء والترقيم في الكتابة العربية. ط ١، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٥؛ الدهان، سامي: كيف تكتب الهمزة؟ دار الشرق العربي، بيروت، (د.ت)؛ سعيد، محمود شاكر: المرشد في الإملاء. ط ٣، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٦؛ الطباع، عمر فاروق: =

ولعلَّ ما تقدّم يوحى من طرفٍ خفيٍّ بأنَّ هذه الدِّراسة سوفَ تحلُّ كلَّ عقْدِ الإملاء العربيِّ، وهذا ليسَ بالمقصود، إذ لا يستطيعُ بحثٌ متواضعٌ أن يحلَّ كلَّ تلكَ المُعضلاتِ، ولا يُمكنه أن يُجيبَ عن جُلِّ تلكَ التساؤلاتِ ؛ غيرَ أنَّه خطوةٌ يزعمُ صاحبها أنها في الاتجاهِ الصَّحيحِ تُبني على جهودِ علماء فضلاء، وتُحْتِ باحثينَ أجلاء من بعدهم ليكملوا المسيرَ.

تُحاولُ هذه الدِّراسة الرِّبطَ بينَ قوانينِ الإملاء العربيِّ، وقوانينِ العربيَّةِ المنطوقة، بصوتِها وصرفِها ونحوها ودلالاتها. غيرَ ذاهلةٍ عن أصلِ الإملاء العربيِّ وموروثِهِ القديمِ، فالإملاء العربيُّ مرَّ بمراحلَ ثلاثٍ:

أولها: مرحلةُ النِّشأةِ التي بدأتْ قبلَ الإسلامِ بثلاثةِ قُرونٍ، حيثُ أخذتِ الكُتابةُ العربيَّةُ تتبلورُ وتتفرَّدُ عن غيرها من الكُتاباتِ السَّاميَّةِ، وقد امتدَّتْ هذه المرحلةُ حتَّى ظهورِ الإسلامِ.^(١)

ثانيها: مرحلةُ الاستِخدامِ والانتِشارِ، وتمتدَّتْ من ظهورِ الإسلامِ إلى مُنتصفِ القرنِ الثَّاني الهجريِّ، وخلالها بدأتْ قضيَّةُ تقعيدِ قواعدِ الإملاء العربيِّ وفقَ أقيسةِ النُّحاةِ، وكان يتنازعُ الإملاءَ عاملانِ مُهمَّانِ: الصُّورةُ الموروثةُ، ومُتطلِّباتُ النُّطقِ.^(٢)

=المحيط في قواعد الإملاء. ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣ ؛ يعقوب، إميل بديع : معجم الإعراب والإملاء. ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦.

(١) الحمد، غانم : علم الكُتابة العربيَّة. ط ١، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٦ - ١٠٧.

ثالثها: مرحلة التقعيد، حيثُ وُضِعَتْ خِلَالَهَا الْمُؤَلَّفَاتُ الْأُولَى فِي الْإِمْلَاءِ، وَتَمَتَّدَتْ مِنَ الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ إِلَى أَنْ اسْتَحْكَمَتْ فِي عَصْرِ ابْنِ قُتَيْبَةَ (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م).^(١)

ومن الواضح أنَّ أثرَ القوانينِ اللُّغَوِيَّةِ الْمَنْطُوقَةِ بَدَأَتْ تُهَيِّمُنُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَرَحَلَتَيْنِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ. أَمَّا فِي الْمَرَحَلَةِ الْأُولَى فَكَانَتْ آثَارُ الْمَوْرُوثِ الْإِمْلَائِيِّ النَّبْطِيِّ الْقَدِيمِ أَكْثَرَ اسْتِحْكَامًا.

وَلَمْ يَزَلْ هَذَانِ الْعَامِلَانِ (أثرُ المَوْرُوثِ النَّبْطِيِّ، وَقَوَاعِدُ الْعَرَبِيَّةِ الْمَنْطُوقَةِ) يَتَجَاذِبَانِ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِمْلَاءُ الْعَرَبِيُّ الْمُعَاَصِرُ عَلَى قَوَانِينِهِ الَّتِي هِيَ أَمْشَاجٌ مِنْ أَصْلِ نَبْطِيٍّ وَأَثَرِ صَوْتِيٍّ وَصَرْفِيٍّ وَنَحْوِيٍّ وَدِلَالِيٍّ، وَأَثَرِ لَهْجِيٍّ؛ وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَثَرُ جَمَالِيٍّ فَنِّيٍّ.

وَلَقَدْ جَعَلَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ جُلَّ غَايَتِهَا فِي اقْتِنَاصِ تِلْكَ الْمُؤَثَّرَاتِ فِي قَوَانِينِ الْإِمْلَاءِ الْعَرَبِيِّ، وَالْوُقُوفِ عَلَى آثَارِ كُلِّ مِنْهَا مِنْ خِلَالِ أُمْتِلَةٍ مُخْتَارَةٍ؛ ثُمَّ تَحْلِيلِ مَا تَدَاخَلَ وَتَوَالَى مِنْ تِلْكَ الْآثَارِ عَلَى الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ أحيانًا، حَتَّى اعْتَصَصَ عَلَى الدَّارِسِينَ بِأَيِّ أَثَرٍ يَأْخُذُونَ؛ كَمَا حَصَلَ فِي تَفْسِيرِ الْعُلَمَاءِ لِلْأَلْفِ بَعْدَ وَائِ الْجَمَاعَةِ؛ أَفَارَقَةٌ هِيَ أَمْ فَاصِلَةٌ؟ وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي وَائِ عَمْرٍو؛ أَهِيَ فَرْقٌ دِلَالِيٌّ أَمْ مَوْرُوثٌ نَبْطِيٌّ؟ أَمْ أَثَرٌ لَهْجِيٌّ؟

وَلَمَّا كَانَتْ الدِّرَاسَةُ تُتَابِعُ آثَارَ الْقَوَانِينِ اللُّغَوِيَّةِ الْمَنْطُوقَةِ بِمُسْتَوِيَّاتِهَا فِي اللُّغَةِ الْمَكْتُوبَةِ؛ فَلَا مَنَاصَ مِنْ تَقْسِيمِ الدِّرَاسَةِ بِحَسَبِ تِلْكَ الْمُسْتَوِيَّاتِ، إِذْ تَبَدُّأُ الدِّرَاسَةُ بِأَثَرِ الْقَوَانِينِ الصَّوْتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ فِي قَوَانِينِ الْإِمْلَاءِ الْعَرَبِيِّ، كَالْوُقُوفِ وَالْوَصْلِ

(١) (الحمد، غانم : علم الكتابة العربية. ط ١، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ص ١٠٨.

والإمالة وغير ذلك. وقد جمعت الدراسة بين الصوت والصرف نظراً لتداخلهما، ثم وفقت الدراسة عند أثر القوانين النحوية في الإملاء العربي، كوصل الكلمات وفصلها بعضها عن بعض، وعلاقة ذلك بوظائفها النحوية.

ثم عالجت الدراسة آثار الدلالة في كتابة الكلمتين بشكليين مختلفين مع اتفاقهما في اللفظ كما في: يحيى، ويحيا.

غير أن الدراسة في ثني ذلك كله لم تغفل عن أثر الخط الموروث الذي صار في بعض الأحيان متحجرات إملائية لا تمس؛ ويأتي هذا الأثر من مصدرين: الأول من موروث نبطي، والآخر من رسم المصحف الشريف.

ولما كانت القوانين الإملائية معتمدة على تلك الأصول والقوانين المتداخلة، فإن الدارس للإملاء العربي سيجد تلك المؤثرات تجتمع على الكلمة الواحدة في آن معاً؛ وهذا ما خصته الدراسة بالاهتمام، وحاولت أن تستجلي بعض أمثلته بشيء من التفصيل والتعليل.

وبعد، فهذه الدراسة جهد بشري يزعم صاحبها أنها بدلا فيها الوسع؛ فإن آتت أكلها فبإذن ربها وتوفيقه؛ وإلا فمنا التقصير؛ ومنه سبحانه العفو، ثم أجر المجتهد الذي جانبه الصواب وهو يطلب الحق.

١. أثر القوانين الصوتية الصرفية:

يظهر جلياً أثر القوانين الصوتية الصرفية في الكتابة العربية، إذ تكتب حروف الكلمة الواحدة وحدة مستقلة، فتتصل حروف الكلمة وتتفصل حروف الكلمات بعضها عن بعض، وبهذا يتضح في الإملاء الفرق بين قولنا:

سل ما تريد

سلمى تريد

كما أن قوانين الوقف والوصل في هذا المجال تُحدّد شكل الإملاء، فقد تُكتب جملة كاملة في وحدة إملائية واحدة؛ مثل: (عرفتك) إذ تُكتب الجملة الفعلية بعناصرها: الفعل والفاعل والمفعول وحدة إملائية واحدة، وذلك مرده إلى النطق؛ إذ لا تنطق هذه الضمائر إلا متصلة؛ فتُكتب متصلة. أما (عرف محمود الطريق) فقد كتبت ثلاث وحدات إملائية منفصلة؛ لأن الناطق بها يمكن أن يقف ثلاث وقفات بدلاً من وقفة واحدة في المثال السابق.

وهذا المنطق الإملائي في الكتابة صرح به علماء الكتابة العرب قديماً حين قالوا: إن المبدأ الأساسي في الكتابة العربية أن توصل حروف الكلمة الواحدة وتفصل عما بعدها، وأن تُكتب الكلمة وفقاً لنطقها مبدوءاً بها موقوفاً عليها.^(١) وللعربية المنطوقة قوانين في الوقف تخالف الوصل؛ فقد تقرأ الكلمة موقوفاً عليها بصورة، وموصولة بصورة أخرى، كما هو الحال في التنوين: كتاب / كتاب / كتاباً .

في الوصل: ك - ت ا ب - ن / ب - ن / ب - ن
في الوقف: ك - ت ا ب / ك - ت ا ب / ك - ت ا ب ا
فالتنوين في الوصل نونٌ تتبع الحركة القصيرة. أما في الوقف فإن النون لا تنطق بعد الضمة والكسرة وتقلب ألفاً في الوقف.
وهذا أمرٌ معروفٌ يذكره علماء الصرف في درس الوقف وأحكامه،^(٢) ولكن الذي يلفت النظر هو أن الإملاء العربي أو الصورة الكتابية ارتبطت بالوقف لا بالوصل، وهذا ما جعل الإملائين العرب يكتبون ألفاً مع تنوين النصب.

(١) الفلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*. تحقيق: محمد حسن شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج ٣، ص ١٧٠ فما فوق؛ الحمد، علم الكتابة العربية، ص ١٣٧.

ولعلَّ من آثارِ هذا القانونِ تلكَ المسألةُ القديمةُ الحديثةُ في الإملاءِ العربيِّ؛ ألا وهي تاءُ التَّأْنِيثِ المَرْبُوطَةُ.

تاءُ التَّأْنِيثِ المَرْبُوطَةُ (هاءُ التَّأْنِيثِ):

استقرَّ الرَّأْيُ في النِّظامِ الإملائيِّ المُعاصِرِ على كِتَابَةِ التَّاءِ في آخِرِ الكَلِمَةِ هاءً، كما في "سَنَة" و "مُعَلِّمَة" و "فاطِمَة". وإنْ كانتْ بَعْضُ المَصَادِرِ تُسَمِّيها تاءُ التَّأْنِيثِ المَرْبُوطَةِ.^(٢)

أما المُتَقَدِّمُونَ مِنْ عُلَمَاءِ العَرَبِيَّةِ فَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّيها هاءَ التَّأْنِيثِ؛ كما فَعَلَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَغَيْرُهُ.^(٣) وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّيها تاءَ التَّأْنِيثِ كما فَعَلَ الزَّمَحْشَرِيُّ وَابْنُ يَعِيشَ.^(٤) وَلَمْ يَزَلِ الأَمْرُ على هَذِهِ التَّسْمِيَةِ عِنْدَهُمْ حَتَّى عَهْدِ قَرِيبٍ؛ يَقُولُ الصَّبَّانُ في

(١) ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م): شرح المفصل. تحقيق: إميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ج ٥، ص ٢٠٩؛ الراجحي، عبده: التطبيق الصرفي. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) نامي، خليل: "أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام"، مجلة كلية الآداب- القاهرة، المجلد العاشر، العدد الأول، سنة ١٩٣٥م، ص ٨٨؛ الطباع، المحيط في قواعد الإملاء، ص ١٩؛ يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، ص ١٣٩.

(٣) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): أدب الكاتب. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٠٠؛ الهوريني، نصر أبو الوفاء (ت ١٢٩١هـ/١٨٧٤م): المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، ط ١، بولاق، القاهرة، ١٢٧٥هـ، ص ١٤١؛ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٧م): أدب الكتاب. تحقيق: محمد بهجت الأثري و محمد شكري الألوسي، ط ١، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ، ص ٢٥٠؛ ابن القاصح، أبو البقاء علي بن عثمان (٨٠١هـ/١٣٩٨م): شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد في علم الرسم. تحقيق: عامر السيد عثمان، ط ١، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٦، ص ١٥٥.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٥، ص ٢٣٠-٢٣١.

"التصريح" نقلًا عن الشيخ خالد الأزهرّي (ت ٩٠٥هـ/١٤٩٩م): "الفرق بين تاء التانيث وهاء التانيث أنّ تاء التانيث لا تُبدل في الوقف هاءً، وتُكتب مجرورةً. وهاءُ التانيث يوقف عليها بالهاء وتُكتب مربوطةً"^(١)، وجاء في "المطالع النصريّة": "ففي جميع ذلك تُسمّى هاء التانيث، وتُكتب بالهاء نظرًا للوقوف عليها بهاء عند جميع العرب".^(٢)

وتُكتب هاءُ التانيث في: سَنَة وَرَحْمَة وَشَجَرَة وَنَظَائِرُهَا هَاءٌ مَعَ نَقْطَتَيْنِ، هذا ما استقرَّ عليه الإملاء العربيّ الاصطلاحيّ، وَحُجَّةُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ أَنَّ النِّظَامَ الْإِمْلَائِيَّ لِلْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ قَائِمٌ عَلَى الْوَقْفِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَرَبَ تَقِفُ عَلَى تِلْكَ الْأَسْمَاءِ بِالْهَاءِ، فَإِذَا وَصَلُوا نَطَقُوهَا تَاءً؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهَا تُكْتَبُ تَاءً إِذَا اتَّصَلَ بِهَا ضَمِيرٌ نَحْوُ: شَجَرَتُكَ، رَحْمَتُهُ.

غَيْرَ أَنَّ قَارِئَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ مَخْرُومَةً؛ حَيْثُ كُتِبَتْ "رَحْمَة الله" هَاءٌ فِي الْآيَةِ الثَّالِثَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ، وَكُتِبَتْ تَاءً فِي الْآيَةِ السَّادِسَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ "رَحِمَتِ اللهُ".

يَقُولُ ابْنُ قُتَيْبَةَ: "هَاءُ التَّانِيثِ تُكْتَبُ هَاءً أَبَدًا... وَقَدْ كَتَبَهَا تَاءً فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَهَاءً فِي مَوَاضِعَ، فَأَمَّا مَنْ كَتَبَهَا تَاءً فَعَلَى الْإِدْرَاجِ، وَأَمَّا مَنْ كَتَبَهَا هَاءً

(١) الهوريني، المطالع النصريّة، ص ١٤١؛ الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (ت ١٢٠٦هـ/

١٧٩٢م): حاشية الصبان على شرح الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني. تحقيق: محمود بن الجميل، ط ١، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٢، ج ٤، ص ٣٠٢-٣٠٣؛ الأزهرّي، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥هـ/١٤٩٩م): شرح التصريح على التوضيح. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار

الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ج ٢، ص ٦٣٠-٦٣١.

(٢) الهوريني، المطالع النصريّة، ص ١٤٣.

فَعَلَى الْوَقْفِ... وَأَعْجَبُ إِلَيَّ أَنْ تَكْتُبَهُ كُلُّهُ بِالِهَاءِ عَلَى الْوَقْفِ عَلَيْهِ...^(١)، ومن المَعْلُوم أَنَّ ابْنَ قُتَيْبَةَ مِنْ وَفَيَاتِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ (ت ٢٧٦هـ) مِمَّا يَعْنِي أَنَّ كِتَابَةَ هَاءِ التَّائِيثِ قَدْ اسْتَقَرَّتْ عَلَى صَوَرَتِهَا الْمُعَاصِرَةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، إِذْ جَعَلُوا كِتَابَةَ الْكَلِمَةِ تَعْتَمِدُ عَلَى الْوَقْفِ، لَا عَلَى الْوَصْلِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ فَرَّقُوا بَيْنَ هَاءِ التَّائِيثِ وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ نُقْطَتَيْنِ عَلَيْهَا؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهَا تُقْرَأُ تَاءً عِنْدَ الْوَصْلِ.

وهذا النَّهْجُ فِي الْإِمْلَاءِ يَدُلُّ عَلَى دِقَّةٍ مُبْتَكِرِيهِ إِذْ وَضَعُوا لِهَذِهِ الْهَاءِ صُورَةً مُزْدَوِجَةً (ة) تَجْمَعُ بَيْنَ صُورَةِ الْهَاءِ الَّتِي تُنْطَقُ هَاءً فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ نَحْوُ: وَجْهٌ، وَصُورَةُ التَّاءِ الَّتِي تُنْطَقُ تَاءً فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ نَحْوُ: بِنْتُ، وَكَأَنَّ هُؤُلَاءِ بِهَذَا الرَّمْزِ الْمُزْدَوِجِ يُسَاعِدُونَ الْقَارِئَ لِيَقُولُوا لَهُ: إِذَا وَقَفْتَ عَلَى كَلِمَةٍ (سنة) فَاقْرَأْ هَاءً، وَإِذَا وَصَلْتَهَا بِمَا بَعْدَهَا فَاقْرَأْ تَاءً.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ رَسْمَ الْمُصْحَفِ يُخَالِفُ الرِّسْمَ الْإِمْلَائِيَّ الْإِصْطِلَاحِيَّ؛ وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ نَاقَشُوا تِلْكَ الْمَوَاطِنَ الَّتِي بَايَنَ فِيهَا رَسْمُ الْمُصْحَفِ الرِّسْمَ الْإِصْطِلَاحِيَّ؛ فَالْتَفَتَ بَعْضُهُمْ إِلَى مَعَانٍ مُعْجَبَةٍ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ، وَأَعْلَنُوا عَجْزَهُمْ أَمَامَ مَوَاضِعَ أُخَرَ؛ فَوَكَّلُوا أَسْرَارَهَا إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ أَخْذِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧).

وَلَعَلَّ ابْنَ قُتَيْبَةَ قَدْ أَشَارَ — وَإِنْ عَرَضًا — إِلَى سِرِّ كِتَابَةِ (رَحِمَتْ وَ رَحْمَةً) حِينَ قَالَ: "فَأَمَّا مَنْ كَتَبَهَا تَاءً فَعَلَى الْإِدْرَاجِ، وَأَمَّا مَنْ كَتَبَهَا هَاءً فَعَلَى الْوَقْفِ".^(٢) وَقَدْ يَذْهَبُ الْخَاطِرُ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ رَسْمَ الْمُصْحَفِ رَاعَى لَهْجَةَ طَيِّئٍ الَّتِي

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٠٠.

(٢) السابق، ص ٢٠٠.

كَانَتْ تَتَنَقَّى تِلْكَ الْكَلِمَاتِ بِالتَّاءِ وَقَفًّا وَوَصَلًا،^(١) إِذْ حُكِيَ عَنْهُمْ "يَا أَهْلَ سَوْرَتِ الْبَقَرَةِ، فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ مَا أَحْفَظُ مِنْهَا آيَةً . وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَائِهِمْ:

وَاللَّهِ أَنْجَاكَ بِكَفِّي مُسْلِمَتٌ مِنْ بَعْدِمَا وَبَعْدِمَا وَبَعْدِمَتٌ

كَانَتْ نَفْسُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْغَلَصَمَتِ وَكَادَتْ الْحُرَّةُ أَنْ تُدْعَى أَمَتٌ"^(٢)

والعجيبُ في الأمرِ أنَّ طَيِّئَ كَانَتْ تَقْفُ عَلَى تَاءِ جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ بِالِهَاءِ فَيَقُولُونَ: سَنَوَاهُ (يَقْفُونَ عَلَيْهَا بِالِهَاءِ)، وَيَقُولُونَ: سَنَتْ (يَقْفُونَ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ)،

(١) ابن النحاس، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بابن النحاس (ت ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م): **التعليقة على المقرب لابن عصفور في علم النحو**. تحقيق: جميل عويضة، ط ١، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٤، ص ٥٨٥.

(٢) الهوريني، **المطالع النصرية**، ص ١٤٤، ورد هذان البيتان من الرجز للراجز أبي النجم العجلي كما جاء في: الأزهرى، **شرح التصريح على التوضيح**، ج ٢، ص ٦٣١؛ الصبان، **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، ج ٤، ص ٣٠١-٣٠٢؛ ابن عقيل، **بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن** (ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م): **المساعد على تسهيل الفوائد**. تحقيق: محمد كامل بركات، ط ٢، مركز إحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠١، ج ٤، ص ٣٢٢. وهنالك اختلاف في رواية (كانت) فبدلاً منها استعمل الفعل (صار) ، ودون إدخال (الواو) قبل (الله) كما في: ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م): **الخصائص**. تحقيق: عبد الحميد هندواي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ج ١، ص ٣٠٩-٣١٠؛ البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م): **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. تحقيق: عبد السلام هارون، ط ١، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨-١٩٨٩، ج ٤، ص ١٧٧؛ ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٥، ص ٢٣١؛ الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**. تحقيق: إميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج ٤، ص ١٤؛ الحمد، غانم: **رسم المصحف**، ط ١، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٧٢؛ الجندي، أحمد علم الدين: **اللهجات العربية في التراث**. الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٣، ص ٥٠٢.

وَهَيْهَاءَ بَدَلًا مِنْ (هَيْهَاتَ)، وَأَوْلَاهُ بَدَلًا مِنْ (أُولَاتَ)، وَالْبِنَاءُ بَدَلًا مِنْ (الْبَنَاتِ) وَغَيْرِ ذَلِكَ.^(١)

ولو كانَ هذا التفسيرُ المعتمدُ على لهجة طيِّ صَحِيحًا بِالْمُطْلَقِ لِأَرَاخِ الدَّارِسِينَ؛ إِذْ إِنَّ كُتَّابَ الْمُصْحَفِ أَخَذُوا بِلُغَةِ قُرَيْشٍ كَمَا ذَكَرَتْ كُتُبُ السَّلَفِ، فَقَدْ جَاءَ فِي "الْمُزْهَرِ": "لَمْ تَخْتَلَفْ لُغَةُ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا فِي التَّابُوتِ، فَلُغَةُ قُرَيْشٍ بِالتَّاءِ، وَلُغَةُ الْأَنْصَارِ بِالْهَاءِ".^(٢)

والذي نَرَجِّحُهُ أَنَّ رَسْمَ هَاءِ التَّائِيثِ لَمْ يَكُنْ قَدْ اسْتَقَرَّ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ فِي مَرَحَلَةٍ رَسَمَ الْمُصْحَفِ، إِذْ كُتِبَتْ هَاءٌ مَرَّةً وَتَاءٌ مَرَّةً أُخْرَى؛ وَمِثْلُ هَذَا نَجِدُهُ فِي النُّقُوشِ الْمَكْتُوبَةِ فِي تِلْكَ الْمَرَحَلَةِ الْمُتَمَتِّدَةِ مِنْ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ إِلَى مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ.^(٣)

فَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمَةُ (سَنَتْ) بِالتَّاءِ الْمَبْسُوطَةِ فِي نَقْشِ الْقَاهِرَةِ الْمَكْتُوبِ سَنَةَ ٣١٤هـ، كَمَا ظَهَرَتْ الصُّورَتَانِ (ت ، ة) فِي نَقْشٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ النَّقْشُ الَّذِي مَا يَزَالُ مَائِلًا عَلَى قُبَّةِ الصَّخْرَةِ الْمُشْرِقَةِ فِي الْقُدْسِ الشَّرِيفِ (سَنَةً، رَحِمَتْ)، وَقَدْ كُتِبَتْ كَلِمَةُ (سَنَةً) بِالْهَاءِ فِي مَنَارَاتِ الطَّرِيقِ (أَوْحَارَةِ الْمِيلِ) فِي الْعَهْدِ

(١) الهوريني، المطالع النصرية، ص ١٤٥؛ الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج ٤، ص ١٣.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): المزهر. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٣، ج ٢، ص ٧٣.

(٣) الحمد، علم الكتابة العربية، ص ١٠٦.

4 N. Abbott, (1939) **The Rise of the north Arabic Script and its Kur'anic**

development. The University of Chicago Press, Chicago. ص ٢ من ملحق

الرسومات، الشكل رقم ١

الأموي^(١)، وكذلك كُتِبَتْ في مناراتِ الطريقِ بَيْنَ فِلَسْطِينَ وِدِمَشْقَ في مَنْطَقَةِ الجَوْلَانِ المَكْتُوبَةِ سَنَةَ ٥٢ هـ^(٢).

ولعلَّ هذه المَرْحَلَةَ كانتْ مَرْحَلَةً وُسْطَى بَيْنَ البَقَاءِ على الصُّورَةِ القَدِيمَةِ في الكِتَابَةِ المُتَأَثِّرَةِ بِالْخَطِّ النَّبْطِيِّ المَوْرُوثِ، والصُّورَةِ الجَدِيدَةِ المُرتَبِطَةِ بِالنُّطْقِ وحاجاتِ العَصْرِ، واستِخْدَامِ الكِتَابَةِ العَرَبِيَّةِ على نطاقٍ واسعٍ، مُتَأَثِّرَةً بِقَوَاعِدِ النُّحْوِ والصَّرْفِ التي أُخِذَتْ تَتَضُّجُ وَتَسْتَوِي على سوقِها.

ويُؤَيِّدُ هذا التَّوجُّهَ في التَّفْسِيرِ أَنَّنَا نَجِدُ النُّقُوشَ العَرَبِيَّةَ القَدِيمَةَ تُكْتَبُ بِالتَّاءِ المَبْسُوطَةِ؛ كَمَا في نَقْشِ النَّمَارَةِ (٣٢٨م)، ونَقْشِ جَبَلِ أُسَيْسٍ (٥٢٨م) حَيْثُ كُتِبَتْ (سَنَتٌ ، مَدِينَتٌ).^(٣) غَيْرَ أَنَّ القَارِئَ في تِلْكَ النُّقُوشِ يَجِدُ بَعْضَهَا زَوْجَ بَيْنَ الرَّمْزَيْنِ؛ ففِي نَقْشِ جَبَلِ أُسَيْسٍ كُتِبَتْ: مُغِيرَةٌ وَمَسْلَمَةٌ بِالهَاءِ، وَكُتِبَتْ سَنَتٌ بِالتَّاءِ.

وَمَعَ أَنَّ صَلَاحَ الدِّينِ المُنْجِدَ يَزْعُمُ أَنَّ هَاءَ التَّائِيثِ في الكِتَابَةِ النَّبْطِيَّةِ تَاءٌ لَا هَاءٌ، كَمَا فِي: أَمَتٌ، وَحَبَّتْ بَدَلًا مِنْ أَمَةٍ وَحَبَّةٍ، ٤؛ فَإِنَّ رَمْزِي بعلبكي يَرَى رَأْيًا مُنَاقِضًا حَيْثُ يَرَى أَنَّ هَاءَ التَّائِيثِ في النَّبْطِيَّةِ وَالْأَرَامِيَّةِ كُتِبَتْ تَاءً وَكُتِبَتْ هَاءً، وَذَلِكَ وَفَّقَ نِظَامٍ يَعْتَمِدُ على الإِضَافَةِ والتَّعْرِيفِ والتَّكْثِيرِ، ثُمَّ يَخْلُصُ إِلَى القَوْلِ:

1 C. Kessler, (1970) 'A bd Al-Malik's Inscription in the Dome of the Rock: A Reconsideration, JOURNAL OF THE ROYAL ASIATIC SOCIETY, no.1, p.2-14

2 A. Elad, (1999) "The southern Golan in early muslim period". Der Islam, 76, pp.33-88

(٣) بعلبكي، رمزي: الكتابة العربية والسامية: دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين. ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١، ص ١٧٧-١٧٨.

(٤) المنجد، صلاح الدين: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي. ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨١، ص ١٩.

"وعلى هذا تكون الأمثلة التي جاء بها (خليل نامي) أي: سَنَتَ وحارِثَتَ، والأمثلة التي جاء بها المنجد، أي: أَمَتَ وحبَّتْ أمثلة على استعمال التاء في المواضع التي ذكرناها، أي في حال الإضافة وفي بعض أسماء الأعلام؛ ولا يمكن بحال أن نستخدم هذه الأمثلة دليلاً على عدم كتابة تاء التانيث بالهاء؛ لأنَّ للهاء مواضع أخرى تُستعمل فيها".^(١)

ومن خلال ما سبق يمكن أن نخلص إلى القول بأنَّ كتابة المصحف كانت متناغمة مع الكتابة المنتشرة في ذلك العصر؛ ولكنَّ كتاب المصحف اختاروا استعمال هذا الازدواج في صورة هاء التانيث لتوافق ما تواتر من قراءات القرآن الكريم، حيثُ كتبوا (رحمت) في المواقع التي وردهم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أجاز الوقف عليها بالتاء كما في سورة الأعراف (الآية ٥٦)، وكتبوها (رحمة) في المواقع التي لم يتوافر لديهم قراءة متواترة بالوقف عليها تاء؛ فأخذوا باللغة الفاشية بين العرب وكتبوها هاء: (رحمة) كما في آل عمران (الآية: ٦٧)، ففي قراءة حفص عن عاصم يقف القارئ على (رحمت) بالتاء، وعلى (رحمة) بالهاء في كل موضع، التزاماً لرسم المصحف.^(٢)

(١) بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٤، ص ٣٠٢؛ الدمياطي، أحمد بن محمد البناء الدمياطي (ت ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م): اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمى "منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات". رواه وصحه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٠٣.

رَسْمُ هَاءِ التَّانِيثِ يُثْبِتُ لَنَا أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي عَهْدِ كُتَابِ الْمُصْحَفِ كَانَتْ أَكْثَرَ اسْتِجَابَةً لِنَسْجِيلِ الْوَاقِعِ الصَّوْتِيِّ الْمَسْمُوعِ لِأَهْلِ اللُّغَةِ؛^(١) وهو ما يُفسِّرُ لَنَا هَذَا الْازْدِوَاجَ فِي كِتَابَةِ هَاءِ التَّانِيثِ مَرَّةً بِالْهَاءِ وَأُخْرَى بِالتَّاءِ.

فِي حِينَ تَطَوَّرَتِ الْكِتَابَةُ الْإِمْلَائِيَّةُ الْإِصْطِلَاحِيَّةُ لِنَسْتَقَرَّ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ لِهَاءِ التَّانِيثِ، مُعْتَمِدِينَ عَلَى الْمَبْدَأِ الَّذِي ارْتَضَوْهُ مُنْطَلَقًا مُؤَسَّسًا لِلْكِتَابَةِ: وَهُوَ اعْتِمَادُ الْوَقْفِ عَلَى الْكَلِمَةِ فِي كِتَابَتِهَا؛ وَلَمَّا كَانَتْ الْعَرَبُ تَقِفُ عَلَى (سَنَةٍ) بِالْهَاءِ، وَعَلَى (بَنَتْ) بِالتَّاءِ كَتَبُوا الْأُولَى هَاءً وَالثَّانِيَةَ تَاءً، وَهَذَا مَا حَصَلَ فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ مَرَاكِزِ تَطَوُّرِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ، وَهِيَ مَرْحَلَةُ التَّقْعِيدِ، كَمَا يَرَى غَانِمُ الْحَمْدِ.^(٢)

٢. أَثَرُ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ التَّرْكِيْبِيَّةِ:

مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ كِتَابَةَ الْهَمْزَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ تَرْتَبِطُ بِحَرَكَتِهَا وَبِحَرَكَتِ مَا قَبْلَهَا فَإِذَا كَانَتْ الْهَمْزَةُ هِيَ مَحَلُّ الْحَرَكَتِ تَعَدَّدَتْ صُورُهَا تَبَعًا لِمَوْقِعِهَا الْإِعْرَابِيِّ، كَمَا فِي قَوْلِنَا:

جَاءَ أَبْنَاؤُكَ

قَابَلْتُ أَبْنَاءَكَ

اتَّصَلْتُ بِأَبْنَائِكَ

وَلَكِنَّا فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْبَحْثِ سَنَقِفُ أَمَامَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ وَظِيفَةِ الْكَلِمَةِ النَّحْوِيَّةِ (أَوْ عِلَاقَتِهَا بِالْكَلِمَاتِ الْأُخْرَى دَاخِلَ الْجُمْلَةِ) وَصُورَتِهَا الْإِمْلَائِيَّةِ.

(١) الحمد، رسم المصحف، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) الحمد، علم الكتابة العربية، ١٠٨.

الوصلُ والفصلُ:

يَتَجَلَّى أَثَرُ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ فِي الْإِمْلَاءِ الْعَرَبِيِّ عِنْدَ مُنَاقَشَةِ الْوَصْلِ وَالْفَصْلِ فِي رِسْمِ الْكَلِمَاتِ مِثْلَ: كُلُّ مَا/كُلَّمَا ؛ أَيْنَ مَا/أَيْنَمَا ؛ إِنَّ مَا/إِنَّمَا ؛ أَنْ لَا / أَلَا.

يَقُولُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ: إِذَا جَاءَتْ (مَا) بَعْدَ أَدَوَاتِ الْمَعَانِي — ذَوَاتِ الْحَرْفَيْنِ فَأَكْثَرَ — وَكَانَتْ بِمَعْنَى الْأِسْمِ فَصِلَتْ عَمَّا قَبْلَهَا، وَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى الْحَرْفِ وَصِلَتْ بِمَا قَبْلَهَا،^(١) وَتَفْسِيرُ هَذَا الْقَوْلِ يَقْتَضِي أَنَّ الْكَاتِبَ حِينَ يَكْتُبُ، عَلَيْهِ أَنْ يُمَيِّزَ (مَا) الَّتِي هِيَ اسْمٌ مَوْصُولٌ، مِنْ (مَا) الَّتِي هِيَ حَرْفٌ زَائِدٌ، كَمَا فِي قَوْلِنَا:

كُلُّ مَا جَازَ بَيْعُهُ جَازَ رَهْنُهُ

رَضِيتُ بِكُلِّ مَا قَضَيْتُهُ

اسْتَحْسَنْتُ كُلَّ مَا قُلْتُهُ

حَيْثُ فَصِلَتْ (مَا) عَمَّا سَبَقَهَا؛ لِأَنَّهَا اسْمٌ مَوْصُولٌ بِمَعْنَى الَّذِي، أَمَّا إِذَا قُلْتَ:

كُلَّمَا زَادَتْ الْبَطَالَةُ، زَادَتْ الْجَرِيمَةُ

كَانَ صَدِيقِي يَتَّصِلُ بِي، كُلَّمَا احتَاجَ مُسَاعَدَةً

فَإِنَّكَ تَكْتُبُ (مَا) مُتَّصِلَةً بِـ(كُلِّ): كُلَّمَا ؛ لِأَنَّهَا حَرْفٌ لَا اسْمٌ مَوْصُولٌ.

(١) الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م): شرح شافية ابن الحاجب.

تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية،

بيروت، ج ٣، ص ٣٢٥-٣٢٦.

وهذا معناه أن الوظيفة النحوية لـ(ما) هي التي تُحدّد كتابتها موصولةً، أو مفصولةً. غير أن الهوريني ذهب إلى أن المؤثر هو دور (كل) في الجملة، فإن كانت مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة فصلت عن (ما)، وإلا وصلت بها.^(١)

ومهما يكن من أمر، فإن الدور النحوي هو الذي يحدّد شكل الكتابة. ومثل هذا يُقال عن:

إنّ ما تقرأ قرآن (إن: توكيد/ ما: موصولة) قرآن: خبر إن مرفوع.
 إنّما تقرأ قرآنًا (إنما: أداة حصر) قرآنًا: مفعول به للفعل تقرأ.
 وكذلك الحال في كتابة (أن / لا / ألا)؛ إذ تكتب مفصولة إذا كانت (أن) مخففة من (أن) الثقيلة، ولكنها تدغم وتكتب موصولة في غير ذلك، مثل:
 علمت أن لا فائدة من المحاولة = أنه لا فائدة
 طلبت منه ألا يمل المحاولة.

يقول غانم الحمد: "وإذا وقعت (لا) بعد (أن) المفتوحة الهمزة كتبت موصولة هكذا (ألا)، إذا كانت (أن) عاملة ونصبت الفعل المضارع نحو: أحببت ألا تقول ذلك. وتكتب مفصولة هكذا (أن لا) إذا لم تكن (أن) عاملة في الفعل نحو: علمت أن لا تقول ذلك، لأنها مخففة من الثقيلة، والمعنى: علمت أنك لا تقول ذلك".^(٢)

بينما ذهب عبد السلام هارون إلى القول: "(أن) المفسرة والمخففة من الثقيلة تُفصلان، وتثبت فيهما النون: أشرت عليه أن لا يفعل..."^(٣)، فإذا رفعت (يفعل)

(١) الهوريني، المطالع النصرية، ص ٧٣.

(٢) الحمد، علم الكتابة العربية، ص ١٧٦.

(٣) هارون، قواعد الإملاء، ص ٦١.

فَصَلَّتْ بَيْنَ (أَنْ) وَ (لَا)؛ أَمَا إِذَا نَصَبْتَ (يَفْعَل) فَإِنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَصِلَ بَيْنَهُمَا فِي الْكِتَابَةِ فَتَكْتُبَ:

أَشْرَتْ عَلَيْهِ أَلَا يَفْعَل.

وَيَجْذُرُ النَّتْبَةُ هُنَا إِلَى أَنَّ هَذَا الْفَارِقَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ يَتَجَلَّى فِي الْمَكْتُوبِ، وَلَا يَظْهَرُ لَهُ أَيْ أَثَرٌ فِي الْمَنْطُوقِ إِذْ إِنَّ النَّاطِقَ فِي الْحَالَيْنِ يَقُولُ: (أَلَا) فَقَدْ حَصَلَتْ مُمَاتَلَّةٌ صَوْتِيَّةٌ تَامَّةٌ رَجَعِيَّةٌ تَجَاوُزِيَّةٌ: إِذْ أَثَرَتْ اللَّامُ فِي النَّونِ فَقَلَبَتْهَا نُونًا:

أَنَّ لَا < أَل لَا ثُمَّ أَدْغَمَتِ اللَّامَانِ؛ لِنَتَنُطْقَا صَوْتًا وَاحِدًا مُشَدَّدًا: (أَلَا)، أَيْ أَنَّ الْمُشْتَرَكَ اللَّفْظِيَّ ظَاهِرٌ فِي النَّطْقِ، إِلَّا أَنَّ الْفَرْقَ يَظْهَرُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ فِي الْكِتَابَةِ: (أَنَّ لَا) وَ (أَلَا) .

وهنا لا بُدَّ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الْإِمْلَائِيَّةِ؛ حَيْثُ يَكُونُ الْمَكْتُوبُ أَوْضَحَ مِنَ الْمَنْطُوقِ، فَفِي النَّطْقِ مُشْتَرَكٌ يُفْضَى إِلَى اللَّبْسِ وَتَعَدُّدِ الْمَعَانِي، وَفِي الْخَطِّ مُفْتَرَقٌ يُعَيِّنُ الْمَعْنَى.

المُشْتَرَكُ الصَّوْتِيُّ وَالْمُخْتَلَفُ الْإِمْلَائِيُّ:

يَذْكُرُ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ مَا يُعْرَفُ بِالْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ مِنْ مِثْلِ كَلِمَةِ (عَيْن) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ لَكِنَّهُمْ نَبَّهُوا عَلَى شَكْلِ مِنْ أَشْكَالِ الْمُشْتَرَكِ يَكُونُ الْإِشْتِرَاكُ فِيهِ فِي اللَّفْظِ دُونَ الْكِتَابَةِ؛ كَمَا فِي كَلِمَتَيْ: (right) وَ (write) فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ؛ فَهُمَا فِي اللَّفْظِ وَاحِدٌ وَمَعْنَاهُمَا مُخْتَلَفٌ، فَالْأُولَى بِمَعْنَى (صَوَاب) وَالثَّانِيَةُ فَعَلٌ بِمَعْنَى (يَكْتُبُ)، وَلَكِنَّ الْإِمْلَاءَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ لِيَتَّضِحَ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَهُمَا.^(١)

(١) الخولي، محمد علي: مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠، ص ١٣٩.

ومثل هذا مَوْجُودٌ في كَلِمَةٍ (إِذَا) و (إِذَنْ)، فَقَدْ اختلفَ العُلَمَاءُ في كتابتهما، وكانَ جُلُّ خِلافِهِمْ مَبْنِيًّا عَلَى النَّظَرِ إِلَى الْفَرْقِ الدَّلَالِيِّ النَّحْوِيِّ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ، الْأُولَى ظَرْفٌ وَالثَّانِيَةُ حَرْفُ جَوَابٍ؛ وَلِهَذَا ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى كِتَابَةِ الْأُولَى بِالتَّوْنِ (إِذَا)، وَكِتَابَةِ الثَّانِيَةِ بِالنُّونِ (إِذَنْ)؛ وَقَدْ أَخَذَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ حِيزًا كَبِيرًا مِنَ النِّقَاشِ بَيْنَ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ، وَكَانَتْ مَوْضِعَ خِلَافٍ فِي الْأَرَاءِ بَيْنَهُمْ.^(١)

وَمِمَّا يَرْفُذُ هَذَا التَّفْسِيرَ النَّحْوِيَّ أَنَّكَ تَجِدُ النُّحَاةَ يَسْتَمْسِكُونَ بِالْفَرْقِ الْإِمْلَائِيِّ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ؛ أَمَّا عُلَمَاءُ رَسْمِ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ فَلَا؛ وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ السَّيُوطِيُّ (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) حِينَ قَالَ: "وَقَدْ مَالَ جُمْهُورُ النُّحَاةِ إِلَى كِتَابَتِهَا بِالنُّونِ، وَجُمْهُورُ أَهْلِ الرَّسْمِ عَلَى كِتَابَتِهَا بِالْأَلِفِ".^(٢)

وَكَانَ النُّحَاةُ يُرِيدُونَ أَنْ تَظْهَرَ الْمَعَانِي النَّحْوِيَّةُ فِي صُورَةِ الْإِمْلَاءِ، وَإِنْ لَمْ تَظْهَرْ فِي اللَّغَةِ الْمَنْطُوقَةِ أَصْلًا.

الْأَسْمَاءُ الْمُركَّبَةُ:

فِي الْعَرَبِيَّةِ أَعْلَامٌ مُركَّبَةٌ تَرْكِيبًا إِضَافِيًّا مِثْلُ: صَلَاحِ الدِّينِ، أَوْ مُركَّبَةٌ تَرْكِيبًا إِسْنَادِيًّا مِثْلُ: سُرٍّ مَنْ رَأَى، أَوْ مُركَّبَةٌ تَرْكِيبًا مَرْجِيًّا مِثْلُ: طَوْلَكَرَمَ، وَهَذِهِ الْأَعْلَامُ الثَّلَاثَةُ مُكوَّنةٌ مِنْ اسْمَيْنِ بَيْنَهُمَا عِلَاقَةٌ إِضَافَةٌ أَوْ مَرْجٍ، أَوْ مِنْ فِعْلٍ وَنَائِبٍ فَاعِلٍ. وَيَبْدُو أَنَّ نَوْعَ الْعِلَاقَةِ النَّحْوِيَّةِ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ يُحَدِّدُ كَيْفِيَّةَ كِتَابَتِهِمَا؛ فَإِنْ كَانَتْ الْعِلَاقَةُ

(١) الحمد، علم الكتابة العربية، ص ١٤٠.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م): الإتيان في علوم القرآن،

تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٧، ج ٢، ص ١٥٤.

بَيْنَهُمَا عِلَاقَةٌ إِضَافَةٌ أَوْ إِسْنَادٌ فُصِيلاً، وَإِنْ كَانَتِ الْعِلَاقَةُ عِلَاقَةً مَرْجٍ مُرِجَتْ
الْكَلِمَتَانِ فِي الْخَطِّ فَكُنْتَا مَوْصُولَتَيْنِ^(١).

وَيُمْكِنُ أَنْ نُنَبِّقَ هَذَا الْحُكْمَ عَلَى كِتَابَةِ الْأَسْمَاءِ لِلْمُدُنِ وَالْقُرَى فِي وَقْتِنَا
الْحَاضِرِ فَكَتَبَ:

مَرْجٌ دَابِقٌ أَوْ: مَرْجٌ بَنِي عَامِرٍ (بِالْفَصْلِ)

و: مَرْجَعِيُونَ (بِالْوَصْلِ)

لَأَنَّ الْأَخِيرَةَ مُرَكَّبَةٌ مَرْجِيًّا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ النُّوعَ الْأَخِيرَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ.
أَمَّا النُّوعُ الْأَوَّلُ فَهُوَ مُعَرَّبٌ مَصْرُوفٌ مِثْلُ: (بَيْتِ رَأْسٍ) كَمَا وَرَدَتْ فِي شِعْرِ
حَسَّانَ ابْنِ ثَابِتٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ^(٢)

وَتَجْدُرُ الْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَعْلَامِ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُدُنِ وَالْقُرَى بِحَاجَةٍ إِلَى
تَحْدِيدِ نَوْعِ التَّرَكِيبِ فِيهَا؛ كَيْ يَعْرِفَ النَّاطِقُ بِالْعَرَبِيَّةِ كَيْفَ يَنْطِقُهَا (مَمْنُوعَةٌ مِنَ
الصَّرْفِ أَمْ مَصْرُوفَةٌ)، ثُمَّ لِيَعْرِفَ كَيْفَ يَكْتُبُهَا (مَوْصُولَةٌ أَمْ مَفْصُولَةٌ)، مِثْلُ:
بَيْتَ لَحْمٍ ، بَيْرَ زَيْتٍ ، بَيْتَ دَجَنٍ ، كَفَرٍ عَقَبٍ ، رَامَ اللَّهِ .

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م): **همع الهوامع في شرح**

جمع الجوامع. تحقيق: عيد العال سالم مكرم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢، ج ٦، ص ٣١.

(٢) حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ / ٦٤٤م)، **الديوان**. تحقيق: الشيخ عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة

الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٩، ص ٣؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م):

لسان العرب. دار صادر، بيروت، ١٩٥٥، ج ١، ص ٩٣ مادة (سبأ).

وَبَعْدُ؛ فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَقْتَضِي مِنَ الْكَاتِبِ دِرَاسَةً تَارِيخِيَّةً لُغَوِيَّةً؛ لِيَعْرِفَ أَصْلَ هَذِهِ الْأَعْلَامِ وَنَوْعَ التَّرَكِيبِ الَّذِي يَرْبِطُ أَجْزَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يَكْتُبُهَا. وَفِي هَذَا تَحَكُّمٌ يَجْعَلُ قَوَاعِدَ الْكِتَابَةِ أَمِيلًا إِلَى التَّعْقِيدِ مِنْهَا إِلَى التَّيَسِيرِ.

٣. أَثَرُ الدَّلَالَةِ:

قالَ أَحْمَدُ شَوْقِي:

رَبِّمَ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
عَلَى: حَرْفُ جَرٍّ، وَقَدْ كُتِبَتِ الْأَلِفُ فِي آخِرِهِ يَاءً غَيْرَ مَنْقُوطَةٍ؛ وَلَكِنْ لَوْ قَرَأَهَا
أَحَدُهُمْ مُصَحِّفًا: رَبِّمَ عَلَا الْقَاعَ ...
عَلَا: فِعْلٌ مَاضٍ (عَلَا يَعْلُو عُلُوءًا)، فَإِنَّهُ لَمْ يُشْطِطْ فِي قَوْلِهِ؛ لِأَنَّ الْوِزْنَ لَا
يَخْتَلُ، وَظَلَّ الْمَعْنَى مُتَقَارِبًا.

وهذا يُظْهِرُ أَنَّ الْإِمْلَاءَ الْعَرَبِيَّ مُرْتَبِطٌ بِالتَّفْرِيقِ الدَّلَالِيِّ بَيْنَ: عَلَى: الْحَرْفِ وَ
عَلَا: الْفِعْلِ.

وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ يُقَالُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ يَحْيَى وَ يَحْيَا، فَالاسْمُ (يَحْيَى) وَالْفِعْلُ
(يَحْيَا)، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ: الْعَصَا لِمَنْ عَصَى، فَالْإِمْلَاءُ الْعَرَبِيُّ يُفَرِّقُ بَيْنَ كَلِمَاتٍ
مُتَشَابِهَاتٍ فِي النُّطْقِ مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْمَعْنَى.
وَلَعَلَّ مِنْ أَشْهُرِ الْمُبَاحَثَاتِ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ وَאוْ عَمَرُو.

وَאוْ عَمَرُو:

يَقُولُ بَعْضُ الْمُعَلِّمِينَ لِتَلَامِيذِهِمْ فِي فُصُولِ التَّدْرِيسِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ: لَقَدْ سَرَقَ
(عَمَرُو) الْوَائِ مِنْ (دَاوُدَ)، فَنُظِمَتِ الْحِكَايَةُ شِعْرًا:

أَيُّسَرَقُ دَاوُدُ وَيُنْصَبُ لِلْوَرَى وَقَدْ كَانَ أُخْرَى أَنْ يُجَلَّ وَ يُكْرَمَا

تَقِ اللَّهَ وَارْزُقْ مَا أَخَذْتَ فَضْمُهُ لَعَلَّكَ إِنْ تَفَعَّلَ أَتَاكَ مُسْلِمًا^(١)

وهذه المقولة جميلة جدًا من حيث كونها وسيلة تعليمية لتحقيق التلاميذ؛
ليعلموا أن كتابة (عَمَرُو) فيها واو زائدة وكتابة (داود) فيها واو محذوفة.

غير أن المشكلة تبرز حين نَصْبِحُ وسيلة التعليم علمًا؛ نظرًا لتردادها وكثرة استعمالها؛ فهل سرق (عَمَرُو) وهل سرق (داود)؟

تذكرُ كُتُبُ الإملاء أن الواو تزاو في (عَمَرُو) فرقًا بينه وبين (عَمَر)؛ قال ابنُ قُتَيْبَةَ: "تَدْخُلُ فِي "عَمَرُو" - فِي حَالِ رَفْعِهِ وَجَرِّهِ - الْوَائِي؛ فَفَرْقًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ "عَمَرٍ" فَإِذَا صِرَتْ إِلَى حَالِ النَّصْبِ لَمْ تُلْحَقْ بِهِ وَائِي؛ لِأَنَّ "عَمَرًا" يَنْصَرِفُ، وَ"عَمَرٌ" لَا يَنْصَرِفُ؛ فَكَانَ فِي دُخُولِ الْأَلِفِ فِي "عَمَرُو"، وَامْتِنَاعِهَا مِنْ دُخُولِهَا فِي "عَمَرٍ" فِي حَالِ النَّصْبِ فَرْقٌ، فَلَمْ يَأْتُوا بِفَرْقٍ ثَانٍ...".^(٢)

وبناءً على هذا الوصف لوظيفة الواو في (عَمَرُو)، يكون هذا الحرف الزائد في الخط على النطق وسيلةً للتعويض من كتابة الحركات القصيرة؛ فبدلاً من كتابة (عَمَر) و (عَمَر) جعلوا الواو في (عَمَرُو) علامةً فارقةً بين هذين العلمين. ويبدو أن الحاجة إلى هذه الواو كانت ملحّةً في مرحلةٍ كُتِبَتْ فيها الكلمات العربية خاليةً من الحركات؛ أي أن الكتاب العرب زادوا الواو منذ البدء لهذه الغاية.

(١) نظمهما الشاعر الفلسطيني عبد السلام موسى (ديوانه لم يطبع بعد).

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٠٠-٢٠١؛ وانظر: السيوطي، همع الهوامع، ج ٦، ص ٣٢٨.

جاء في "المطالع النصريّة": "وأما زيادة الواو في الطرف ففي اسم عمرو؛ فرقاً بينه وبين عمر وذلك بشروط: أن يكون علماً لم يصف لضمير، ولم يقع في قافية، ولم يصغر، ولم يكن محلياً بـ(ال)، ولا منصوباً منوّناً...".^(١)

ولكن يعترض هذا التفسير جملة من الطعون:

أولها: هل فرقت الكتابة العربية بين كلمات أخرى متشابهة في صواميتها مختلفة في صوائتها كما فعلت في عمرو وعمر؟ لم تميز بين سعيد وسعيد، أو كثير وكثير من الأعلام؟ ولماذا لم نجد ما يفرق بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول في الأفعال نحو: علم وعلم؛ سمع وسمع؟ أو ما يفرق بين المفرد والجمع في الأسماء مثل: سقف وسقف... ولو كان ما يقوله الإملائيون صحيحاً لوجدنا ذلك نهجاً في الإملاء، لا حالة أو حالتين.

ثانيها: يذكر الإملائيون العرب أن الكتاب زادوا في (عمرو) ولم يزدوا في (عمر)؛ لأن (عمرًا) أخف من حيث بناؤه على (فعل)، ومن حيث انصرافه،^(٢) علماً بأن الزيادة - لو وافقناهم في فهمهم - كان ينبغي أن تلحق المتأخر لا المتقدم؟ فمعلوم أن (عمرو) علم موغل في القدم، أما (عمر) فهو علم عدل به عن (عامر) بحسب النحويين العرب.

ثالثها: ما الفرق بين (عمرو) العلم و (عمر) الذي جمعه عمور الأسنان؛ حتى تكتب (عمرو) بواو و (عمر) بغيرها؟ فلو كانت الواو المزيدة لتوضيح الحركات التي على الكلمة لوجب كتابة (عمرو) الأسنان بواو.

(١) الهوريني، المطالع النصريّة، ص ١٥٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ١٧٨.

هذه التساؤلاتُ تسوقنا إلى القول: إنَّ الواوَ في (عَمَرُو) مَوْرُوثٌ إِمْلَائِيٌّ مِنْ الخَطِّ العَرَبِيِّ القَدِيمِ؛ ففِي نَقْشِ النَّمَارَةِ: كُتِبَتْ (نَزَرُو، عَمَرُو، مَعَدُو)، وَيَذْكَرُ رمزي بعلبكي أنَّ هذه الواوَ تُزَادُ فِي أَسْمَاءِ الأَعْلَامِ فِي النَبْطِيَّةِ وَالتَّدْمُرِيَّةِ،^(١) وَنَجِدُ فِي نَقْشِ (مرانا) مَلِكِ النَبْطِ مَا يَأْتِي: " مرانا ملكو ملكا ملك نبط"، وَتَرْجُمَتُهُ: الملكُ مرانا مَلِكُ مُلُوكِ النَبْطِ،^(٢) كَمَا أَنَّ زِيَادَةَ الواوِ فِي هَذَا العَلَمِ مِنْ تَأْثِيرِ لَهْجَةٍ عَرَبِيَّةٍ قَدِيمَةٍ هِيَ لَهْجَةُ أَرْدِ السَّرَاةِ الَّذِينَ يَقْفُونَ عَلَى (بكر، زيد، عمر) بواوٍ فِي الرَّفْعِ فَتُصْبِحُ (بكرو، زيدو، عمرو)، وَيَأْيُ فِي الجَرِّ (بكري، زيدي، عمري)، وَأَلِفٌ فِي النِّصْبِ إِشْبَاعًا لِلْحَرَكَةِ (بكرا، زيدا، عمرا).^(٣)

غَيْرَ أَنَّ الكِتَابَةَ العَرَبِيَّةَ فِي مَرَاكِحَ لَاحِقَةٍ تَخَلَّصَتْ مِنْ هَذِهِ الواوِ فِي الأَعْلَامِ وَبَقِيَتْ واوُ (عمرو)؛ وَقَدْ لَاقَى ذَلِكَ هَوًى لَدَى الكُتَّابِ فِي مَرَحَلَةِ التَّقْعِيدِ إِذْ وَجَدُوا فِي زِيَادَةِ الواوِ سَبِيلًا لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ عُلَمَاءٍ مَشْهُورِينَ فَأَبْقَوْهَا وَلَمْ يَحْذِفُوهَا؛ كَمَا فَعَلَ بِأَخَوَاتِهَا فِي سَائِرِ الأَعْلَامِ.

وَلَكِنَّهُمْ فِي هَذِهِ المَرَحَلَةِ أَعْمَلُوا قَوَاعِدَهُمْ فِي واوِ (عمرو) فَأَوْجَبُوا حَذْفَهَا إِذَا نَوَّنَ بِالنِّصْبِ (عَمْرًا)؛ لِأَنَّ التَّنْوِينَ يَلْحَقُ (عَمْرًا) وَلَا يَلْحَقُ (عُمَر). وَذَهَبُوا إِلَى حَذْفِهَا مِنْ (عَمْرُو) إِذَا وَقَعَ فِي قَافِيَةِ الشَّعْرِ؛ لِأَنَّ الوِزْنَ يَجْعَلُكَ تُمَيِّزٌ بَيْنَ (عُمَر) وَ (عَمْرُو)، يَقُولُ نصر الهوري: "وكذا لا تُزَادُ إِذَا وَقَعَ قَافِيَةٌ لَتَنَافِي (عَمْرُو) وَ (عُمَر) فِيهَا، فَلَا يُفْضَى إِلَى التِّيَاسِ كَقَوْلِ العَرَجِيِّ الشَّاعِرِ...:

(١) بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اللغات السامية. ط١، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٩، ص ١٤٣.

(٣) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ / ٧٩٦م): الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة

المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٧، ج ٢، ص ١٦٧.

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا وَلَمْ تَكُنْ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرِ^(١)
وَقَوْلِ الْآخِرِ:

إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمَى كَوَاوٍ أُلْحَقْتَ فِي الْهَجَاءِ ظُلْمًا بِعَمْرِ^(٢)

وَيَبْدُو أَنَّ بَعْضَ الْكُتَّابِ لَمْ يُوَافِقْ عَلَى حَذْفِ وَاوٍ (عَمْرٍو) فِي الشَّعْرِ، وَفَضَّلُوا
إثباتها في الشَّعْرِ كَمَا فِي النَّثْرِ، زَاعِمِينَ أَنَّ النَّاسَ يَنْفَاوَتُونَ فِي مُوسِيقَى الشَّعْرِ
وَأَوْزَانِهِ؛ "لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ مِمَّنْ يَقْرَأُ الْكِتَابَ يَعْرِفُ وَزْنَ الشَّعْرِ وَخَلْلِهِ"،^(٣) وَيَبْدُو أَنَّ
الْأَثَرَ الْمَوْسِيقِيَّ فِي كِتَابَةِ (عَمْرٍو) لَمْ يَسْتَحْكَمْ تَمَامَ الْاسْتِحْكَامِ، كَمَا هُوَ الْحَالُ
بِالنَّسْبَةِ لِلْأَثَرِ النَّحْوِيِّ؛ فَهَذَا صَاحِبُ الْخَزَانَةِ يُنْبِتُ الْوَاوَ فِي (عَمْرٍو) فِي الْبَيْتِ
السَّابِقِ "فِي آلِ عَمْرٍو"، وَكَذَلِكَ رُسِمَتْ فِي دِيْوَانِ الشَّاعِرِ الْعَرَجِيِّ.

وَهُنَا يَظْهَرُ أَثَرُ الْقَوَانِينِ الْمَوْسِيقِيَّةِ فِي الْإِمْلَاءِ الْعَرَبِيِّ فَضْلًا عَنْ أَثَرِ الْقَوَانِينِ
النَّحْوِيَّةِ السَّالِفَةِ الذِّكْرِ؛ لِجَعْلِ الْمُتَدَبِّرِ فِي أَمْرِ هَذِهِ الْوَاوِ يَمِيلُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْوَاوَ
فِي (عَمْرٍو) لَمْ تَكُنْ ابْتِكَارًا إِمْلَائِيًّا عَرَبِيًّا؛ بَلْ هِيَ مِنْ الْمُتَحَجَّرَاتِ الْإِمْلَائِيَّةِ - إِنْ
صَحَّ التَّعْبِيرُ - ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَيْهَا الْقَوَانِينُ النَّحْوِيَّةُ ثُمَّ الْمَوْسِيقِيَّةُ، فَاسْتَوَتْ الْأُولَى
وَاسْتَحْكَمَتْ؛ وَلَمْ تَنْبِتِ الثَّانِيَّةُ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا حَظٌّ مِنَ الْإِنْتِشَارِ وَالذُّيُوعِ.

(١) الهوريني، المطالع النصرية، ص ١٩٧. ؛ انظر: العرجي، عبد الله بن عمر (ت ١٢٠هـ / ٧٣٨ م):

ديوان العرجي. تحقيق: خضر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، بغداد،

١٩٥٦، ص ٣٥ والرواية في الديوان: "ولا لي نسبة في (آل عمرو)؛" أما الرواية في: البغدادي، خزانة

الأدب، ج ١، ص ٩٩ فهي: "ولم تك نسبتي من آل عمرو".

(٢) المصدر السابق ؛ والرواية التي في: البغدادي، خزانة الأدب، ج ٥، ص ١٠٥: "ألحقت في الهجاء

ظلمًا بعمرٍو".

(٣) الهوريني، المطالع النصرية، ص ١٩٨.

٤. تَدَاخُلُ الْمُؤَثَّرَاتِ:

سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ فِي مُقَدِّمَةِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ إِلَى الْمَرَاكِزِ الَّتِي تَشَكَّلُ فِيهَا نِظَامُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَبْدُو أَنَّ الْإِمْلَاءَ الْعَرَبِيَّ قَدْ خَضَعَ لِعَوَامِلَ كَثِيرَةٍ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ، وَحَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا بِصُورَتِهِ الْحَالِيَّةِ.

فَالْأَصْلُ النَّبْطِيُّ وَالرَّسْمُ الْقُرْآنِيُّ وَالْقَوَانِينُ اللَّغَوِيَّةُ الدَّاخِلِيَّةُ تَعَاوَرَتْ لِنُؤَثِّرَ فِي اللُّغَةِ الْمَكْتُوبَةِ.

وَلَكِنَّ كِتَابَةَ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ تَأَثَّرَتْ بِأَكْثَرِ مِنْ عَامِلٍ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَ الْبَاحِثِينَ يَخْتَلِفُونَ فِي تَفْسِيرِهَا، عِلْمًا بِأَنَّهَا قَدْ خَضَعَتْ لَهَا جَمِيعًا أَوْ لِبَعْضِهَا.

الْأَلِفُ الْفَارِقَةُ: فَارِقَةٌ أَمْ فَاصِلَةٌ ؟

يُجْمَعُ عِلْمَاءُ الْإِمْلَاءِ وَ الْكُتَّابَةُ الْمُعَاصِرُونَ عَلَى أَنَّ الْأَلِفَ تَزَادُ فِي الْخَطِّ بَعْدَ وَاوِ الْجَمَاعَةِ نَحْوُ: (دَرسُوا ، جَلَسُوا) وَلَا تَزَادُ بَعْدَ الْوَاوِ الْأَصْلِيَّةِ نَحْوُ: (يَرْجُو ، يَدْنُو) وَلَا بَعْدَ وَاوِ الْجَمْعِ نَحْوُ: (مَعْلَمُو زَيْدٍ). كَمَا أَنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ تَعْلِيلًا صَرِيحًا لِذَلِكَ وَهُوَ التَّفْرِيقُ بَيْنَ وَاوِ الْجَمَاعَةِ مِنْ جِهَةٍ، وَالْوَاوِ الْأَصْلِيَّةِ وَ وَاوِ الْجَمْعِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ رَانَ عَلَيْهِ إِلْفُ الْكِتَابِ وَعُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرِينَ؛ إِذْ اسْتَقَرَّ عِنْدَهُمْ مَوْضِعُ زِيَادَةِ تِلْكَ الْأَلِفِ، وَسُرُّ زِيَادَتِهَا، وَفَوْقَ هَذَا وَذَلِكَ تَسْمِيَتُهَا بِـ "الْفَارِقَةِ" ؛ فَهِيَ عِنْدَهُمُ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْوَاوَاتِ.^(١)

(١) هَارُونُ، قَوَاعِدُ الْإِمْلَاءِ، ص ٣٥ - ٣٦ ؛ سَعِيدُ، الْمُرْشِدُ فِي الْإِمْلَاءِ، ص ٥٧ ؛ إِبْرَاهِيمُ، الْإِمْلَاءُ

وَالْتَفْرِيقُ، ص ٨١ ؛ الْحَمْدُ، عِلْمُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ص ١٣١ - ١٣٦.

ونزعمُ في هذا المقام _ ومنذُ البداية، أنَّ هذا الذي ألفه النَّاسُ في عصرنا ليس مُسلِّماً لا نقاشَ فيه، وليس الحقُّ الذي ما عداه باطلٌ؛ بل ربُّما يكونُ العكسُ صحيحاً.

وقبلَ تفنيدِ هذه المقولةِ أو تأييدها لا بدُّ من القول: إنَّ فهمَ الإملائيين المعاصرينَ لهذه الألفِ "الفارقة" مُرتبطٌ بالإشارةِ إلى واوِ الجماعةِ التي هي في "علم اللغة" مورفيمٌ صرفيٌّ يدلُّ على الجماعة، وبهذا فإنَّ وظيفةَ هذه الألفِ في الإملاء _ بحسبِ فهمهم _ صرفيَّةٌ دلاليَّةٌ، فهي صرفيَّةٌ لأنَّها تُشيرُ إلى واوِ الجماعة، وهي دلاليَّةٌ لأنَّ هذا المورفيمَ له معنى. فالألفُ هنا تُفرِّقُ بينَ تلكَ الواوِ والواوِ التي هي فونيمٌ تركيبِيٌّ في "يرجو، يدنو"، ومعلومٌ أنَّ الفونيمَ التركيبِيَّ هنا لا معنى له، أما الواوُ التي هي مورفيمٌ قواعديٌّ في "مُعلِّمٌ زيْدٌ" فنُشيرُ إلى حالةِ إعرابيَّةٍ مُرتبطةٍ بموقعِ الاسمِ "وهو الرِّفْعُ" فهي بمنزلةِ الضمَّةِ القصيرةِ في "مُعلِّمٌ زيْدٌ"، يقولُ نصرٌ الهورينيُّ مُمثلاً على المواضعِ التي لا تُضافُ فيها ألفٌ بعدَ الواوِ: "أبو الوفاءِ ذو مالٍ وأخو عِلْمٍ و مُتقدِّمو العلماءِ همُ أُولو الفضلِ و ذُوو السَّبْقِ"،^(١) وإذا صحَّ هذا الفهمُ صحَّتِ التَّسميَةُ بأنَّها ألفٌ فارقةٌ.

والحقُّ أنَّ القدماءَ من علماءِ العربيَّةِ كانوا أدقَّ وأعمقَ في دراسةِ هذه الألفِ؛ إذ ناقشوا في التَّسميَةِ وفي المواضعِ التي تُزادُ فيها، فقالَ المُتقدِّمونَ منهم: إنَّها ألفٌ فصلٌ فهي عندهم فاصلةٌ لا فارقةٌ، أي أنَّ وظيفةَ الألفِ بعدَ الواوِ هي الفصلُ بينَ كلمتين، يقولُ ابنُ قُتيبةٍ في أدبِ الكاتبِ:

(١) الهوريني، المطالع النصريَّة، ص ١٥٠.

"ألفُ الفصلِ تُزادُ بعدَ واوِ الجمعِ مَخافةً التباسها بِواوِ النَّسَقِ في مِثْلٍ: (وردوا وكفروا) أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يُدْخِلُوا الألفَ بعدَ الواوِ ثُمَّ اتَّصَلَتْ بِكَلَامٍ بعده ظَنُّ القارئِ أَنَّها: كَفَرَ وَفَعَلَ...". (١).

فَهي عِنْدَهُ أداةٌ للفصلِ بَيْنَ كلمَتينِ يُخشى أَنْ تَتَدَاخَلَ حُرُوفُهُما، فَلَوْ لَمْ تُكْتَبْ (كفروا فعل) بِالْفِ لَظَنَّا القارئُ (كفرَ وَ فعل) فَاحتاجَ إلى إِشارةٍ تُوضِّحُ له مَوْقعَ الواوِ؛ أَهيَ مَعَ الكلمةِ الأولى أَمْ هيَ واوُ عطفٍ. وهذا الفهمُ يَجْعَلُنا نَقولُ : إِنَّ وظيفَةَ الألفِ في الخطِّ لا عَلاقةَ لها بالتَّفريقِ بَيْنَ الواواتِ آفَةِ الذِّكرِ. إِذْ يُمكنُ أَنْ يَقَعَ اللَّبْسُ في (فَرَوِ جَمَلٍ)، فَرَبَّما يَظُنُّها القارئُ (فَرَّ وَ جَمَلٍ). وَيُمكنُ أَنْ يَقَعَ في واوِ الجمعِ أَيضاً في مِثْلٍ: (ناصرِو زَيْدٍ) إِذْ ربَّما يَظُنُّها القارئُ (ناصرِ وَ زَيْدٍ).

واللافتُ هُنَا أَنَّ ابنَ قُتَيْبَةَ يُصرِّحُ بِما لا يَدْعُ مَجالاً للشكِّ بِأَنَّ هذه الألفَ كانتْ تُزادُ بعدَ كُلِّ واوٍ في آخِرِ الكلمةِ؛ سِواءً أَكانتْ واوًا أَصْلِيَّةً مِثْلَ: (يغزوا ، ويدعوا)، (٢) أَوْ كانتْ واوِ جَمْعٍ أَوْ جماعةٍ أَوْ غيرِ ذلك . حَتَّى قالَ: " إِنَّ مُتَقَدِّمِي الكُتَّابِ لَمْ يَزَالوا على ما أَنبأْتُكَ مِنْ إلحاقِ أَلِفِ الفصلِ بِهذه الواواتِ كُلِّها لِيَكُونَ الحُكْمُ في كُلِّ مَوْضِعٍ واحداً". (٣)

ورأى ابنُ قُتَيْبَةَ هذا يُفسِّرُ لَنا بعضَ قِضايا الرِّسَمِ العِثمانيِّ في المُصحفِ الشَّريفِ إِذْ نَجِدُ فيه: ﴿كَلَّا إِنَّها لَظَى... تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى﴾ (المَعارج ١٧) وَ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إلى اللَّهِ﴾ (يوسف ١٠٨) وَ ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبٌ﴾ (الرَّعد

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ١٨٩ ؛ الصولي، أدب الكتاب ، ص ٢٤٦.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٩.

(٣) المصدر السابق.

(٣٦) و ﴿إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ﴾ (السجدة ١٢) و ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران ٧) و في كُلِّ آيَةٍ وَرَدَتْ فِيهَا كَلِمَةٌ (أولو) في القرآن كُتِبَتْ بِالْفِ زَائِدَةٍ.

وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّكَ تَجِدُ فِي الْقُرْآنِ كَلِمَاتٍ خُيِّمَتْ بِوَائِهِ صَوْرَةٌ لِلْهَمْزَةِ وَقَدْ اتَّبَعْتُ بِالْفِ مِثْلَ: (العلموا) في ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر ٣٥) و ﴿إِنْ أَمْرُؤَا هَلَكْ﴾ (النساء ١٧٦).^(١)

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَ وَضِعَتْ أَصْلًا فَاصِلَةً أَنَّكَ تَجِدُ الْعُلَمَاءَ فِي الْقِرَاءَةِ نَاقَشُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين ٣): أَهْيَ كَالُوا هُمْ أَمْ كَالُوهُمْ؛ فَإِنْ كَانَتْ (كَالُوهُمْ) عُدَّ الضَّمِيرُ (هُمْ) ضَمِيرًا مُتَّصِلًا، أَمَّا إِنْ كَانَتْ (كَالُوا هُمْ) فَالضَّمِيرُ (هُمْ) ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ. وَقَدْ خَلَّصُوا إِلَى الْقَوْلِ: إِنْ (هُمْ) ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي الْآيَةِ بِدَلِيلِ الرَّسْمِ، إِذْ كُتِبَتْ: كَالُوهُمْ بِغَيْرِ أَلْفٍ فَصَلَّ.^(٢) وَقَالَ ثَعْلَبُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى (ت ٢٩١هـ / ٩٠٤م) تَوْضِيحًا لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: "إِذَا قُلْتَ: ظَلَمُوهُمْ، وَكَانَتْ (هُمْ) اسْمًا مَنْصُوبًا لَمْ تَكْتُبْ أَلْفًا، لِأَنَّهَا اتَّصَلَتْ بِالْفِعْلِ كَاتِّصَالِ الْهَاءِ فِي (ظَلَمَهُ)، وَإِنْ كَانَتْ تَوْكِيدًا فِي (ظَلَمُوا) كَتَبْتَ (ظَلَمُوا) بِالْأَلْفِ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا

(١) الجهني، أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت ٤٤٢هـ / ١٠٥١م): "كتاب البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان"، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مجلة المورد، المجلد ١٥، الجزء ٤، سنة ١٩٨٦م، ص ٢٨٩ - ٢٩٠؛ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٣م): المحكم في نقط المصاحف. تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد في الإقليم السوري، دمشق، ١٩٦٠، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) الأستراباذي، شرح الشافية، ج ٣، ص ٣٢٧؛ السيوطي، همع الهوامع، ج ٦، ص ٣٢٥؛ شيخ زادة، محيي الدين محمد بن مصطفى (ت ٩٦١هـ / ١٥٤٤م): حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج ٨، ص ٥٣٧.

جِئْتَ بـ (هُمْ) تَوْكيداً^(١) غَيْرَ أَنَّ الْجُهَنِيَّ (ت ٤٢٢هـ / ١٠٥١م) ذَكَرَ أَنَّ عِيسَى
 بَنَ عُمَرَ النَّقَّيَّ (ت ١٤٩هـ / ٧٦٦م) كَانَ يَقِفُ عَلَى (كَالُوا) وَ (وَزَنُوا) بِالْأَلِفِ
 ثُمَّ يَبْتَدِئُ: "هُمْ يُخْسِرُونَ"، وَنَسَبَ عِيسَى بَنُ عُمَرَ هَذَا الرَّأْيَ إِلَى حَمْزَةِ بَنِ حَبِيبٍ
 الزِّيَّاتِ (ت ١٥٦هـ / ٧٧٣م) وَهُوَ أَحَدُ الْقُرَاءِ السَّبْعَةِ^(٢).

وهنا يَتَضَيِّحُ دَوْرُ هَذِهِ الْأَلِفِ بِحَسَبِ فَهْمِ الْقَدَمَاءِ بِأَنَّهَا وَسِيلَةٌ لِفَصْلِ الْكَلِمَةِ عَمَّا
 بَعْدَهَا وَكَأَنَّهَا فِي لُغَةِ الْعَصْرِ الْفَرَاغُ الَّذِي نَتْرُكُهُ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ أَوْ هِيَ مَا يُقَابِلُ
 "أَيْقُونَةَ space" عَلَى لَوْحَةِ الْمَفَاتِيحِ فِي الْحَاسُوبِ الْيَوْمَ.

وَلَعَلَّ الرَّسْمَ الْقِرَآنِيَّ وَاضِحٌ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ "وَإِذَا كَالُوهُمْ" وَآيَةٍ أُخْرَى: "وَإِذَا
 مَا غَضِبُوا هُمْ يَعْفِرُونَ" (الشُّورَى ٣٧)، وَآيَةٍ ثَالِثَةٍ: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ
 قُوَّةً﴾ (غَافِر ٢١)، وَرَابِعَةٍ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ (الزَّخْرَف
 ٧٦).

فَالضَّمِيرُ (هُمْ) فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ الْأَخِيرَةِ ضَمِيرٌ مُفَصَّلٌ لَا مُتَّصِلٌ، بِدَلِيلِ
 الْأَلِفِ فِي رَسْمِ الْمُصْحَفِ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْفَهْمَ لِلْأَلِفِ الزَّائِدَةِ بَعْدَ الْوَائِ أَنْكَ تَجِدُ لِلْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ صُورَةً
 مَخْصُوصَةً فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ، تَذَلُّكَ عَلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ قَدْ انْتَهَتْ، لِتَفْصِيلِ حُرُوفِهَا عَمَّا
 بَعْدَهَا. فَالْبَاءُ مَثَلًا فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ وَأَوْسَطُهَا لَهَا صُورَةٌ (بـ)، أَمَّا فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ
 فَلَهَا صُورَةٌ مُمَيَّزَةٌ بِإِضَافَةِ عَقْفَةٍ إِلَى آخِرِهَا (بـ)، وَكَذَلِكَ حَالُ التَّاءِ وَالثَّاءِ .

(١) ابن الدهان، سعيد بن المبارك (ت ٥٦٩هـ / ١١٤٤م): "باب من الهجاء"، تحقيق: محمود جاسم

الدرويش، مجلة المورد، المجلد ١٥، الجزء ٣، ١٩٨٦، ص ٣٢١.

(٢) الجهني، كتاب البديع، ص ٢٩١-٢٩٢.؛ انظر الملحوظة رقم: ١١٧ للمحقق: غانم قدوري الحمد

ص ٢٩٢ التي أوضح من خلالها أن الاختيار في هذه الآية الوقف على (هم) "على اعتبار أن

(كالوهم) كلمة واحدة، والضمير في موضع نصب".

والجيم لها شكلٌ مُميّزٌ في آخرِ الكلمةِ والسّينُ والعينُ بحيثُ يُمكنُ القولُ: إنّ الحرفَ في العربيّةِ لهُ صورٌ كتابيّةٌ يصحُّ عليها ما سمّاه اللّغويّونَ المُعاصرونَ: ^(١) المُعاصرونَ: ^(١) "الحرفيمُ والألوحرف" أخذًا بنظريّةِ "الإيم" في علمِ اللّغةِ الحديثِ. فالميمُ هوَ الحرفيمُ ولكنَّ صورةَ الحرفِ في أوّلِ الكلمةِ أوَ وَسَطِها تُسمّى "ألوحرف" وصورةُ الميمِ الكتابيّةُ في آخرِ الكلمةِ هي "ألو حرف" آخرُ للميمِ بحيثُ تُكتبُ في آخرِ الكلمةِ متبوعةً بخطٍ يُشبهُ الألفَ ولكنهُ متّجهٌ إلى الأسفلِ "م".

وبنظرةٍ إحصائيّةٍ لأشكالِ الحروفِ العربيّةِ نجدُ أنّ هذه الحروفَ في مُعظمِها لها صورةٌ مُميّزةٌ حينَ تُكتبُ في آخرِ الكلمةِ، باستثناءِ الحروفِ التي لا يتّصلُ بها شيءٌ منَ الحروفِ بعدها (ر ز د ذ) وكانَ منَ المُفترَضِ أنَ يُعاملَ الإملائيّونَ العربُ الواوَ مُعاملةً هذه الحروفِ لأنَّ الواوَ مثلُها لا تتّصلُ بما بعدها، ولكنهم أدركوا أنّ في العربيّةِ واوَ عطفٍ يكثرُ استِخدامُها في الكلامِ، ويخشى الخلطُ بينها وبينَ الواوِ الختاميّةِ في الكلمةِ فَوَضَعُوا هذه الألفَ لِتُفصلَ بينَ الكلمةِ وما بعدها منَ كَلِماتٍ.

(١) الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص ٥٦.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة التي تناولت العلاقة بين الكتابة العربية وقوانين اللغة المنطوقة يمكن تسجيل ما هو آت:

أولاً: النظام الإملائي العربي لم يزل متعلقاً بأصله القديم (النبطي) مرتبطاً بأقدس نص حفظ العربية وحفظته العربية، وهو القرآن الكريم.

ثانياً: النظام الإملائي العربي مرتبط بالنظام اللغوي للغة المنطوقة بكل مستوياتها.

ثالثاً: قوانين الصرف أكثر القوانين سطوة وأعظمها تأثيراً في النظام الإملائي.

رابعاً: فهم العوامل المؤثرة في النظام الإملائي العربي يعين في تدريس الإملاء وجعل الدرس الإملائي أكثر إقناعاً.

خامساً: الحاجة إلى تسهيل الإملاء العربي تستدعي دراسة أصوله ومحدداته؛ إذ قد يكون التسهيل في التأصيل.

سادساً: علينا أن نراعي عند كتابة الكلمات العربية جانب النطق ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً؛ فنكتب فقط الحروف التي تنطق في الكلمة باستثناء الألف الفاصلة والواو في (عمرو) اللتين تتعاورهما ظواهر تاريخية موروثة، ولهجية قديمة بائدة، وبعض الكلمات الموروثة التي شاعت في الاستعمال قديماً على ألسنة الناس؛ فأصبحت ركاماً لغوياً جامداً؛ إذ تحوي حروفاً تنطق دون أن تكتب، مثل: ذلك، وهذا، وطه وغيرها، وهي كلمات محدودة معروفة، مشهورة لدى الشادين من المتعلمين بله العلماء المجيدين.

سابعاً: الدرسُ الإملائيُّ يحتاجُ إلى مزيدٍ من الدراساتِ الجادَّةِ، وفيه من النُّقاطِ ما يحتاجُ إلى تَحْلِيَةٍ و تَمَحِيصٍ.

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، عبد العليم: الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، ط١، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٥.

Ibrāhīm , ‘abdul‘alīm: AL–imlā’ wa AL–tarqīm fī AL–kitābah AL–‘arabiyyah,(in Arabic),1st ed,Maktabat Gharīb, Cairo,1975.

٢. الأزهرى، خالد بن عبد الله: شرح التصريح على التوضيح، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

AL–azhariyy,Khālīd Ibn ‘abdillāh: Sharḥ AL–taṣrīḥ ‘alā AL–tawḍīḥ,(in Arabic),Muḥammad Bāsil ‘uyūn al–sūd, Dār al–kutub al–‘ilmiyyah,Beirut,2000.

٣. الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

AL–astrabādhiyy,Raḍiyy al–dīn Muḥammad Ibn AL–ḥasan:Sharḥ Shāfiyat Ibn AL–ḥājib,(in Arabic), Muḥammad Nūr al–ḥasan & Muḥammad AL– zifzāf &Muḥammad Muḥyiddīn ‘abdulḥamīd, Dār al–kutub al–‘ilmiyyah,Beirut,1982.

٤. الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

AL-ashmūniyy, Abū al-ḥasan nūruddīn ʿaliyy Ibn Muḥammad:
Sharḥ al-Ushmūniyy ʿalā Alfiyyat Ibn mālik,(in Arabic), Imīl
badīʿ yaʿqūb, Dār al-kutub al-ʿilmiyyah,Beirut ,1998.

٥. بعلبكي، رمزي: **الكتابة العربية والسامية: دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.

Baʿalbakiyy,Ramzi, AL-kitabah AL-ʿarabiyyah wa AL-sāmiyyah:
Dirāsāt fī Tārīkh AL-kitābah wa Uṣūluhā ʿinda AL-
sāmiyyīn,(in Arabic), Dar AL-ʿilm Lilmalāyīn,Beirut,1981.

٦. البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨ - ١٩٨٩.

AL-baghdādiyy, ʿabdulqādir Ibn ʿumar: khizānat AL-adab wa
Lubb Lubāb Lisān AL-ʿarab, (in Arabic),ʿabd AL- salām
Muḥammad Hārūn , Dār al-kitāb al-ʿarabiyy, Cairo, 1968-
1989.

٧. الجندي، أحمد علم الدين: **اللهجات العربية في التراث**، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٣.

AL-jundiyy, Aḥmad ʿalam Al-dīn :AL-lahajāt AL-ʿarabiyyah fī
AL-turāth,(in Arabic), AL-dār Al- ʿarabiyyah LiL
kitāb, Tarāblus,1983.

٨. ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

Ibn Jinniyy, Abū al-faṭḥ ʿuthmān : AL-khaṣāʾiṣ , (in Arabic),
ʿabdulḥamīd Hindāwī, Dār al-kutub al-ʿilmiyyah, Beirut ,2001.

٩. الجهني، أبو عبد الله محمد بن يوسف: "كتاب البديع في معرفة ما رسم في
مصحف عثمان"، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مجلة المورد، مجلد ١٥، الجزء
٤، ١٩٨٦.

AL- Juhaniyy, Abū ʿabdillāh Muḥammad Ibn Yūsuf: kitāb AL-
badīʿ fī Maʿrifat mā Rusima fī Muṣḥaf ʿuthmān, (in Arabic)
Ghānim Qaddūrī AL-ḥamad ,Majallat AL- mawrid, vol
.15,part 4,1986.

١٠. حسان بن ثابت: الديوان، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية،
القاهرة، ١٩٢٩.

Ḥassan Ibn Thābit :AL- dīwān ,(in Arabic) ʿabd al- rahmān AL-
barqūqiyy, AL-maṭbaʿah AL- raḥmāniyyah, Cairo,1929.

١١. الحمد، غانم قدوري: رسم المصحف، ط١، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن
الخامس عشر الهجري، بغداد، ١٩٨٢.

AL-ḥamad , Ghānim Qaddūrī: Rasm AL- muṣḥaf, (in Arabic),1st
ed ,AL- Lajnah AL- waṭaniyyah li al-iḥtifāl bi maṭlaʿ AL-qarn
AL-khāmis ʿashar AL - hijriyy, Baghdad ,1982.

١٢. الحمد، غانم قدوري: علم الكتابة العربية، ط١، دار عمار للنشر والتوزيع،
عمان، ٢٠٠٤.

AL-ḥamad , Ghānim Qaddūrī: ʿilm AL- kitābah AL-ʿarabiyyah , (in Arabic) 1st ed, Dār ʿammār Linnashr wa AL-tawzīʿ, Ammān , 2004.

١٣. الخولي، محمد علي: مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠.

AL -Khūliyy, Muḥammad ʿaliyy: Madkhal ilā ʿilm AL- Luqḥah ,(in Arabic),Dār AL-falāḥ Linnashr wa AL-tawzīʿ , Amman ,2000.

١٤. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد: المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد في الإقليم السوري، دمشق، ١٩٦٠.

AL- Dāniyy, Abu ʿamr ʿuthmān Ibn Saʿīd : AL-muḥkam fī naqṭ AL- maṣāḥif, (in Arabic) ʿizzat Ḥasan ,wizārat AL-thaqāfah wa AL-irshād fī AL-iqlīm AL -Sūriyy, Damascus,1960.

١٥. الدمياطي، أحمد بن محمد البناء الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمى "منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات"، رواه وصحه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٩٨٦.

AL -Dumyāṭiyy, Aḥmad Ibn Muḥammad AL-bannāʿ: Iṭḥāfu Fuḍalāʾ AL-bashar fī AL-qirāʾāt AL-arbaʿata ʿashar ,(in Arabic) ʿaliyy Muḥammad AL-ḍabbāʿ,Dār AL-nadwah AL-jadīdah ,Beirut,1986.

١٦. ابن الدهان، سعيد بن المبارك: "باب من الهجاء"، تحقيق: محمود جاسم الدرويش، مجلة المورد، المجلد ١٥، الجزء ٤، بغداد، ١٩٨٦.

Ibn AL-dahhān ,Saʿīd Ibn AL-mubārak :Bab mina AL-hijāʿ, (in Arabic) Maḥmūd Jāsim AL- darwīsh , Majallat AL-mawrid, vol15,part4 ,Baghdād,1986.

١٧. الدهان، سامي: كيف تكتب الهمزة؟ دار الشرق العربي، بيروت، (د.ت).
AL -Dahhān ,Samī :Kayfa Tuktab AL -hamzah ? ,(in Arabic) Dār AL- sharq AL-ʿarabiyy, Beirut.

١٨. الراجحي، عبده: التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣.
AL -Rājihiyy, ʿabduh: AL-taṭbīq AL-ṣarfiyy,(in Arabic), Dār AL-nahḍah AL- ʿarabiyyah, Beirut, 1973.

١٩. سعيد، محمود شاكر: المرشد في الإملاء، ط٣، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٦.

Saʿīd , Maḥmūd shākir: AL- Murshid fī AL-ImLāʿ, (in Arabic) 3d ed ,Dār AL-shurūq Linnashr wa AL-tawwīʿ,Ammān ,1996.

٢٠. سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٧.

Sībawayh,Abū bishr ʿamr Ibn ʿuthmān : AL-kitāb ,(in Arabic) ʿabd AL-salām Muḥammad Hārūn ,AL-hayʿah AL-miṣriyyah AL-ʿāmmah, Cairo,1977.

٢١. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٧.

AL-Suyūṭiyy,JaLāL AL-dīn ʿabd AL-raḥmān Ibn Abī Bakr:AL-Itqān fī ʿulūm AL-qurʿān , (in Arabic), Muṣṭafā Dīb AL- baghā, Dār Ibn kathīr, Damascus,1987.

٢٢.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: المزهر، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٣.

AL-Suyūṭiyy,JaLāL AL-dīn ʿabd AL-raḥmān Ibn Abī Bakr:AL-Muzhir, (in Arabic), Muḥammad Aḥmad Jāda AL-mawlā & Muḥammad Abū AL-fadl Ibrāhīm & ʿaliyy Muḥammad AL-bijjāwī,Dār Iḥyāʾ AL-kutub AL-ʿarabiyyah Cairo 1943.

٢٣.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢.

AL-Suyūṭiyy,JaLāL AL-dīn ʿabd AL-raḥmān Ibn Abī Bakr:Hamʿ AL-hawāmiʿ fī Sharhi Jamʿi AL-Jawāmiʿ,(in Arabic),ʿabd AL-ʿāl SāLim Mukarram, Muʿassasat AL-risālah, Beirut,1992.

٢٤.شيخ زاده، محيي الدين محمد بن مصطفى: حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

Shaykh Zādah , Muḥyiddīn Muḥammad Ibn Muṣṭafā: Ḥāshiyat Muḥyiddīn shaykh Zādah ʿaLā Tafsīr AL-Bayḍāwiyy ,(in Arabic) , Dār AL-kutub AL-ʿilmiyyah ,Beirut ,1999.

٢٥. الصبان، أبو العرفان محمد بن علي: حاشية الصبان على شرح الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: محمود بن الجميل، ط١، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٢.

AL ṣabbān ,Abu AL-ʿirfān Muḥammad Ibn ʿaliyy : Ḥāshiyat AL-ṣabbān ʿala Sharḥ AL-Ushmūniyy wa maʿahū Sharḥ ALshawāhid LiLʿayniyy (in Arabic), Maḥmūd Ibn AL-Jamīl ,1st ed , Maktabah AL-Ṣafā ,Cairo ,2002 .

٢٦. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى: أدب الكاتب، تحقيق: محمد بهجت الأثري ومحمد شكري الألوسي، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١ هـ

AL- ṢūLiyy ,Abū Bakr Muḥammad Ibn Yaḥyā: Adab AL-Kātib, (in Arabic),Muḥammad Bahjat AL-alūsiyy ,AL-maktabah AL-ʿarabiyyah, Baghdād 1341 hiviyyah.

٢٧. الطباع، عمر فاروق: المحيط في قواعد الإملاء، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣. AL-Tabbāʿ, ʿumar Fārūq : AL-muhīṭ fī Qawāʿid AL-imLāʿ,1st ed ,Dār AL-qalam , Damascus ,1993.

٢٨. العرجي، عبد الله بن عمر: ديوان العرجي، تحقيق: خضر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٥٦.

AL-ʿarjiyy, ʿabdullāh Ibn ʿumar: Dīwān AL-ʿarjiyy ,(in Arabic) Khadr AL-tāʿī & Rashīd AL-ʿubaydī AL-sharikah AL-isLamiyyah Liṭṭibāʿah wa AL-nashr ,Baghdād ,1956.

٢٩. ابن عقيل، بهاء الدين بن عبد الرحمن: **المساعد على تسهيل الفوائد**، تحقيق: محمد كامل بركات، ط٢، مركز إحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠١.

Ibn 'aqīl, Bahā' Al-ddīn Ibn 'abd Al-raḥmān : AL- musā'id 'aLā Tashīl AL- fawā'id, (in Arabic) ,Muḥammad Kāmil Barakāt ,2d ed ,Markaz Iḥyā' AL-turāth AL-Islāmiyy, Umm AL-Qurā univ, Makkah 2001.

٣٠. فريحة، أنيس: **نظريات في اللغة**، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣.
Frīḥah, Anīs: Naẓariyyāt fī AL-Lughah , (in Arabic), 1st ed, Dār AL-kitāb AL-Lubnāniyy ,Beirut,1973.

٣١. فريحة، أنيس: **نحو عربية ميسرة**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥.
Frīḥah, Anīs: Naḥwa 'arabiyyah Muyassarah, (in Arabic) , Dār AL- thaqāfah , Beirut,1955.

٣٢. ابن القاصح، أبو البقاء علي بن عثمان: **شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد في علم الرسم**، تحقيق: عامر السيد عثمان، ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٦.

Ibn AL-Qāṣiḥ ,Abū AL- baqā' 'aLiyy Ibn 'uthmān :sharh TaLkhīṣ AL- fawā'id wa Taqrīb AL- mutabā'id 'aLā 'aqīLat Atrāb AL-qaṣā'id fī 'ilm AL-rasm , (in Arabic) , 'āmīr AL-sayyid 'uthmān ,1st ed , Dār AL-ṣaḥābah Litturāth, Ṭanṭā,2006.

٣٣. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣.

Ibn Qutaybah , Abū Muḥammad ʿabduLLāh Ibn Muslim : Adab AL-Kātib, (in Arabic) ,Muḥammad Muḥyī AL-ddīn ʿabd - ALḥamīd, Maṭbaʿat AL-Saʿādah , Cairo ,1963.

٣٤. القلقشندي، أحمد بن علي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تحقيق: محمد حسن شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

AL-Qalqashandiyy, Aḥmad Ibn ʿaLiyy : subḥ ALaʿshā fī Ṣināʿat AL-insha, (in Arabic)Muḥammad Ḥasan Shams AL-ddīn , 1st ed , Dār AL-Kutub AL-ʿilmiyyah , Beirut ,1987.

٣٥. المنجد، صلاح الدين: **دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي**، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨١.

AL-Munajjid , Salāh AL-Dīn : Dirāsāt fī Tārīkh AL-Khaṭṭ AL-ʿarabiyy Mundhu Bidāyatihī ILā Nihāyat AL-ʿaṣr AL-umawiyy , (in Arabic) , 1st ed, Dār AL-Kitāb AL-Jadīd , Beirut,1981.

٣٦. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.

Ibn Manẓūr ,Jamāl AL- Dīn Muḥammad Ibn Mukarram :Lisān AL-ʿarab , (in Arabic) Dār Ṣādir , Beirut ,1955.

٣٧. نامي، خليل: "أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، القاهرة، مجلد ١، ١٩٣٥، ١-١١٢.

Nāmī , khaLīL :AṣL AL-Khaṭṭ AL-ʿarabiyy wa Tārīkh Taṭawwurih ILā Mā QabL AL-IsLām ,(in Arabic), Majallat kulliyyat AL-ʿādāb , Cairo, vol1 , 1935 ,1-112.

٣٨. ابن النحاس، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بابن النحاس: **التعليقة على المقرب لابن عصفور في علم النحو**، تحقيق جميل عويضة، وزارة الثقافة، عمان ٢٠٠٤.

Ibn AL- Naḥḥās, Abū ‘abdiLLāh Muḥammad Ibn Ibrāhīm AL- ma‘rūf bi Ibn AL- Naḥḥās : AL- Ta‘Līqah ‘alā AL- Muqarrab Li Ibn ‘uṣṣūr fī ‘ilm AL- Naḥw , (in Arabic), JamīL ‘wīḍah , wizārat AL- Thaqāfah , Ammān , 2004.

٣٩. هارون، عبد السلام: **قواعد الإملاء العربي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥.

Hārūn , ‘abd AL- Salām : Qawā‘id AL- ImLā’ AL- ‘arabiyy , (in Arabic), Maktabat al- AnjLū AL- Miṣriyyah , Cairo, 1985.

٤٠. الهوريني، نصر أبو الوفاء: **المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية**، ط١، بولاق، ١٢٧٥ هـ؛ وطبعة أخرى: تحقيق: عبد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١.

AL- Hūrīniyy, Naṣr Abū -AL- Wafā’ : AL- MaṭāLi‘ AL- Naṣriyyah LiL maṭābi‘ AL- Miṣriyyah fī AL- UṣūL AL- Khaṭṭiyyah (in Arabic), 1st ed , Būlāq , 1985, Hijriyyah .

٤١. Wolfensohn، إسرائيل: **تاريخ اللغات السامية**، ط١، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٩.

Wolfensohn , Israel : Tārīkh A- Lughāt AL- Samiyyah (in Arabic), 1st ed , Maṭba‘at AL- I‘timād , Cairo, 1929.

٤٢. يعقوب، إميل بديع: معجم الإعراب والإملاء، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦.

Ya'qūb , ImīL Badī' : Mu'jam AL-İ'rāb wa AL-İmLā', (in Arabic)
Dār AL-İlm Lil maLāyīn , Beirut, 1986 .

٤٣. ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي: شرح المفصل للزمخشري،
تحقيق: إميل يعقوب بديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

Ibn Ya'īsh , Muwaffaq AL-Dīn Abū AL-Baqā' Ya'īsh Ibn 'aLiyy:
Sharḥ AL- Mufaṣṣal LiL Zamakhshariyy, (in Arabic), ImīL Badī'
Ya'qūb , Dār AL-kutub AL-İLīmiyyah , Beirut , 2001.

المراجع الأجنبية:

- Abbott, N. 1939. The Rise of the North Arabic Script And its Qur'ānic Development, The University of Chicago Press, Chicago.
- Elad, A. 1999. "The Southern Golan in Early Muslim Period". Der Islam, 76, pp. 33-88
- Kessler, C. 1970 " 'Abd Al- Malik's Inscription in the Dome of the Rock: A Reconsideration, Journal Of The Royal Asiatic Society. No. 1, p. 2-14

ثانياً: التعليقات والمناقشات

المكتبة العربية في نيجيريا: تطورها وأنواعها ووظائفها*

** أمين بشير

المقدمة

المكتبة هي مؤسسة ثقافية اجتماعية توجد في مجتمع من المجتمعات وتهدف إلى خدمته وزيادة ثقافته وترقية حصيلته العلمية. وتلعب المكتبات دوراً مهماً في نشر الثقافة والمعرفة لدى الإنسان. فهي بمثابة مكنز ضخم من المعارف والمعلومات، يسبر أغواره الباحثون والدارسون ويعبّون منه ما يشبع نهمهم ويثير فضولهم الثقافي ويحقق ضالّتهم العلمية. إنها محطات على درب المعرفة، ومراكز إشعاع ومنازل علم ودور حكمة تقود الإنسان إلى استكشاف الحقائق التاريخية والعلمية والمعالم الحضارية والثقافية للأمم الغابرة والمعاصرة. ورقى الأمة لا يقاس إلا بما بلغته من علم وازدهار، وما حقّقه من إنجاز وابتكار في شتى ميادين العلم والمعرفة. وتمشياً مع روح العصر وتتبعاً لمسارات التطور الحضاري انتشرت دور الكتب على اختلاف أنواعها وأنماطها، وأقبل الباحثون والدارسون عليها يتزودون بزادها ويستوعبون معارفها بشغف وتطلع واستمتاع.

تسعى هذه المقالة إلى توضيح ما تحظى المكتبات العربية به في نيجيريا من اهتمام كبير ودعم مادي ومعنوي مضطرد من الوسائل التي تم الاستعانة بها في نشر الثقافة العربية الإسلامية والوعي بين المسلمين في ديار نيجيريا مع إمعان النظر في تطور المكتبة العربية في نيجيريا مبيناً أنواعها ووظائفها في المجتمع النيجيري عامة والمجتمع الإسلامي منها على وجه خاص. كما فصل القول عن دور أفراد من المسلمين في وضع المكتبة لنشر الثقافة العربية الإسلامية، كما يركز على العوامل التي ساعدت المكتبة العربية في النشر في أنحاء المجتمع الإسلامي في نيجيريا.

* هذا البحث ليس من البحوث المحكمة

** جامعة ولاية كوفي - أنيغبا - نيجيريا

مؤجر المكتبة في نيجيريا

تعد حضارة الشرق القديم من أعرق الحضارات التي عرفها التاريخ. فهي حضارة عرفت برقيها وعظمتها من خلال الإنجازات العديدة التي حققتها في مجالات عديدة شملت العلوم الطبية والرياضية والكيميائية والفلكية وغيرها من المجالات المختلفة. وكان لحفظ المخطوطات والمؤلفات في ذلك الوقت أهمية كبيرة، سواء تلك التي دونت في العصور السابقة، أو التي خطت في منطقة الشرق أو التي جاءت من مناطق أخرى. ولأهميتها التاريخية فقد حفظت تلك المخطوطات في مكتبات أقيمت في أماكن عديدة من العالم^(١).

أما في نيجيريا فيرجع تاريخ ظهورها إلى عام ١٩٠٠م، وذلك في لاغوس وإن كان وضعها يعكس مختلف النظام مكتبة الدول الغربية، ولم تظهر مكتبات أخر إلا في أواخر الخمسينيات بمساعدة جمعية المكتبات غرب إفريقيا. وفي عام ١٩٥٢م، بدأت الحكومة الإقليمية الشمالية تهتم بالخدمات المكتبية، وكان الهدف من ذلك مساعدة السلطات المحلية في المنطقة على تطوير قاعات القراءة التي أنشئت خلال الحرب العالمية الثانية في المكتبات العامة. وقامت الحكومة بتخطيط شراء الكتب وإرسالها منهم إلى غرف القراءة. وفقاً لهذا الترتيب، فإن الموظفين المؤهلين يأتون من مقرها في كادونا للإشراف على العمل الذي يجري القيام به في المكتبات المحلية. وكانت هذه الخطة بعيدة عن أن تكون كافية،

(١) عادل أحمد صادق: منارة علم ومعرفة في مجلة القافلة، العدد الثالث - المجلد التاسع والعشرون، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ربيع الأول ١٤١١هـ - سبتمبر ١٩٩٠م، ص ٢٤.

وبالتالي عينت المنطقة الشمالية الحكومية السيد (F.A Sharri) لينظر إلى احتياجات المكتبة في المنطقة⁽¹⁾.

فقد شكلت هذه المكتبات لاحقاً نواة لخدمات المكتبات في مختلف المحافظات في شمال نيجيريا. ولم يلبث أن وجدت مناطق أخرى في الدولة سبيلاً إلى إنشاء المكتبات العامة من مثل إيدو (Edo)، دلتا، كانو (Kano)، كادونا (Kaduna)، كوارا (kwara)، إيمو، (Imo) أنامبرا (Anambra) ولاغوس (Lagos) من البلدان شرقاً وجنوباً وشمالاً، فيتميز عصرنا هذا بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بسبب ظهور الاكتشافات العلمية، وظهور وسائل التكنولوجيا الحديثة... وبطبيعة الحال أصبحت هناك حاجة ضرورية إلى تنقيف الأفراد والمجتمعات، وأصبحت هناك ضرورة إلى وضع وسيلة للتنقيف والتعليم، ولم تكن هناك وسيلة أنسب من المكتبات للقيام بعمليات التنقيف والتعليم.

وقد ساعدت المكتبات الأفراد والجماعات على التنقيف والتعليم المستمر، وعلى تنمية قدراتهم العقلية ورعاية مواهبهم وميولهم ورغباتهم، وأصبحت المكتبات جسراً يربط بين الثقافات والعلوم المختلفة، كما أصبح علم المكتبات في نيجيريا أحد التخصصات الجامعية في جميع مراحلها الدراسية، حيث تطلب هذا الوضع وهذه المكانة الاجتماعية للمكتبات توفير خدمات مكتبية تقوم على أسس علمية يقوم بها أفراد مؤهلون في مجال المكتبات من أجل تطوير المهنة المكتبية.

(1) Usman A. Salisu: **The Development and Roles of Public Library in Nigeria**, retrieved on 12, August 2015 from: <http://unilorin.edu.ng/journals/education/ije/june1999>

وقد ساعد على انتشار المكتبات بأنواعها المختلفة بعض العوامل يمكن تلخيص أهمها بما يأتي:

١- انتشار التعليم وزيادة المؤسسات التعليمية كالمدارس والمعاهد والكليات والجامعات.

٢- ظهور نظريات جديدة في التربية والتعليم.

٣- اختراع الطباعة وتطوير قدراتها على توفير كافة مصادر المعلومات في المكتبات.

٤- ظهور الاتجاهات الحديثة التي تهتم بالإنسان من الناحية الصحية والثقافية والنفسية، وحاجة النيجيريين إلى القراءة من أجل الترويح.

٥- التطور التكنولوجي السريع في كافة المجالات العلمية^(١).

أنواع المكتبات العربية الإسلامية في نيجيريا

تتنوع المكتبات ويختلف بعضها عن بعض وفقاً لما تشمل عليه من كتب وغيرها من المواد المكتبية، ومن طبيعة الرواد الذين يترددون عليها، وبحسب الخدمات التي تؤديها، ومن الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. ويمكن تقسيم المكتبات العربية في نيجيريا إلى ثلاثة أقسام:

(١) المكتبات التي تقوم ببيع الكتب، (٢) والمكتبات الخاصة، (٣) والمكتبات

العامة وهم من يقومون بإعارتها أو بالسماح لقراءتها داخل قاعات المطالعة.

أما مكتبات بيع الكتب فهي التي تستورد الكتب غالباً من الجمهورية العربية المتحدة ثم تقوم ببيعها للشعب، فهذا مع الأسف قليل في البلاد في العصور السابقة، وأكبرها مكتبة السيد أحمد أبي السعود المصري. وكان قد فتحها في

(١) المرجع نفسه

مدينة كنو منذ ١٩٢٨م ولكنه رجع إلى القاهرة إبان الحرب العالمية الثانية، وتركها في يد شريكه السيد عثمان الطيب السوداني. ولا تزال أكبر مكتبات بيع الكتب العربية في نيجيريا، لأن منشئها وإن كان قد رجع إلى القاهرة إلا أنه هو الذي يمدّها بالكتب من القاهرة^(١).

ولكن معظم الكتب التي تبيعها هذه المكتبة ديني نظراً لأنها أكثر رواجاً هناك، ومن أجل ذلك تضطر الكليات والجامعات في كثير من الأحيان إلى أن تطلب الكتب الأدبية من القاهرة مباشرة. وقد تمتعت هذه المكتبة باحتكار بيع الكتب فترة طويلة إلى أن ظهر لها منافسان من الوطنيين قريباً هما الحاج عبا إبراهيم والحاج محمود سلغا اللذان فتح كل واحد منهما مكتبة. هذه هي أسبق المكتبات التي اشتهرت ببيع الكتب العربية في نيجيريا، وهناك أشخاص آخرون يقومون ببيع الكتب العربية القديمة والمخطوطات في الأسواق، وأشهر هؤلاء في كنو هو المعلم سعد^(٢). ثم قام أشخاص كثيرون ببيع الكتب العربية في الأسواق شمالاً وجنوباً حتى أصبح مهنة اقتصادية لكثير من الشباب المسلمين في نيجيريا، ومعظمهم بدرجة علمية عالية، يبيعون الكتب ويقرؤونها معاً.

وفي عصرنا الحاضر قلما تجد سوقاً في شمال نيجيريا وفي بلاد يوربا كالورن (Ilorin) وإيدان (Ibadan) ولاغوس (Lagos) وإوؤ (Iwo) وأوفاً (Offa) وزكي (Saki) وأبيوكتا (Abeokuta) وإسين (Iseyin) وغيرها من البلدان إلا وتجد فيها مركزاً كبيراً لبيع الكتب العربية في مختلف الفنون. ولهذه المكتبات التجارية فضل كبير في نشر العلوم والمعارف في هذه الديار

(١) الدكتور علي أبو بكر: الثقافة الأدبية في نيجيريا، ط٢، كانو، دار الأمة لوكالة المطبوعات،

٢٠١٤م، ص ٢٣٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٣٣.

لأنها سهلت تناول الكتب في أيدي الأغنياء والفقراء على السواء وبثمن رخيص بدون أي عناء، بخلاف ما شاهدناه في الزمن الماضي فقد كان العلماء والطلاب يبحثون عن الذين يسافرون إلى البلاد العربية كمصر والعراق وليبيا والمملكة العربية السعودية ليشتروا لهم كتباً وخاصة الكتب الأدبية؛ ما أدى إلى تأخر ظهور بعض الفنون الأدبية النثرية إلى هذه البلاد^(١).

مكتبة المسجد في نيجيريا

نبذة يسيرة عن مكتبة المسجد في الإسلام

يمكننا تعريف المسجد بالقول الذي أورده الجهوري في معرض حديثه عن فوائد بناء المساجد، أن كلمة "مسجد" مشتقة من الفعل (سَجَدَ) وهو أحد أهم الأفعال عند أداء الصلاة، كما اختيرت كلمة مسجد لتمييز أماكن العبادة عند المسلمين، لأن فعلي السجود والركوع يعبدان من أعظم الأفعال عند أداء الصلاة^(٢).

لقد وردت كلمة مسجد في القرآن الكريم لتعني المكان الذي يؤدي فيه المسلمون الصلاة، ويمارسون في رحابه عبادة الله عز وجل، كما في محكم التنزيل: "إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ"^(٣). وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: "ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه

(١) الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنتي: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط٢، شركة العيكان، الرياض، ١٩٩٣م، ص ١٣٠

(٢) الدكتور هاشم فرحات سيد والدكتور محمد جلال غندور: مكتبات المساجد: دراسة تاريخية، ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص ٢٧

(٣) سورة التوبة: ١٧-١٨

وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم^(١).

وقد اتخذ المسلمون منذ تأسيس أول مسجد في الإسلام، كل الاحتياطات اللازمة للحفاظ على قدسية المساجد، واحترامها كدور للعبادة. ويخز التراث الفكري الإسلامي، بالكثير من قواعد إقامة المساجد وأصول بنائها، سواء ما يتعلق منها بالشروط المادية والشكلية، أو ما يمس بالعقائدية والروحية^(٢).

ولعل السبب في كون المسجد من أهم أماكن التعليم الأولى هو أن الدراسات الإسلامية في صدر الإسلام كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد، وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه، وتلك تتصل بالمسجد أوثق اتصال، كما أن المسلمين في عهودهم الأولى توسعوا في فهم مهمة المسجد، فاتخذوه مكاناً للعبادة ومعهداً للتعليم، وداراً للقضاء، وساحة تجتمع فيها الجيوش، ومكاناً لاستقبال السفراء ورسل الملوك ورؤساء القبائل، هكذا كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، والمساجد الأخرى في المدن والقرى والأقطار التي انتشر فيها الإسلام.

وسار الصحابة والتابعون على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم في جعل المساجد مراكز للدراسات الفقهية، وأصول الدين، ولم تقتصر مهمة المسجد على الوعظ والإرشاد ودراسة العلوم الدينية فقط، بل درست فيه العلوم التي اكتسبها

(١) البقرة: ١١٤

(٢) الدكتور هاشم فرحات سيد ومحمد جلال غندور: مكتبات المساجد: دراسة تاريخية، ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص ٣٤.

المسلمون نتيجة لفتوحاتهم الإسلامية، واتصالهم بالأمم الأخرى، فدرس الطب والطبيعة والتاريخ والفلسفة والفلك وتقويم البلدان^(١).

وفي مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ألف الإمام مالك بن أنس كتابه الموطأ، وفي جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ألف الإمام الشافعي كتابه الأم. وفي مسجد البصرة كتب الخليل بن أحمد الفراهيدي كتابه العين. وفي مسجد الكوفة جلس الإمام علي كرم الله وجهه يعلم الناس أصول الدين، وجلس أيضاً عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وقد اشتهر علماء الكوفة والبصرة -في التاريخ الإسلامي- بالأساليب العربية البليغة وصياغة قواعدها حتى صارت لهم فيها مذاهب لغوية عظيمة ذاع صيتها وعم البلاد الإسلامية...^(٢).

مكتبة المسجد في نيجيريا

عندما دخل الإسلام في نيجيريا خاصة في كانم برنو وإمارات هوسا وبلاد يوربا اتجه المسلمون في هذه الديار إلى التعليم الديني وجدوا في طلبه، لأن الإسلام يلزم كل مسلم ومسلمة معرفة شيء من قواعده قدر ما تستقيم به العبادة؛ مثل حفظ آيات من القرآن الكريم وتعلم قواعد الصوم والصلاة والحج والزكاة وشيء من قواعد التوحيد^(٣).

كل هذا مهد سبيلاً للمسلمين في تعلم القراءة والكتابة، فأقبلوا يأخذون ما يحل مشكل حياتهم ويكشف لهم عظمة دينهم الحنيف. كما أن وضع الدولة الإسلامية

(١) فضل كلود الدكّو: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، الطبعة الأولى،

أفرنجي، ١٩٩٨م، ص ١٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

الجديدة الناشئة جعلها تشجع العلم وتطلب العلماء، فاتخذ سلاطينها وأمرؤها من العلماء مربين لأبنائهم، كما أسندوا إليهم مناصب القضاء والإمامة والتدريس في مساجد السلاطين والكتابة في الدواوين، فصار كل من يتطلع إلى تولي منصب عال في الدولة وإدارتها يطلب العلم، فقد أدركوا أن تولي تلك المناصب لا يكون إلا به، ومن هنا أصبح التعليم ضرورة حتمية في المجتمع الإسلامي الكانمي. ثم شهدت بلاد كانم نظاماً تعليمياً على غرار التعليم الذي كان سائداً في بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين، وهكذا دعت الضرورة إلى إنشاء دور التعليم في إمبراطورية كانم، وقد تعددت تلك الدور وتنوعت؛ ومنها المساجد، ومنازل العلماء، وقصور الحكام^(١).

فقام المسلمون بإنشاء العديد من المساجد في أرجاء البلد وخاصة في شمال نيجيريا، حيث بدأ المسلمون بتعلم القراءة والكتابة، وتدين القرآن الكريم داخل تلك المساجد، ووجدت في زوايا من المساجد رفوف متواضعة وضعت عليها نسخ من المصحف الشريف، وطائفة من كتب الحديث والفقه وأشعار في الحكم والوعظ والإرشاد والزهد والعلم احتساباً لله تعالى، وابتغاء الأجر والثواب، وحبس بعض الحكام والعلماء والقادة بعض ما عندهم من مخطوطات على هذه المساجد. ومن الجدير بالذكر أن الارتباط الوثيق بين الإسلام والحث على اكتساب العلم، كان عاملاً مهماً وراء دفع الحكام المسلمين إلى إيداع مجموعات المصاحف والكتب الدينية في المساجد وخاصة المساجد الجامعية. وفي كثير من الأحيان تقوم الحكومة في المناطق الشمالية بتمويل المساجد الجامعية لتزيينها وشراء الكتب الدينية.

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٠.

ولا يقتصر هذا النظام في شمال نيجيريا فحسب، بل قد نشأ في بلاد يوربا بدخول الإسلام فيها في القرن الثالث عشر الميلادي في عهد المنسا موسى سلطان مالي. وتقوم المساجد فيها بتكوين رجال الدين ممن يتولون مهمة الإرشاد والوعظ والخطابة في يوم الجمعة وتدرّس المواد الدينية وتحفيظ القرآن وتفسيره، وتوجد هذه المساجد في كل بقاع الأرض التي دخل الإسلام فيها، وتدرس الأجيال من أبناء البلاد القرآن وتفسيره، والحديث، والفقه، والمتون وغيرها. والكتب المعتمد عليها في تدريس هذه المواد الدينية توضع في المساجد^(١).

والجدير بالذكر أن الغرض الأساسي في وضع الكتب في المساجد شمالاً وجنوباً هو إتاحة رؤية الكتب لعامة المصلين والمتعلمين، واستخدامها، كما كان وسيلة حماية من الحرائق التي كثيراً ما كانت تلتهم محتويات ما يحيط بالصحن...

المكتبات العربية الخاصة في نيجيريا

تعد المكتبة الخاصة مجموعة من مصادر المعلومات التي يكتنيها الأفراد في منازلهم لاستخدامهم الخاص، أي ما يكتنيه الأفراد في منازلهم من أوعية معلومات تقليدية أو غير تقليدية بمختلف أشكالها في مكان خاص بها لاستعمالهم الشخصي^(٢). وقد كان لهذا النوع من المكتبات في نيجيريا دور بارز في تغذية مراكز المعلومات بكنوز المعرفة، ونشر الكتب وتوزيعها على نطاق واسع

(١) عبدالسلام أمين وعبدالبارئ أديتجي: المساجد ودوره في تعليم اللغة العربية والدراسات ببلاد يوربا، مجلة الدولة للبحوث الإسلامية والإنسانية المتقدمة، المجلد ٤، العدد ٨، ٢٠١٤م: ص ٦-٧.

(٢) علي بن زين الجنيبي: تكوين المكتبة الخاصة، ط١، الرياض، المكتبات الخاصة- السعودية، ٢٠٠٦م، ص ١٩.

الحركة، ما شكل رافداً قوياً لتنمية المكتبة العربية النيجيرية. وقد بذل علماؤنا الأقدمون جهداً كبيراً بإنشاء المكتبات الخاصة في منازلهم لما رأوا فيها من فوائد، فهي تعد حافزاً قوياً لجميع أفراد الأسرة ومن بمحيطهم من الأهل والجيران والأصدقاء والطلاب على القراءة، ومؤثراً ثقافياً وحضارياً، وهي تساعد الطلاب على أداء واجباتهم المدرسية التي قد تتطلب الرجوع للكتب والبحث عن المعلومات. ومن المكتبات الخاصة في نيجيريا فيما نعلم: مكتبة الحاج عبّا إبراهيم، ومكتبة رِنْغَمْ؛ وكلتاها بمدينة كَنُو، ومكتبة الوزير جنيد الخاصة بالمخطوطات العربية، ومكتبة الشيخ عبدالله بن فودي، ومكتبة القاضي يحيى، وكلها في مدينة سوكونتو (Sokoto). وأخبرني الدكتور مشهود محمود جمبا^(١) بأن هناك زهاء ست مكتبات خاصة في مدينة إلورن بجنوب نيجيريا^(٢). ولعل من هذه المكتبات مكتبة الشيخ عبدالقدوس ألفا كورو (Alfa Koro)، وتتضمن المكتبة الكتب الفقهية غالباً، ويمكن زيارتها في أي وقت، ومكتبة الشيخ ألبى التي تزخر بالكتب الفقهية المتخصصة بالمذاهب المالكية، ويمكن زيارتها أيضاً^(٣). وقد حاول الباحث زيارة هذه المكتبات ولكن الظروف الاقتصادية لم تسمح له بذلك...

(١) الأستاذ الدكتور ومحاضر بقسم اللغة العربية جامعة ولاية كورار - ماليتي - إلورن، وهو المحرر لمركز المخطوطات العربية الإلورية.

(٢) الاتصال الهاتفية مع الدكتور أعلاه، يوم الخميس في شهر أغسطس ٦-٨-٢٠١٥م.

(٣) ورقة صغيرة التي تلقيت من السيد كامل صلاح الدين حول المكتبة الخاصة في مدينة إلورن، ٢-٨-

المكتبة العربية العامة في نيجيريا

تعتبر المكتبات العامة مؤسسات ثقافية تعليمية فكرية وتثقيفية تنشئها الدولة وتمولها من ميزانيتها العامة، تعمل على حفظ التراث الثقافي الإنساني والفكري؛ ليكون في خدمة القراء والمواطنين من كافة الطبقات الاجتماعية والمهنية على اختلاف مؤهلاتهم العلمية وأعمارهم ومهنهم وثقافتهم^(١). وهي من أهم المؤسسات الثقافية والاجتماعية في العالم الإسلامي التي يفخر بها الإسلام. ولكن المكتبات العربية العامة في هذه الديار غير متوفرة كما الأمر في المكتبات العامة في نيجيريا التي تتضمن المسائل القومية والتاريخية والاجتماعية والسياسية. ويرجع السبب في ذلك إلى ظلم المستعمرين في تدمير اللغة العربية وأهلها في نيجيريا. وأكبر مكتبة عربية عامة -فيما نعلم- هي مكتبة مركز الثقافة للجمهورية العربية المتحدة بكنو، ومكتبة كلية عبدالله بايرو- كنو، ومكتبة العلوم العربية، ومكتبة شاهوش، ومكتبة البلدية في كنو^(٢). وأما في سوكونو فهناك مكتبة عامة كمكتبة دور المعلمين للغة العربية، ومكتبة البلدية، ومكتبة المدرسة النظامية للمخطوطات العربية. وأكبر مكتبة للمخطوطات في نيجيريا هي مكتبة الآثار بكدونا، ويليهما قسم اللغة العربية بجامعة إبادن، ثم مكتبة المتحف في جوس. وفي جميع مدن نيجيريا الشمالية توجد مكتبات عامة تابعة للإدارات الأهلية تحتوي على عدة كتب عربية وإنجليزية وهوساوية^(٣).

مكتبة المدرسة العربية الحديثة في نيجيريا

(١) طارق محمد عباس ومحمد عبد الحميد زكي: المكتبات العامة - تنظيمها - خدماتها - تقنياتها في

ضوء الانترنت، ط١، القاهرة- إيبس ٢٠٠٢م، ص ٢٤.

(٢) الدكتور علي أبو بكر، المرجع السابق، ٢٣٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٤.

المكتبة المدرسية - كما يدل عليها اسمها- توجد بالمدارس على مختلف مراحلها، وتقوم بتوفير المواد المطبوعة وغير المطبوعة لمساندة وإثراء المنهج الدراسي، والأنشطة التربوية. وتقدم خدماتها لأفراد المجتمع المدرسي من طلاب ومعلمين، وتلبي احتياجاتهم من المعلومات، كما تقوم بتدريب الطلاب على استخدام الكتب والمكتبات، وإكسابهم المهارات المكتبية، ومهارات التعلم الذاتي التي تقودهم إلى التعلم المستمر طوال الحياة. وتتميز المكتبة المدرسية عن بقية المكتبات الأخرى المتوافرة في المجتمع بكثرة عددها وسعة انتشارها، بالإضافة إلى أنها أول ما يقابل القارئ في حياته العلمية. والمهارات التي يكتسبها من المكتبة المدرسية تؤثر على مدى الانتفاع بالخدمات المتوافرة في المكتبات الأخرى مثل الجامعية والمتخصصة وغيرها. وعلى ذلك يمكن القول بأن المكتبة المدرسية يقع عليها عبء تكوين المجتمع القارئ الذي يقود الحياة الثقافية والأدبية والعلمية في المستقبل.

ونقصد بالمدرسة العربية الحديثة تلك الإصلاحات الجديدة التي ظهرت في أساليب التعليم العربي الإسلامي النيجيري في عصر الاستقلال النيجيري. فقد نشأت المدارس العربية في نيجيريا في أواخر عصر الاستقلال بثمره المجهودات التي بذلها طائفة من أبناء البلاد الذين نالوا قسطاً وافراً من الثقافة الإسلامية والمتمسكين بالتعليم العربي الإسلامي من أمثال الشيخ كمال الدين الأدبي الذي أسس مدرسة "الزمرة الأدبية الكمالية" بمدينة إلون عام ١٩٤٠م، والشيخ آدم عبدالله الإلوري، المؤسس لمركز التعليم العربي أغيني- لاغوس عام ١٩٥٤م، والشيخ مرتضى عبدالسلام الذي أسس المعهد العربي النيجيري في إبادان عام ١٩٥٧م، والشيخ مصطفى سنوسي الزغلول الذي أسس "دار الدعوة والإرشاد" بإصوولو- لاغوس، والشيخ يوسف عبدالله اللوكوجي الذي أسس "مركز التعليم

العربي الإسلامي" بلوكوجا- ولاية كوفي، والشيخ عبد إسماعيل أولا جيبني (ola jebe) الذي أسس "كلية ميداغ للدراسات العربية والإسلامية" بأبيغنلي ببيدي- (Ayegunle gbede) ولاية كوفي عام ١٩٨٠م، ومدرسة الحاج يوسف المباركة العربية بمدينة أوشوبو، و"دار الكتاب والسنة- إلورن، ودار العلوم بإلورن، و"المعهد الإسلامي" بمدينة إيدي، و"دار الإسلام للدراسات الإسلامية، بمدينة إيوو. وهناك المدارس العربية الإسلامية الأخرى في كل من إلورن وسكي، وإبادن، وأوؤفا، وإيوو، ولاغوس^(١).

أما في شمال نيجيريا، فأول مدرسة عربية حديثة فيما نعلم هي "مدرسة الشريعة الإسلامية، بكنو" التي أسسها أمراء شمال نيجيريا، و"كلية التدريس العربية عام ١٩٦٣م، مركز الشيخ أبي بكر غومي، مدرسة سلطان بلو" كلها في سوكونو، كما توجد مدارس عربية في ميدغوري كمدرسة الكانم، وفي غونبي، وكنو، وكشنة وغيرها من البلدان في شمال نيجيريا^(٢).

وتوجد في جميع هذه المدارس مكتبات تلحق بها وتهدف إلى خدمة المجتمع المدرسي المكون من الطلاب والمدرسين. ومن الكتب المستخدمة في هذه المدارس: كتب الأدب كأمثال المفصل في تاريخ الأدب العربي (٣ أجزاء)، وتاريخ الأدب العربي الحديث لأحمد الزيات، وكتب القواعد: النحو الواضح

(1) Badmas Nadawi Olawale Abdul Azeez: **The Beginning and Development of Arabic and Islamic Learning Among Yoruba Muslims in Nigeria** in

Anyigba Journal of Arabic and Islamic Studies, vol. 7, No 1, 2011, p.61

(2) Yakub T.Muhammad: **Arabic and Islamic collections in Nigerian university library: the state of the art**, American Academic & scholarly research Journal, vol.5, No2, p.16

للمرحلة الإعدادية (٣ أجزاء)، والنحو الواضح للمرحلة الثانوية (جزآن)، وكتب القراءة العربية المحبوبة الجزء الأول والثاني، والأيام الجزء الأول، والشاعر الطموح، والمنتخب الجزء الأول والثاني، وكتب التوحيد: شرح أم البراهين، وتحفة المريد مع تعليق الباجوري، وكتب الفقه: الثمر الداني على رسالة، وكفاية الطالب العدوي، وقواعد الإسلام للقرطبي، وقواعد الصلاة لمحمد بلو، وأركان الإسلام لمحمد بن ناصر، والورقات مع شرح الجلال، وجواهر الإكليل على مختصر الخليل، ودروس أولية، وكتب الحديث: الأربعون النووية مع شرح النووي، وتنوير الحوالك على الموطأ، والبلاغة الواضح للبلاغة، والتاريخ الإسلامي لمحمد طه، والتفسير: الجلالين، وميزان الذهب للعروض^(١). إلى جانب الكتب العربية والإسلامية للمؤلفين النيجيريين من أمثال الشيخ آدم عبدالله الألوري وغيره العلماء.

الوظائف العامة لهذه المكتبات

ندرك فيما تقدم أن المكتبة تلحق المدارس سواء الابتدائية أو المتوسطة، أو الثانوية، أو الجامعية. وتهدف إلى خدمة المجتمع المدرسي المكون من الطلاب والتلاميذ والمدرسين، وهي جزء من المنهج المدرسي الذي هو الأداة التي تتحقق بواسطتها أهداف المدرسة التربوية. ولا نبالغ إذا قلنا إن الأهداف الرئيسية للمكتبة هي أهداف المدرسة نفسها، ويمكننا تحديد الوظائف العامة للمكتبات على نحو التالي:

(١) تقديم المواد التعليمية المختلفة لخدمة ومساندة المناهج والمقررات الدراسية.

(١) الدكتور علي أبو بكر، المرجع السابق، ص ١٧٢-١٨٠.

(٢) تلبية احتياجات هيئة التدريس من مصادر المعلومات المختلفة لتنمية مهاراتهم المهنية والموضوعية.

(٣) إرشاد التلاميذ قرائياً والتعرف على مشكلاتهم وتذليلها وتقديم الخدمات المكتبية لكل طالب في المرحلة مع مراعاة الفروق الفردية بتوفير مجموعة متنوعة من المواد المطبوعة وغير المطبوعة التي تلبي احتياجاتهم وتحقيق رغباتهم وميولهم وتوسع دائرة اهتماماتهم؛ وبذلك تعمل على غرس الميول القرائية.

(٤) تدريب التلاميذ على كيفية استخدام المكتبة والمراجع العامة البسيطة التي تتناسب ومستواهم، وتعريفهم بنظم استخدام المكتبة وتشجيعهم على القراءة في مجالات متعددة تتفق مع ميولهم، وبذلك يُعمل على تنمية الميول القرائية.

(٥) مساعدة الطالب بغرس مجموعة من الرغبات والهوايات المفيدة.

(٦) تشجيع الطلاب على القراءة الحرة وتوجيههم إلى أساليب القراءة السليمة.

(٧) مساعدة الطلاب وتوجيههم في اختيار الكتب المطبوعة التي تعينهم في إعداد البحوث التي ترتبط بالمنهج المدرسي.

المكتبة في الجامعات النيجيرية

تعتبر الجامعة مؤسسة للتعليم العالي ذات تسهيلات تعليمية وبحثية تضم كليات متخصصة، تمنح درجة البكالوريوس وغيرها. وهي أحد العوامل التي ساعدت في نضج اللغة العربية وآدابها في هذه الديار بعد مغادرة المستعمرين وذلك لانضمام أقسام اللغة العربية في كثير من الجامعات النيجيرية؛ لما تحتله اللغة العربية من المكانة المرموقة وخاصة لدى المسلمين. ويرجع تاريخ إنشاء قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى عام ١٩٦١م وذلك في جامعة إبادن، وإن كان على نمط الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا بحيث تدور تلك الدراسات حول

تعليم اللغة العربية باللغة الإنجليزية. وقد تخرج عدد كثير من الطلبة في هذا القسم حاملين شهادة اللغة العربية والدراسات الإسلامية ما بين ١٩٦٤م-١٩٦٧م، كما أنشئت أقسام للغة العربية في بعض الجامعات الأخرى عام ١٩٧٥م، ومنها جامعة بايروا بكنو، وجامعة أحمد بلو بزاريا، وجامعة عثمان بن فودي بصكتو، وجامعة إلورن، وجامعة جوس، وجامعة ميدغوري، في عام ١٩٨٤م، وانضمت أقسام اللغة العربية لبعض الكليات التربوية في هذه الديار، ولما ظهرت هذه الجامعات الحديثة في نيجيريا اشتد احتياج أهل العلم إلى المكتبات العامة فألحقت بكل جامعة مكتبة كبيرة فاخرة تحتوي على مطبوعات ومخطوطات، ويوجد فيها رفوف خاصة بالكتب العربية والإسلامية منظمة تنظيمًا صحيحاً ومصنفة حسب الموضوعات التي تدرج فيها الكتب بتصنيف مكتبة الكونغرس (Library of Congress Classification LCC) وفي هذه الرفوف يكتب (PJ) للكتب العربية، و(BP) للكتب الإسلامية لتسهيل تحديد الموقع للمستخدمين. والكتب العربية في هذه المكتبات الجامعية في مختلف الفنون من أمثال: النحو، والصرف، والبلاغة، والأدب ونقده، والعروض والقافية، والمنطق، والصوتيات، والفونوجي والمعاجم اللغوية بأنواعها، واللسانيات، ومنهج البحث العلمي، والقصص، والمسرحية، والرواية والموسوعات، والمجلات العربية من مختلف المجتمعات الأكاديمية والعربية. أما بالنسبة للكتب في الفن الإسلامي فنجد القرآن الكريم والتفسير وعلوم القرآن والفقه وأصوله، والتاريخ الإسلامي، والمذاهب الفقهية، والأحاديث النبوية الشريفة، والقوانين الإسلامية، والفلسفة الإسلامية، والأدب الإسلامي، والتعليقات القرآنية والموسوعات الإسلامية والسيرة النبوية والتربية الإسلامية والأذكار من الكتب والسنة وإعجاز القرآن، والمجلات الإسلامية من مختلف المجتمعات الأكاديمية والإسلامية.

وأصبحت المكتبة الجامعية في نيجيريا مقصداً للطلاب والعلماء والباحثين في الجامعة يقضون فيها أوقاتهم وأغناها بما يحصلون عليه من علوم ومعارف تشبع نهمهم وتسد جوعهم المعرفي، كما ساعدتهم على الاتصال دوماً بمصادر الفكر والثقافة والإلمام بنواح مختلفة من المعارف فيما يحيط بهم من بيئات وما في تاريخهم من أحداث وما تركه لهم أسلافهم من تراث وما تجري عليه أمور العالم الذي يعيشون فيه، إلى غير ذلك من نواحي المعرفة التي تساعد على تقوية الحياة العقلية وخصبها.

دور المطابع العربية في توافر الكتب العربية في المكتبات النيجيرية

لا شك أن الطباعة حدث كبير في تاريخ العلم والثقافة، وكانت في أول عهدها تظهر في غاية الجودة والإتقان والتصحيح، وبفضلها تقدمت العلوم وانتشرت المعارف بانتشار الكتب حيث أصبحت الكتب النادرة سهلة التداول في أيدي الأغنياء والفقراء على السواء، وهي من أهم العوامل التي ساعدت في النهضة الأدبية في العصر والحديث^(١) أما في نيجيريا فلم تظهر الطباعة إلا في القرن العشرين؛ ما أثر على الإنتاج العربي الإسلامي تأثيراً سيئاً، فكم تركوا علماء نيجيريا من آثار لغوية وأدبية وعلمية في مؤلفاتهم ومنظوماتهم وأشعارهم المختلفة ولم يجدوا سبيلاً إلى نشرها لعدم وجود مطبعة عربية منذ زمن قديم، وكل ما خرج على أيديهم من الإنتاجات الضخمة كان ولا يزال مخطوطاً، علماً أن المخطوط العربي مقصور على عدد قليل من القراء بخلاف الكتب المطبوعة، والمطابع العربية الموجودة حينذاك لا تتعدى ما يعد على الأصابع، كما أنها لا

(١) الشيخ آدم عبدالله الإلوري: نظام التعليم العربي في العالم الإسلامي وتاريخه: ط٣، بيروت، دار العربية، ١٩٨١م، ص ١١٩.

تطبع كتباً كبيرة الحجم بل المقالات أو المنشورات والإيصالات المكتوبة بالعربية والإنجليزية، وهناك بكدونا المطبعة الحكومية، وقد كانت في الثلاثينيات تقوم بطبع جريدة بالعربية والإنجليزية والهوساوية، ولكنها توقفت عن الطبع في أثناء الحرب العالمية الثانية. ومنذ ذلك الوقت لم تعد إلى طباعة الجريدة. وهناك في نيجيريا الغربية أيضاً مطبعة في مدينة أجيبو أودي (Ijebu ode) تتولى طبع الكتب الصغيرة كالتي تطبع في نيجيريا الشمالية، وهناك آلات كتابية بالعربية أيضاً إلا أنها غير كثيرة إذ لا يملكها إلا الأفراد، اللهم إلا مطبعة الثقافية الإسلامية بأغيغي التي تقوم بطباعة الكتب المدرسية المحلية والمجلات والمذكرات. ولعل المطبعة العربية بأفضل السمات التي عرفت في نيجيريا في مطلع القرن العشرين الميلادي^(١).

وبعد ذلك تطورت المطابع خاصة في عصر الاستقلال النيجيري حيث كثرت فيه المطابع العربية في أماكن مختلفة شمالاً وجنوباً، تنشر فيها الكتب العربية والأدبية. أما في عصرنا الحالي فقد أصبحت المطابع العربية متوافرة في كل البلدان شمالاً وجنوباً، ومنها: دار النور بلاغوس، ومركز الله اللطيف لطباعة الكتب العربية والإسلامية- إبادن، ومركز الطيبون- إبادن، ومطبعة الفوز للطبائع التصميم بلاغوس، ومركز المضيف للكمبيوتر والإنتاجات الطباعية بالورن، والمعهد العبدلي للثقافات الإسلامية بالورن، ودار النور بأونتشي- ولاية بنين، ودار الأمة لوكالة المطبوعات بكنو، ودار الهجرة بكنو، ومطبعة الممتاز بميدغوري، وشيبأوتما (shebiotimo) للطباعة والنشر بإجيبو أودي (Ijebu ode)، ومركز الله اللطيف بإبادن، ومطبعة ألبي بالورن، ومطبعة توفيق الله

(١) الدكتور علي أبو بكر، المرجع السابق، ص ٢٧٢.

بالورن، ومطبعة (Kewudamilola printing press, Ilorin)، ومركز توفيق الله بالورن، ومركز المضيف- إلورن، ومركز (Mayomi) في بلاد جوس، ومطبعة مركز للطباعة والنشر-لوكوجا، وغيرها من المطابع العربية التي تنشر فيها الكتب العربية والإسلامية والمجالات والدوريات. والجدير بالذكر أن الكتب المنشورة من هذه المطابع كانت متوافرة في مكتبات الجامعات النيجيرية وفي الرفوف العربية والإسلامية فيها، ولا تنحصر الكتب المنشورة في نيجيريا في المؤلفين النيجيريين فحسب، بل لهم ولغيرهم من المنشورة في بلاد العرب والعالم الإسلامي.

- ١- ويتمثل دور الطباعة في هذه الديار فيما يلي:
- ٢- إحياء التراث الإسلامي والأدبي بطباعته ونشره.
- ٣- ملاحقة كل جديد في العلم والأدب وطباعته.
- ٤- تشجيع الأدباء بطبع ونشر إنتاجاتهم والتعريف بهم.
- ٥- إيصال العلوم والثقافات إلى كل إنسان.
- ٦- تسهيل الحصول على الكتب بثمن رخيص.

المكتبة والحفاظ على المخطوطات العربية في نيجيريا

كان للمخطوطات العربية مكانة مرموقة في نيجيريا وما جاورها من البلدان في إفريقيا، ولقد أثبت التاريخ أن اللغة العربية وآدابها لب الثقافة الإسلامية في إفريقيا السوداء، عكف العلماء الأفارقة على تعليم اللغة العربية لغة وأدباً، وألّفوا بها كتباً كبيرة في شتى الفنون وتركوا لنا تراثاً ضخماً في المخطوطات العربية القديمة. وما لبثت أن أيقظت فينا الشعور وفتحت عيوننا على تلك الكنوز فقام عدد من المهتمين بوسائل عديدة يحمون ويصونون هذا التراث الإفريقي، وذلك

لمعرفتهم أهمية المخطوطات العربية في معرفة الحقائق التاريخية ومعرفة العلوم والمعارف الأخرى التي تمت إلى القارة الإفريقية الإسلامية السياسية منها والاجتماعية والعقلية وغيرها؛ لأنها تحتوي على معلومات فكرية وعلمية وعقلية وتشير إلى الدور الذي قام به الأسلاف من العلماء للأخلاف في مسيرة الحضارة الإسلامية^(١).

ومن الأسف الشديد أن المخطوطات العربية الإسلامية لهذه البلاد كانت في حالة سيئة وعليها آثار تلف في مقابر النسيان، ومنها إهمال الاهتمام بالمخطوطات العربية وعدم تزيين المهتمين بها وعدم هياج حكومة الدول تجاه اللغة العربية في نيجيريا وبعض الدول الإفريقية الغربية فيما نعلم. تلاعبت يد الضياع ببعض المخطوطات العربية الإسلامية في هذه الديار نتيجة لعدم وجود المكتبات التي تهتم بهذا التراث في وقت مبكر من جانب، وإهمال الاهتمام بالمخطوطات العربية وعدم تزويد المهتمين بها من جانب آخر، وما كان موجوداً منها قد تدهور وعليه آثار تلف حقيقي كالماء والحشرات وسوء الصيانة التي كانت ضحية لها قبل وصولها... وإزالة ألوانها وشحوبها قد أدى إلى قراءة نصوصها. ومن الجدير بالذكر أن عدم وجود مكتبات لحفظ هذه المخطوطات قد أدى إلى ضياعها لأن معظمها منتشر في أيدي كتّابها، وقد حرقت النار بعضها^(٢).

(١) الدكتور آدم أدبيابو سراج الدين: المخطوطات العربية الإسلامية النيجيرية: الرؤى والآفاق: مقالة مقدمة في الندوة العلمية الإقليمية حول المخطوطات العربية الإسلامية الإفريقية في الجامعة الإسلامية بالنيجر في الفترة ١٥ - ١٦ مارس ٢٠١٠م، ص ٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩

وعندما دخل المستعمرون في شمال نيجيريا وتغلغلوا في الأمراء والملوك دمروا معظم المخطوطات التي وجدوها في قصورهم، وحملوا منها إلى بلادهم؛ ما أدى إلى وجود المخطوطات العربية النيجيرية في مستودعات متناثرة في إفريقيا وأمريكا والدول الأوروبية في باريس ومكتبة الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن وجامعة الشمالية الغربية في الولايات المتحدة. ولو كانت المكتبات موجودة عندهم لن يسهل لهم هذا الظلم.⁽¹⁾

وفي مطلع عصر الاستقلال النيجيري زخرت كثير من المكتبات والمتاحف النيجيرية وغيرها من الدول الإفريقية بكم وافر من المخطوطات العربية للدفاع عن التراث العربي الإفريقي وإبقائه خوفاً من أن يدفن في مقابر العدم ويرمى في جدران النسيان ويوضع في أنقاض الأطلال. ومن المتاحف النيجيرية التي قامت بالصيانة والاحتفاظ بالمخطوطات العربية النيجيرية قسم المخطوطات العربية في المجلس الدولي للمتاحف والآثار بمدينة جوس نيجيريا ١٩٥٢م، ومنها مركز تقييد المخطوطات العربية معهد الدراسات الإفريقية بجامعة إبادن نيجيريا ١٩٥٣م، ومنها مركز الأرشيف كادونا نيجيريا ١٩٦٠م⁽²⁾، ومنها مكتبة جامعة أحمد بلو في زاريا نيجيريا ١٩٦٤م، ومنها مكتبة التاريخ ولاية سوكونو نيجيريا

(1) Yakub T. Muhammad: **Arabic and Islamic collections in Nigerian university library: the state of the art**, American Academic & scholarly research Journal, vol.5, No2, p.5

(2) Jamiu AdewumiOluwatomi: **Arabic Manuscript and Education in Nigeria**< Being a papewr presented at the conference of the Nigerian library association, Plateau State branch, which held on the 28th and 29th September, 1998, at the national library Jos, p. 12

١٩٧٣م، ومركز الدراسات الإسلامية في جامعة عثمان بن فودي نيجيريا
١٩٨٢م، ومنها معهد الصحراء جامعة ميدوغوري نيجيريا ١٩٨٢م، وجامعة
باييرو بكنو ١٩٧٤م. فقد لعبت هذه المكتبات والمراكز دوراً مهماً في جمع تلك
المخطوطات وصيانتها وحمايتها من التلف، ومما قامت به تلك المراكز التجليد
والترميم بمعدّات حديث^(١)

(١) الدكتور آدم أديبايو سراج الدين، المرجع السابق، ص ٦.

المراجع

- آدم عبدالله الإلوري (الشيخ): نظام التعليم العربي في العالم الإسلامي وتاريخه: ط٣، بيروت، دار العربية، ١٩٨١م.
- آدم أدببايو سراج الدين (الدكتور): المخطوطات العربية الإسلامية النيجيرية: الرؤى والآفاق: مقالة مقدمة في الندوة العلمية الإقليمية حول المخطوطات العربية الإسلامية الإفريقية في الجامعة الإسلامية بالنيجر في الفترة ١٥ - ١٦ مارس ٢٠١٠م.
- أحمد عبدالله العلي (الدكتور): المكتبة المدرسية والعامة: الأسس والخدمات والأنشطة، ط٢، القاهرة، دار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م.
- شيخو أحمد سعيد غلادني (الدكتور): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط٢، شركة العيكان، الرياض، ١٩٩٣م.
- طارق محمد عباس ومحمد عبد الحميد زكي: المكتبات العامة - تنظيمها - خدماتها - تقنياتها في ضوء الإنترنت، ط١، القاهرة - إيبس ٢٠٠٢م.
- عادل أحمد صادق: منارة علم ومعرفة، مجلة القافلة، العدد الثالث - المجلد التاسع والعشرون، الرياض - مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ربيع الأول ١٤١١هـ - سبتمبر ١٩٩٠م، ص ٢٤.
- عبدالسلام أمين وعبدالباري أدب تنجي (الدكتور): المساجد ودورها في تعليم اللغة العربية والدراسات ببلاد يوريا، مجلة الدولة للبحوث الإسلامية والإنسانية المتقدمة، المجلد ٤، العدد ٨، ٢٠١٤م: ص ٦-٧.
- علي أبو بكر (الدكتور): الثقافة العربية في نيجيريا، ط٢، كانو، دار الأمة لوكالة المطبوعات، ٢٠١٤م.

- علي بن ذين الجنبلي: تكوين المكتبة الخاصة، ط١، الرياض، المكتبات الخاصة- السعودية، ٢٠٠٦م.
- فضل كلود الدكّو: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، الطبعة الأولى، أفرنجي، ١٩٩٨م.
- مجيل لازم المالكي: المكتبات العامة، ط١، عمان، مؤسسة الوارق، ٢٠٠٠م.
- هاشم فرحات سيد ومحمد جلال غندور: مكتبات المساجد: دراسة تاريخية، ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٦م.
- Yakub T.Muhammad: **Arabic and Islamic collections in Nigerian university library: the state of the art**, American Academic & scholarly research Journal, vol.5, No2,
- Jamiu Adewumi Oluwatomi: **Arabic Manuscript and Education in Nigeria**< Being a papewr presented at the conference of the Nigerian library association, Plateau State branch, which held on the 28th and 29th September, 1998, at the national library Jos
- Badmas Nadawi Olawale Abdul Azeez: **The Beginning and Development of Arabic and Islamic Learning Among Yoruba Muslims in Nigeria**" in Anyigba Journal of Arabic and Islamic Studies, vol. 7, No 1, 2011
- Usman A.Salisu: **The Development and Roles of Public Library in Nigeria**, retrieved on 12, August 2015 from: <http://unilorin.edu.ng/journals/education/ije/june1999>

